



مجموعه مقالات مؤتمري
الإمام المهدي (عج)
ومستقبل العالم

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجموعة مقالات

مؤتمر

الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

ومستقبل العالم

(ج ١)

هوية الكتاب

مجموعة مقالات

مؤتمر الإمام المهدي عليه السلام ومستقبل العالم / ج ١

تأليف: مجموعة من المؤلفين

الناشر: مجمع اهل البيت (عليهم السلام)

الطبعة: الأولى

سنة الطبعة: ١٤٣٤ هـ . ق

العراق - النجف الاشرف

فهرس المقالات

المقدمة.....	٧
مثالية الشيعة (أحمد الواعظي).....	١١
مع المهدي المنتظر في دراسة منهجية (مهدي الفتلاوي).....	٥١
الإمام المهدي # بين الإمامة والغيبة (عباس الأنصاري).....	٨١
الانتظار في المذاهب الإسلامية (مهدي أكبر نجاد).....	١٢٩
مسؤوليات عصر الغيبة (محمد مهدي الآصفي).....	١٤٧
الانتظار الواعي ومسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية (السيد محمد الشوكي).....	١٩١
الانتظار... ومنهجية البناء الحضاري (السيد محمد علي الحلو).....	٢١٩
المهدية والحركات الإسلامية في العالم (فخر الدين التركماني).....	٢٤١
المستقبلية ومصير التاريخ البشري (حسين إلهي نجاد).....	٢٥٥
مستقبل البشرية بين الليبرالية الغربية ووراثية الصالحين (السيد محمد الشوكي).....	٢٨٩
ملامح الدولة المهدية العالمية (رحيم كارگر).....	٣٠٩
دراسة في روايات الحسني (نجم الدين الطبسي).....	٣٣٧
تجسد الكرامة الإنسانية في دولة الإمام المهدي الكريمة (محمد هادي عبدخدائي).....	٣٦٧

المقدمة

لا شك في أن الضرر والخسران الذي يلقاه الإنسان وتعاين منه الإنسانية من جرّاء غيبة ولي الله وحجّته ﷺ، ليس بالأمر الهين الذي يُمكن أن يُمرّ عليه مرور الكرام. إن كُنّا نؤمن ونُقرّ بأنّ جميع الخيرات والبركات التي ينعم بها عالم الوجود يعود الفضل فيها إلى هذه الدرة التي تضيء جبين الوجود (بوجوده ثبتت الأرض والسماء وبيمينه رزق الورى). إذاً غيبته ينبغي أن تبعث في نفوسنا الهواجس، وتثير فينا الألم والأسى. والتأمل في هذا الخسران والحرمان يكشف لنا عن واقع الاضطراب والحاجة إلى ولي الله. إن ألم الانقطاع عن الرحمة الإلهية الواسعة يعني حيرة التيه وراء الظنون والتصوّرات الذهنية، والعوز الناجم عن عدم درك العروة الوثقى للهداية والسؤدد. ونحن إذا استطعنا استيعاب قضيتي (الاضطراب والفقر)، يكتسب الانتظار عندئذ معناه، وهو الانتظار الذي وصف بأنه أفضل العبادة (أفضل الأعمال انتظار الفرج)، والأمل بتحقيق حكومة الحق، والسعي من أجل الوعد الحق الذي وعد به الله الصابرين {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} (الروم/ ٦٠)، والأخذ بالتدبير للمستقبل، والعمل على طريق رسم نظام جديد.

إن الاعتقاد بالاضطراب إلى وجود الحجّة يعني الانتظار الذي هو عبارة عن البقاء على منصّة العزّ والشرف وعدم الخضوع لدواعي الخنوع والتعاسة. ويعني في ما يعنيه الصلابة والصمود والتحمّل، وليس التراخي والخور والسذاجة. المؤمن بالإمام الغائب منتظر في كلّ لحظة لوقوع حادثة إلهية على مستوى العالم لصالح الحقّ والعدالة، وهذا ما سيقع حتماً على يد ذلك الرجل الإلهي من سلالة المعصومين، وهو

خليفة الله، والمنتظر هو مَنْ يترقب كل لحظة سماع هذا الخبر المدوي، وهو يستنفر ذاته، ويستثير الآخرين، ويمهد الأرض للفتح النهائي. وفي ضوء هذه الرؤية يصبح كل موقف وكل مكان منطلقاً لإحياء وتبيين الاعتقاد بالائمة عليه السلام، ويحمل منطلقات الانتظار الإيجابي الفاعل، ويقدم صورة مشرقة عن المستقبل والعالم، وما إلى ذلك.

إن هذا الأمر المهم والمنشود لا بد أن تتحمل مسؤوليته المراكز العلمية الدينية (الحوزات المقدسة) و(العلماء والمفكرون الدينيون). فالعالم اليوم يتطلع إلى معالم واضحة وشفافة عن مستقبل ينعم بالأمن والرفق، ويحترم كرامته الإنسانية ويهتم بعزته وسعادته، ويوفر له موجبات السعادة والاستقرار. هذه المهمة إذا نهضت بها المراكز الدينية القويمة يمكنها أن تقدم رسائل مقبولة ومباركة للباحثين عن الحق والتواقين إليه. والحوزة العلمية في النجف الأشرف موئل مبارك يشع إلى جانب الضريح النير لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والمعطيات العلمية الوفيرة وتربية العلماء والمفكرين الورعين في الحوزة العلمية المقدسة في قم هو ما جعل منها اليوم مركزاً محورياً لمعارف أهل البيت عليهم السلام، هما أولى وأصلح موضع يتكفل بالنهوض بهذه المهمة، وهما الركيزة المقدسة القادرة على إيصال أفكار المهدوية إلى أسماع العالم الإسلامي وإلى أسماع جميع شعوب العالم، وتوجب المزيد من التلاحم بين المسلمين، وترتقي بمقومات المعرفة والإيمان بالائمة عليهم السلام، وتبدد جميع السلبات والانتكاسات التي نجمت عن دعوة أصحاب الباطل.

ولأجل النهوض بهذه المهمة، كان من اللازم والضروري عقد مؤتمر علمي حول مباحث المهدوية - وخاصة بنظرة تستشرف مستقبل العالم - بمشاركة الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة. وهذا ما أنجز - والحمد لله - من بعد مشاورات ومحادثات من قبل المراكز المختصة والناشطين في مجال المهدوية، حيث حصلت الموافقة وتم الإجماع والاتفاق المبارك لعقد هذا المؤتمر. وكلنا أمل في أن ذلك سيؤدي إلى حركة متواصلة ومستمرة وواسعة في سائر مناطق العراق.

في أعقاب الدعوة التي أطلقتها الأمانة العلمية المشرفة على عقد هذا المؤتمر، وصلت آثار قيمة من الفضلاء، ومدّرسي المراحل الدراسية العليا في الحوزة العلمية، وأساتذة الجامعات، والباحثين من ذوي النظر وذوي الصيت الذائع، وخاصة المتخصّصين في حقل البحوث المهدوية، من المراكز العلمية والتعليمية في إيران والعراق وغيرهما من البلدان الإسلامية، حيث جرى تبويب المقالات المختارة، وستُعرض في إطار المحاور الأربعة التي اعتمدها المؤتمر، من أجل الاستفادة منها على أفضل وجه.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الجهود القيمة التي تفضّل بها الأمين العلمي للمؤتمر ساحة حجة الإسلام رحيم كارگر (دام عزّه)، واللجنة العلمية، وفريق التقييم، وفريق الترجمة، والزملاء الكرام والعاملون الدؤوبون، هي التي مهّدت السبيل أمام استحضار هذه المقالات والآثار. ولذلك فنحن نرجو أن تكون موضع قبول من أنجز لأجله هذا العمل، وهو بقيّة الله في الأرضين، وأن نكون من المشمولين بدعائه. مع وافر الشكر والتقدير

محمد تقي ربّاني

مدير معهد المهدوية

مثالية الشيعة

أحمد واعظي

المقدمة:

يمكن القول بأن الموعودية والإيمان بحتمية تحقق حالة مثالية، هي القاسم المشترك والترابط لدى جميع الديانات البشرية المعروفة؛ مع هذا فلا يمكن إهمال هذه النقطة، بأن الديانات المتعددة - والإبراهيمية منها خاصة - تقدّم الإيمان بالمنقذ، واستقرار المجتمع المثالي والمعنوي المطلوب والخالي من السيئات والشور بتفاسير وأطر مختلفة ومتفاوتة. فاليهود يؤمنون بظهور المسيح الموعود (*Messiah*)^(١)، في حين يعتقد المسيحيون بعودة السيد المسيح في آخر الزمان^(٢)، والمسلمون بدورهم ينتظرون المهدي الموعود. وتختلف درجة المثالية بين هذه الديانات على الأقل في من سيتزعم ذلك العصر الموعود؟ ومن سيقوده؟

ويظهر هذا الخلاف بشكلٍ آخر في نفس هذه الأديان ومذاهبها المختلفة. فليس كلّ المسيحيين يؤمنون بعقيدة واحدة تجمع كلّ طوائفهم على عودة المسيح^(٣)، كما أنّ المسلمين هم الآخرون يختلفون في وجهات نظرهم حول مبدأ المهودية وحيثياته. فبينما يذهب أبناء السنة والجماعة إلى أنّ المهدي المنتظر سيولد في آخر الزمان^(٤)، تعتقد فرق الشيعة كافة وعدد من طوائف

١ - منجني از دیدگاه ادیان: ص ٣٣.

٢ - الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الباب ١٤، رقم ٢٨.

٣ - موعودگرایي در ادیان ابراهیمی: ص ٧.

٤ - انتظار در مذاهب اربعه: ص ١٦٦.

أهل السنّة وطوائف من الشيعة ومنها: الإسماعيلية على أنّه حيّ غائب. وفي نفس الإطار يختلف هؤلاء المعتقدون بحياة المهدي الموعود على من هو المهدي؟^(١)

ويمكن القول وبدقة: إنّ الشيعة الإمامية، ومن بين مختلف الطوائف الإسلامية، هي الأكثر إصراراً على المثالية والمهدوية، بحيث لا توجد فرقة من بين الفرق الإسلامية لها نفس العزيمة والثبات الفكري والعقائدي في هذا الشأن.

ويؤكّد تاريخ الشيعة: أنّ الإمامية باعتبارها التيار الغالب والأكثر حضوراً^(٢) في عالم التشيع، هي الأسبق والأوفى لهذه القضية، حيث تؤمن بأنّ المهدي المنتظر هو الإمام الثاني عشر وابن الإمام الحسن العسكري، وهو الذي يظهر بعد فترة غياب طويلة ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. هذا في حين أنّ مبدأ المهدوية عند الفرق الشيعة الأخرى شهد تغييرات وتطوّرات عدّة على مرّ الزمان. فمثلاً: ذهب الإسماعيلية الأولى إلى أنّ الإمام الغائب والمهدي المنتظر هو إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام الأكبر، وقال البعض منهم: بأنّه محمّد بن إسماعيل.^(٣)

وبعد إقامة الدولة الفاطمية في مصر، ارتقى قادة الإسماعيلية -والذين كانوا يعتبرون أنفسهم فيما مضى حجّة للإمام القائم (محمّد بن

١ - فرقه هاي اسلامي: ص ١٤٩، وانتظار در مذاهب اربعة: ص ١٤٤.

٢ - يشكّل الشيعة نسبة عشرة إلى اثني عشر بالمائة من عدد المسلمين في العالم (١٤٠ مليون شخص). والغالبية منهم من الشيعة الإمامية الذين يقطنون إيران والعراق ولبنان. يأتي الإسماعيلية في الدرجة الثانية حيث يُقدّر عددهم الإجمالي بحدود الـ (١٥) مليون نسمة.

٣ - فرقه هاي اسلامي: ص ١٤٩.

اسماعيل) - إلى مرتبة الإمامة.^(١) وبهذا ذهب فكرة مهدوية محمد بن اسماعيل، وأصبحت قضية هامشية، وانحصر الإيمان بإمامته ومهدويته في القرامطة،^(٢) حتى وإن اعترف بعدها إمام الفاطميين الرابع المعزّ لدين الله بإمامته كإمام ناطق وقائم لكسب دعم تلك الطائفة.^(٣)

ولم تلعب قضية انتظار ظهور محمد بن إسماعيل بمثابة المهدي الموعود دوراً أساسياً وبارزاً في حياة الطائفة الإسماعيلية الروحية والسياسية، خاصةً وإنّ أبرز الفرق بينهم - وهي الطائفة النزارية - اعتقدت بدوام واستمرار إمامة الأئمة الأحياء الحاضرين، والتي تجلّت في الأجيال الأخيرة منهم في إمامة آقاخان المحلّاتي وأبنائه.^(٤) إلخ

ويحتوي هذا المقال على قسمين:

في القسم الأول: نسعى لمناقشة سمات المثالية الشيعية (الإمامية).
وفي القسم الثاني: نبحث الوجه الدنيوي لهذه المثالية ونعني بها: انعكاسات الإيمان بالمهدوية ودورها في حياة الشيعة الفردية والاجتماعية.

القسم الأول: سمات المثالية الشيعية

إنّ ما يأتي فيما يلي من نقاش عن مؤشرات وسمات لمثالية الشيعة لا يعني لزوماً بأنّ هذه السمات حكراً على الحالة المثالية التي تسعى إليها الشيعة، وتخلو القراءات الأخرى من قضية آخر الزمان ونهاية البشر - السعيدة

١ - نفس المصدر السابق: ص ١٥٣.

٢ - نفس المصدر السابق.

٣ - مختصر في تاريخ إسماعيليه: ص ١٠٩.

٤ - نفس المصدر السابق: ص ٢٦٨.

والخيالية؛ وإنما القصد منها: إن فكرة المهدوية وردت بصورة بارزة وملفتة في المصادر السنّية والشيعة، وإن جاءت في القراءات الأخرى تفسيرات للموعودية وللمنقذ الموعود. وإضافة إلى هذا: يمكن الدعوى بأن مجموع هذه السمات والصفات تختص حصرياً بهذا النوع من المثالية دون القراءات الأخرى، وإن كان لا يمكن إنكار وجوه الشبه بين هذا التفسير والتفسير الموجودة الأخرى.

ويجب التنويه بأننا لسنا بصدد فرز جميع السمات والنقاط التي تميز بين هذا النوع من المثالية وأشكالها الأخرى، وإنما نسعى لعرض ومناقشة عدّة محاور أساسية نظنّ بأنها تميز هذا الإتجاه وتبرزه عن غيره.

المحور الأول: العالمية

لقد تعرّضت الشيعة بمثابة أقلية طائفية - وعلى مر التاريخ - لشتى أنواع التهميش والمضايقة والتعسف والمعاقبة السياسية والاقتصادية في غالبية أدوارها. وما زاد من شدة هذا التهميش والمعاقبة التاريخية، إيمان الشيعة الخاص بالإمامة والقيادة. فالشيعة ترى أنّ النظام السياسي الذي لا يستند على موافقة الإمام المعصوم، فاقد للشرعية، ومن هنا تشكلت النواة الأساسية لاتجاهات الشيعة الثورية ومعارضتها للأنظمة السياسية السائدة، وكان هذا الإتجاه الثوري اللامساوم السبب الأساس في تعرّض الشيعة لهذا الكمّ الهائل من المضايقات والضغطات السياسية والاجتماعية.

وعلى الرغم من هذا، لم تتأثر المثالية الشيعية وإيمانها المترسخ بظهور المنقذ الموعود من حيث الإطار والمضمون النظري، من هذه الظاهرة التاريخية المستمرة، ومبدأ المهدوية بقراءته الشيعية لم يظهر بشكل طائفي وفئوي وبمحاولات التشفي والانتقام.

وبتعبير آخر: لم يرسم علماء الشيعة في تفاسيرهم ومؤلفاتهم عن المهدوية ومستقبل البشرية المثالي، ظهور المهدي العالمي بأنه إنقاذ وخلص للشيعة واستسلام وقهر لأعداء الشيعة، وإنما تجاوزوا النطاق الطائفي نحو رؤية

واسعة شاملة إنسانية ورأوا في ظهور المهدي فلاح الأمم وخلصها من عبودية غير الله.

إن جذور هذا الاتجاه الأُمِّي وغير طائفي لمفهوم المهدويّة يأتي من الأدلّة القرآنية والروائية، وهي المبدأ الأساس ونقطة الارتكاز الأولى لظهور وازدهار بحوث المهدويّة على مستوى العالم الإسلامي بشكل عام والشيعة بشكل خاص. إن الروايات التي نستعرض بعضها في السطور التالية تُظهر بوضوح عالميّة نتائج ظهور المهدي الموعود: نقل العلامة المجلسي نقلاً عن كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي الحديث التالي عن رسول الله ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ، وَزَلْزَالٍ، يَمَلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ»^(١).

ويدلّ المقطع الأخير من هذا الحديث: أن حكومة الصالحين في آخر الزمان والقسط والعدل الذي يفرضه المهدي الموعود على كافة أنحاء الأرض سيجلب رضى، جميع سكان الأرض وليس رضا قوم وطائفة وأهل مذهب خاص.

وفي حديث آخر ينخر الرسول الأعظم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بظهور شخص من أهل البيت هو المهدي، حيث يدلّ الفتنة المنتشرة المسيبة للعداء والخلاف بين الفرق والمذاهب إلى وئام وسلام يعمّ الأرض، كما زالت الفتن الناتجة عن الشرك بظهور النبي الأكرم. ويقول رسول الله ﷺ: «مِنَّا يَخْتِمُ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ كَمَا فَتَحَ بِنَا، وَبِنَا يُنْقِذُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ كَمَا أَنْقَذُوا مِنَ الشَّرْكِ، وَبِنَا يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةِ الْفِتْنَةِ كَمَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عَدَاوَةِ الشَّرْكِ، وَبِنَا يُصْبِحُونَ بَعْدَ عَدَاوَةِ الْفِتْنَةِ إِخْوَانًا كَمَا أَصْبَحُوا بَعْدَ عَدَاوَةِ الشَّرْكِ إِخْوَانًا فِي دِينِهِمْ»^(٢).

١ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٧٤، ح ٢٣.

٢ - نفس المصدر السابق: ص ٩٣.

إنّ هذا التوجّه العالمي الشامل يأتي في وقت تذهب فيه بعض أشكال المثاليّة الأخرى إلى القول بأنّ محطة البشر الأخيرة والحالة المثالية لحياته تحدث في خلاص وسيادة مذهبهم الخاص على سائر المذاهب، وتمكين المذاهب والملل الأخرى من قبّل مذهبهم وطائفتهم. فاليهود مثلاً ووفقاً لنصوصهم وعهدهم العتيق يعتبرون المسيح وما يسمّونه بالمنقذ والموعود الأخير (Messiah = اليسوع) بطلاً قومياً (National hero) يجلب معه الخلاص والفلاح لقوم خاصين هم اليهود.

وجاء في سفر النبي أرميا: أنّه - أي المسيح - سيأتي لخلاص الشعب اليهودي: «أيام مقبلة أقيم فيها لداود ذرّيّة برّ، ملكاً يسود بحكمة، ويجري في الأرض عدلاً وحقاً. في عهده يتم خلاص شعب يهوذا، ويسكن شعب إسرائيل آمناً»^(١). وإن كان هذا المسيح المزعوم سيتغلب على أعدائه بقوة السلاح كما جاء في مزامير داود^(٢)، لكن هذا لا يعني إبادة الشعوب الأخرى، وهناك آيات تدل على انضمام هذه الشعوب إلى ملك المسيح وسلطانه كخدم لمن هو الغالب والمخلص^(٣).

١ - سفر أرميا: ٢٣: ٦.

٢ - «٣» في جلالك وبهائك تقلّد سيفك على فخذك أيها المقتدر، ٤. وبجلالك اركب ظافراً لأجل الحقّ والوداعة والبرّ، فتفتحم يمينك الأهوال، ٥. سهامك مسنونة تخترق أعماق قلوب أعداء الملك، وتسقط الشعوب صرعى تحت قدميك» المزامير.

٣ - «٤٣» - تنقذني من ثورات الشعب، وتجعلني سيّداً للأمم، حتّى صار شعب لم أكن أعرفه عبداً يخدمني، ٤٤ - فما إنّ يسمّعوا أمرى حتّى يلبّوه. الغرباء يتدلّلون لي ٤٥ - الغرباء يحورون، يخرجون من حصونهم مرتعدين». المزامير: ١٨: ٤٣ - ٤٥.

والجدير بالذكر: أنّ اليهود والنصارى كلاهما يعتقدان بأنّ المسيح هو المنقذ الموعود للبشر. لكن الخلاف بينهما يأتي من أنّ النصارى يعتقدون بأنّ هذا الموعود هو عيسى بن مريم حيث يعود إلى الأرض مرة أخرى، بينما يقول اليهود: بأنّ عيسى أو اليسوع الموعود ليس من يدعيه النصارى وإنما سيأتي في آخر الزمان. ومن أدلتهم على أنّ عيسى ليس هو المسيح الموجود هي:

أ: إنّ المسيح من نسل داود كما تصرّح آيات الكتاب المقدّس بذلك (١: ١١ سفر أشعيا، ٤٩: ١٠، سفر التكوين)، في حال أنّ عيسى ليس من نسله.

ويبدو في الوهلة الأولى أنّ عولمة قيام المهدي ونهضته تقتضي - إقصاء وإبادة المذاهب والديانات الأخرى، حيث يقوم بنشر - وعولمة الشريعة الإسلامية والتوحيد، وقد تؤكد الروايات هذا المفهوم من قيامه.

فمثلاً الحديث التالي يشير إلى نجاح المهدي في فرض هيمنته ونشر عدله على كل أرجاء العالم، ونزول عيسى عليه السلام لتأييده، وإزالة كافة مظاهر الشرك وبسط العبودية الإلهية: عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«... ثم يظهره الله عزّ وجلّ، فيفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى ابن مريم عليه السلام فيصلي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربّها ولا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزّ وجلّ إلا عبد الله فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون»^(١).

وتؤكد رواية أخرى مطوّلة واردة عن الإمام الصادق عليه السلام نقلها المفضل بن عمر على رفع الخلافات الموجودة بين الملل والنحل والمذاهب المختلفة وعلى انصوائهم تحت راية التوحيد: «فَوَ اللَّهُ يَا مَفْضَلُ! لِيَرْفَعَ عَنِ الْمَلَلِ وَالْأَدْيَانِ الْإِخْتِلَافُ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ وَاحِدًا كَمَا قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾»^(٢).

ومما لا شكّ فيه: أنّ قيام الحجّة المنتظر سيحدث تطوّراً ضخماً من ناحية المعرفة الدينية، وبموازاة هذا التطور المعرفي والعقلاني ستزول الكثير من

⇒

ب: إنّ المسيح يعيد جميع اليهود إلى إسرائيل (٥ - ٦: ٤٣ سفر أشعيا)، في حين أنّ عيسى لم يتمّ بذلك.

ج: إنّ المسيح يقيم الهيكل الثالث (٢٦: ٣٧ سفر حزقيال)، وهذا مما لم يتمّ في عهد عيسى.

وقدّم المسيحيون في المقابل مبدأ العودة الثانية أو ما يطلق عليه (second coming). ويقول النصارى: إنّ العهد العتيق رسم تصويرين من المسيح؛ أحدهما: من يتحمّل المأساة والمعاناة، ومن له الملك والملكوت. إذن وحسب اعتقادهم يكون عيسى الناصري هو المسيح بعينه حيث تحمّل ما تحمّل من مرارة ومعاناة ولكن يجلب بعودته السلام والفلاح للبشر.

١ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٤٦، ح ١٥.

٢ - نفس المصدر السابق: ج ١٣، ص ٢٠٣.

الأوهام والخيالات التي تسبب الضلال والانحراف في بعض الأديان والمذاهب وتقودهم إلى الخطأ وسوء الفهم، وتتجلى ملامح التوحيد الحقيقية والإسلام الأصيل.

إنّ هذا التطور سيؤدّي إلى التقارب الديني القوي واجتماع البشر تحت راية تفسير واضح ومشعّ لدين الله. وقد أشارت النصوص الدينية التقليدية لليهود والنصارى إلى وقوع هذا الحدث في آخر الزمان، وهو - حسب تعبيرهم - عهد يوحد الله في علاه ويرتفع اسمه فوق الأسماء^(١). ومع هذا كلّه، فليس بالإمكان التأكّد من خلوّ الأرض من أتباع الديانات الأخرى - أو لنقل الأديان الإبراهيمية - في عهد الحكم المهدي، واحتضان الإسلام من قبل جميع الأسرة البشرية وأتباعهم للدين الواحد الذي يتمثل في حكم المهدي الموعود^(٢).

ومن أقوى الدلائل على هذه الدعوى ما جاء في بعض آيات القرآن الكريم من التأكيد على بقاء واستمرار الديانة اليهودية والمسيحية حتى يوم القيامة، حيث يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾^(٣).

وصرح القرآن الكريم أيضاً على بقاء الخلاف بين النصارى إلى يوم البعث، حيث جاء: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا

١ - «وَيَكُونُ الرَّبُّ مَلِكًا عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ. فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ» سفر زكريّا: ١٤: ٩.

٢ - ويستفاد من بعض الروايات أنّ الإسلام الحقيقي الذي سيعرضه الإمام المهدي سيختلف بصورة واضحة مع ما كان يُعرَف ويُعمَل به باسم الإسلام قبل ظهوره. ويبدو أنّه إسلام جديد كان مخفياً عن الناس. والحديث التالي يدلّ على هذا الموضوع: «عن الإرشاد: روى محمد بن عجلان عن أبي عبدالله عليه السلام: «إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد دثر وضمّل عن الجمهور».

٣ - آل عمران: ٥٥.

حَظًّا مِمَّا ذَكَرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١﴾ .

كما إن هناك حديثا عن اليهود واستمرار العداوة والبغضاء بينهم إلى يوم يبعثون، قال سبحانه جل شأنه في كتابه المجيد: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١١).

المحور الثاني: تمحور العدل

مما لا شك فيه: أن أحد منجزات المنجي والموعود العالمي - وبصرف النظر ممن يكون - تبلور في استقرار العدالة، وقد أكدت الديانات المؤمنة بالموعودية وكل على شاكلته على هذا الموضوع الهام.

فاليهود - مثلاً - يؤكدون على انتهاء الكراهية والجور والمعاناة بعدما يحل السلام الذي سيأتي به المسيح. وجاء في سفر أشعيا ما يلي: «يَقْضِي بَيْنَ الْأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكِّكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لَا تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلَا يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ» (٣).

وأما النصارى فيؤمنون بعودة المسيح (٤)، والغاية من عودته الثانية تثبيت ملكوته (Kingdom) على الأرض وإقامة دكة للقضاء والحكم بين

١ - المائدة: ١٤ .

٢ - المائدة: ٦٤ .

٣ - سفر أشعيا: الإصحاح الثاني: ٤ .

٤ - يعتقد بعض النصارى بأن للمسيح نزولين أو عودتين بعدما صُلب، ويميّزون بين العودة الثانية « second coming » والـ « rapture » وتعني بالعربية النشوة والطرب. فالنشوة تشير إلى مجيء المسيح سماء الدنيا لتعزيز وتأيد

الناس^(١). إن استقرار هذا الملكوت ونشر السيادة والحكم من قبل المسيح يترافق مع العدالة والسلام.

وفي المثالية الإسلامية عامة والتصوّر الشيعي للمهدوية خاصة، تأكيد قويّ على العدالة التي ينشرها المهدي الموعود باعتبارها أبرز وأهم إنجازات ظهور المنقذ والمصلح العالمي. وجاء التأكيد على الجانب العدلي لظهور المهدي وحكمه في روايات أهل البيت بدءاً بالنبي الأكرم وأمير المؤمنين وانتهاءً بسائر الأئمة الاطهار عليهم السلام. وتبشّر الروايات على أنّ المهدي الموعود سينشر العدل على وجه الأرض. وقد نقل الشيخ الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ما يقارب الثلاثين رواية في هذا المجال، تكرّرت فيها العبارة المعروفة: «فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً»^(٢).

وهناك نقاط هامة تتعلق بالعدالة التي يُتحف المهدي بها العالم، ولا بدّ لنا من الإشارة إليها هنا بإيجاز واختصار:

كما أشرنا سلفاً فإن كثيراً من مصادر السنة والشريعة الروائية أكدت على أهمية دور العدل في زمن المهدي، وعلى أنّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

والسؤال المطروح في هذا المجال هو: أن استقرار هذه العدالة ستشمل أيّ مجالات من السلوك الإنساني؟، هل تنحصر بمجال الحياة الاجتماعية والسياسية العامة للبشر؟، أو أنّها تغطّي كافة مجالات حياته الفردية والاجتماعية؟.

⇒

كنيسته دون أن تطأ قدمه الأرض؛ بينما في العودة الثانية «second coming» يشاهد الجميع هبوطه التدريجي من السماء نحو الأرض على تلّ مليء بأشجار الزيتون، وهذا ما سيحدث في آخر الزمان.

١ - وقد تمت الإشارة إلى هذا الموضوع في مقاطع مختلفة من العهد العتيق والجديد، ويمكن الاطلاع عليه في:

٣: ١٤: ٩ (زكريّا) ١٤ - zech ١٥ (يهودا) ١١: ١٩ - ١٢، jude (المكاشفات) Rev.

٢ - كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج ١، ص ٣٣.

ومن المعلوم أنّ موضوع العدالة والجور والظلم والقسط موضوع مترامي الأطراف. فمن الممكن أن يكون القانون أو تنفيذه، أو القضاء والمحاكم، والعقوبات والمحفّزات، والمناسبات الإقتصادية ونظام الدخل والدفع، وسُبل توزيع الإمكانيات والمواهب، والمناصب السياسية والاجتماعية، والسلوك الأخلاقي مع الآخرين كالأصدقاء، وحتى نمط السلوك داخل الأسرة الواحدة، يدخل في موضوع العدالة أو اللاعدالة.

وهذه الدائرة الواسعة هي التي تملي علينا التساؤل المطروح؛ فيا ترى كيف يكون انجلاء الظلم واستقرار العدالة في زمن الإمام المهدي؟، وما هي رقعة شموليتها؟ ومن هي الأقسام التي يشملها العدل والجور؟.

إنّ النظرة التفاؤلية وربّما الجأدة إلى إقامة العدل الموعود ونشره تميل نحو تعميم ظاهرة نشر العدل والقسط إلى أبلغ درجاته المثالية وفي قمته السامية والمتناهية؛ مستدلة بالروايات التي تتحدّث عن إزالة الظلم والجور في كافة أصقاع العالم. إذن يرتفع أيّ شكل من أشكال الظلم والجور من وجه الأرض حتّى ذلك الذي يرتكبه الشخص من ذنب (وإن لم يكن سلباً لحقّ الآخر كترك لواجب عبادي) بحقّ نفسه. فلا ظلم بعد ذلك اليوم، ولا عدوان في حريم المجتمع، ولا في شتى أشكال العلاقات الاجتماعية من سياسة واقتصاد وقضاء وما شاكلها من المجالات الأخرى، ولا مصاديق للظلم في المجال الخاصّ كحرّيم الأسرة، ولا حتّى فيما يتعلّق بعلاقة الإنسان بخالقه.

وإلى جانب التفسير الذي قدّمناه، من المعان المتعلقة بأنّ المهدي «يملاً الأرض قسطاً وعدلاً...»، يمكن أيضاً الاستناد إلى روايات عديدة، كالرواية اللاحقة للاستناد على التصرّور المثالي المتناهي للعدل الذي ينشره

المهدي؛ فيقول الإمام الصادق عليه السلام: «أَمَّا وَاللَّهِ لَيَدْخُلَنَّ عَلَيْهِمُ (الْمَهْدِيُّ) عَذْلُهُ جَوْفَ بُيُوتِهِمْ كَمَا يَدْخُلُ الْحُرُّ وَالْقُرُّ»^(١).

وفي نقطة التقابل مع هذه الرؤية الشمولية يمكن الحديث عن وجهة نظر أخرى تتسم بطابع الحيطة والنسيبة والابتعاد عن الشمولية. إن هذه الرؤية تقول: إن دائرة شمول عدل الإمام محدّدة وتنحصر بنطاق ما تدخل فيه الحكومات عادةً في نطاق صلاحياتها المؤثّرة. ووفقاً لهذا التفسير لكلّ دولة - وإن كانت في غاية الصلاح والساداد - نطاق محدود من التأثير لا تدخل في نفوذها جميع ساحات الحياة البشرية.

ومن هنا فإنّ مهمّة دولة الصلحاء في آخر الزمان تتوجّه نحو الإصلاح والحلول العادلة في الشؤون التي تقع ضمن مسؤوليات الدولة. فسيستتب الأمن ويعمّ السلام، وينتشر الرخاء، وستقوم الأمور والقوانين وقواعد المؤسسات الاجتماعية المختلفة على مبادئ العدالة والقسط، وتستقرّ كافة الشؤون الاجتماعية حسب تعاليم الإسلام الحقيقية؛ ولكن هذا لا يعني عصمة جميع الأشخاص ولا يعني عدم اقرار الذنب وظلم النفس. وبعبارة أوضح: فانتشار العدل على النطاق الاجتماعي والتنفيذي لا ينفي وقوع الظلم والجور في جميع مجالات السلوك الفردي والاجتماعي، ولا حتّى في تلك المجالات التي لم تدخل في إطار مسؤولية الحكومة - عادلة كانت أم جائرة - مثل ما يحدث في محيط الأسرة وفي مسؤولية الشخص أمام الله سبحانه وتعالى في مجال الأعمال والعبادات.

ويبدو أنّنا نستطيع الدفاع عن نظرية تتوسّط هاتين الرؤيتين وتقول: بأنّ نطاق بسط العدالة في آخر الزمان يتخطّى حدود تدخل ومسؤوليات

الدولة المتعارفة. ولا يمكن تأييد الرؤية المتناهية للعدالة والتي لا تقبل حتى بوقوع الذنب والمعصية الفردية في مجال العبادات في آخر الزمان.

يجب التأكيد على أن بسط العدالة ونشرها يأتي من طريقتين: مباشر، وغير مباشر. البسط المباشر يأتي عندما يورث الصالحون الأرض^(١)، وبفضل قيام المهدي الموعود تقطع أيادي الشر الملوثة الفاسدة من مصادر السلطة والثروة، وتؤسس أشكال العلاقات الاجتماعية وفقاً لمبادئ وموازن العدل الإسلامي وبمحوريّتها، ويشيّد المجتمع المثالي، مجتمع أُرسيت قواعده ومؤسّساته وجميع مناسباته على أساس العدل وسائر الفضائل الأخلاقية والقيّم الروحية. فعندها يقوم الصالحون الذين ورثوا الأرض - وباستخدام السُّبل والتدابير الخاصة وبصورة مباشرة - بإحداث التغييرات البنيويّة الواسعة في العلاقات الإنسانية والاجتماعية لقيادة المجتمع نحو الوضع المثالي المطلوب في نشر العدل والقسط وفرضه.

ومن جانب آخر - وببركة ظهور ذلك المُنقذ الفذّ الحقيقي - تتوفر الظروف لتساعد على نشر العدل وبسطه بصورة غير مباشرة في شتّى شؤون الحياة الإنسانية. وتأتي الروايات الإسلامية المتحدّثة عن الحالة العامة في ذلك العهد؛ لتبشّر بفتح أبواب الرحمة الإلهية والنعمة الربّانية، وزيادة النعمة بأشكالها المختلفة في آخر الزمان، حيث يسود الرخاء في المجتمع، ويستقرّ الأمن، وينتشر السلام.^(٢)

١ - الأنبياء: ١٠٥: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

٢ - وسنورد بعض الأحاديث للدلالة على ذلك، وهي كما يلي:

- «إِنَّ الْمُهْدِيَّ مِنْ عِثْرَتِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، تُنْزَلُ لَهُ السَّمَاءُ قَطْرَهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ بَذْرَهَا، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا»؛ بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٧٤.

- وعن محمد بن سنان، عَنِ الْكَاهِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «... فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لِيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ وَقْتُ لَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ لِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مَوْضِعًا»؛ نفس المصدر السابق: ص ١٤٧، ح ١٨.

هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر - وبعناية الله سبحانه وتعالى - تحدث تغييرات على المستوى الروحي والمعنوي، حيث تستحكم العقول، وتستكمل الألباب؛ لتأخذ نصيبها من العلم والمعرفة، فينتشر العلم بصورة ملحوظة، ويقفز إلى أعلى درجاته، ويبلغ ذروته. ويقول الإمام الباقر عليه السلام في هذا الشأن: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهَا عُقُوبَهُمْ وَكَمَّلَتْ بِهَا أَحْلَامَهُمْ»^(١).

والواقع المرير الذي يعيشه العالم في الوقت الحاضر يؤكد أن تفشي الفقر ووهن العقل والمعرفة سبب للكثير من الجور واللاعْدالة. وحين تتراجع هذه الأسباب من التأثير على المجتمع بتقدم الرخاء وزيادة النعمة، وكمال العقل، ستتوفر البيئة المساعدة لنشر العدل في مختلف جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، دون الحاجة للجوء إلى تدابير تتخذها السلطة السياسية، أو تدخل منها في مجال سلطتها المتعارفة، وخاصة لو اقترنت ملائمة الظروف الاقتصادية والمعرفية مع انتشار العدل، ونمو القيم الروحية وسيادة التوحيد الإلهي.

وكما أشرنا سابقاً فإن موجة التوحيد الأصيل والمعرفة الدينية الحقيقية ستعم وستؤدي إلى خلق ظروف روحية ومعنوية مساعدة لسيادة الحق والعدل. ولهذا السبب لم ينحصر - نطاق بسط العدل في حدود الحياة الاجتماعية المتعارفة، بل يجتازها ليشمل السلوك الفردي والمناسبات الأسرية والمجال الشخصي الخاص. مع هذا فإن الادعاء بأن هذا المسار سيؤدي بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى زوال أي تصور من الظلم، أو أن الأشخاص لن يقترفوا أي ذنب ومعصية بعد ذلك، ادعاء يصعب التأكد

⇒

- وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يَكُونُ مِنْ أُمَّتِي الْمُهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ عُمُرُهُ فَسَبْعُ سِنِينَ وَإِلَّا فَتَمَانٍ وَإِلَّا فَتِسْعٌ، يَتَنَعَّمُ أُمَّتِي فِي زَمَانِهِ نَعِيمًا لَمْ يَتَنَعَّمُوا مِثْلَهُ قَطُّ، الْبِرُّ وَالْفَاجِرُ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَلَا تَدَّخِرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا»؛ نفس المصدر السابق: ص ٧٨.

منه، ولا يمكن إقامة الدليل عليه من الروايات الخاصة الواردة عن المهديّة وأخر الزمان.

ولعلّه من الممكن اتّخاذ الروايات الواردة التي تتحدّث عن انتهاء فرصة الشيطان لإغواء البشر بظهور المهدي ومقتله في عصر ظهوره دليلاً على إقامة العدل بمدلوله العام.

كما أنّ المصادر الدينية والنصوص المعتمدة لم تقدّم صورة كاملة وشاملة عن البنى الكلية للعلاقات الاجتماعية في ذلك المجتمع المثالي، ولم تسهب في الحديث عنه، وإنّما اكتفت بإشارات متفرقة هنا وهناك. إنّ هذه الإشارات بقدر من الإيجاز والكلية حيث لا يمكن التوقّع - ولو بتقدير إجمالي - بما ستؤول إليه حالة الحياة الاجتماعية وحيثياتها وتفصيلاتها، كنظام الإنتاج والتوزيع الاقتصادي، ونظام التعليم والصحة، والآليات التنفيذية والإدارية للمجتمع، وغيرها من الشؤون.

وللبرهنة على ذلك نودّ الإشارة بإجمال إلى نوعين من هذه الروايات: النوع الأوّل: يتعلّق بروايات تصور بأنّ صاحب العصر والزمان يقوم بالتقسيم المتكافئ لمصادر المال والثروة، أو بيت المال كما كان عليه ديدن أجداده الكرام رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وسيرتهم العملية. ونشير هنا إلى روايتين في هذا الإطار:

الرواية الأولى: يقول الإمام الباقر عليه السلام «فإنه (القائم) يقسم بالسوية، وَيَعْدِلُ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ الْبَرِّ مِنْهُمْ وَالْفَاجِرِ...»^(١).

الرواية الثانية: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهديّ يُبعثُ في أمّتي ... يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا صِحَاحًا؟ قَالَ السُّوِيَّةُ بَيْنَ النَّاسِ.»^(٢)

١ - نفس المصدر السابق: ج ٥١، ص ٢٩، ح ٢، الباب الثاني.

٢ - المصدر السابق: ص ٨١.

كما نلاحظ إنَّ كيفية توزيع الثروات العامّة هي إحدى الأجزاء المكوّنة للعدالة الاقتصادية، وأمّا العدالة الاجتماعية بالمعنى الأعمّ - والعدالة الاقتصادية جزء منها - فتشتمل على أبعاد واسعة لا تستطيع مثل هذه الروايات بتطرّفها إلى نموذج واحد منها أن تقدم تفسيراً وتصوراً شاملاً عنها وعن تفاصيل تلك العدالة الموعودة.

وهناك روايات أخرى لم تتناول موضوع توزيع الثروة الاجتماعية، بل تحدّثت عن جوانب أخرى للعدالة الموعودة. ومن هذه الروايات رواية عن الإمام الرضا عليه السلام، ويشير فيها على أن المهدي يضع ميزاناً ومؤشراً للعدالة يعيها المجتمع ولا يظلم أحد على إثرها أحداً آخر:

«يُظَهِّرُ اللهُ بِهِ (المُهْدِيَّ) الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ جَوْرٍ، وَيُقَدِّسُهَا مِنْ كُلِّ ظُلْمٍ... فَإِذَا خَرَجَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِهِ، وَوَضَعَ مِيزَانَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَدًا...»^(١)

وما هو المقصود من «ميزان العدل» في هذا الحديث؟ وما هي المؤشرات والأمر التي يجب أن يفهمها الناس المتعطّشون للعدالة ليستعينوا بها على إقصاء منطق الظلم من منظومة سلوكهم الأخلاقي وعلاقاتهم بالآخرين؟. ومن الضروري للإجابة على هذا السؤال التمييز بين قواعد ومعايير العدالة الصوريّة وبين معاييرها المضمونيّة. فإعطاء الحق لأصحابه وانعدام السلوك التمييزي، والالتزام بالحيادية، والانحياز، هي من مصاديق القواعد والمعايير الصورية للعدالة. والضمير الأخلاقي الإنساني يحكم - ولمجرّد مشاهدته لخرق إحدى هذه المعايير والقواعد - بجور وظلم ذلك الفعل أو السلوك أو القانون. جاءت تسمية هذه المعايير والموازن للعدالة بالصورية، لشمولها وعموميتها؛ يعني: أن الحكم بإدانة وشجب الحالة يصدر دون تردّد، وبغض النظر عن مظهر الفعل. فيمكن أن يكون الفعل

انحياز الأب في سلوكه داخل الأسرة والتمييز بين أبنائه، أو يكون قانوناً مُبرماً، أو حكماً لقاض، أو توزيعاً للمصادر والإمكانات، أو في دفع رواتب عمّال في ورشة عمل أو أيّ حالة أُخرى.

كما يسبّب عدم الالتزام بأسس المنطق الصوري في مختلف أشكال القياس وقوع الاستدلال في البطلان وعقم الاستدلال والاحتجاج، ويتسبّب عدم الالتزام بمعايير وموازن العدالة الصورية بالحكم بإدانتها. فلا يختلف لبطلانها الدليل، سواء كان عدم الالتزام بالقواعد في الموضوعات الفلسفية والكلامية أو الموضوعات اليومية أو في مجال القانون والقضاء. وبعبارة أُخرى: فإنّهما يستويان بالنتيجة وإن اختلفا في الموضوع.

ومن جانب آخر، فالاطّلاع على موازين العدالة الصورية لا يكفي وحده للتمييز بين العدالة عن سواها؛ لأنّ المهم وقبل كلّ شيء تحديد ما تتضمّنه العدالة.

فمثلاً يجب تحديد حقوق الشخص حتّى تتدخل موازين العدالة الصورية لتقرّر إعطائه لأصحابه. ولنفترض أنّنا قمنا بتحديد موازين ومحدّدات العدالة المضمونية وجاء فيها أنّ حصة «ألف» يجب أن تكون أكثر من حصة «باء». ففي هذه الحالة لو بادرنا وفق موازين العدالة المضمونية، ودفعنا للأوّل رواتب ومحفّزات تفوق الثاني، فلم نرتكب ظلماً، ولا يمكن الحديث عن التمييز وعدم إعطاء الحقّ لذي الحقّ. وبتعبير آخر: أسس وموازن العدالة الصورية يمكن مضاهاتها بعد الانتهاء من إعداد أسس ومبادئ العدالة المضمونية.

وبعد هذا التمهيد يجب القول: إنّ أسس وموازن العدالة الصورية معروفة، وعلى نطاق واسع لجميع الأفراد، ولا تحتاج إلى تعليم وممارسة، فحتى البسطاء من عامة الناس يعلمون أنّ الانحياز والتمييز والخداع

وعدم الالتزام بحقوق الآخرين يعني: الظلم والجور والابتعاد عن السلوك العادل.

ولكن الذي سبب جدلاً ونقاشات طويلة وعريضة بين الخواص وأصحاب الرأي على طول تاريخ فكر العدالة يكمن في عدم شفافية ووضوح موازين ومعايير العدالة المضمونية مما تسبب في وقوع الخلاف بين علماء وفلاسفة ومفكرين مجال العدالة الإجتماعية بمعناها الأوسع - والذي يشمل العدالة الجزائية والقضائية - في طبيعة الإنسان ومعنى السعادة والحياة الإنسانية الكريمة، ومجالات التكافؤ الإنساني ومرغوبية عدم التكافؤ (في ملكية مصادر الثروة مثلاً) بين الناس أو عدم مرغوبيته، وعشرات القضايا المفصلية والمبدئية، تسبب في ظهور خلافات كبيرة. وهي تدور حول حقوق واستحقاقات الأشخاص ومقدارها والمسؤولية التي يتقبلها الأفراد إزاء هذه الحقوق.

ويبدو أن مفردة «ميزان العدالة» التي جاءت في الحديث الشريف إنما تدلّ على التحديد الدقيق للأسس والمعايير التي تشيد عليها العدالة المضمونية. أسس تتوفر في ظلّها الظروف المؤاتية لنشر العدالة ورفع الظلم بموازاة توفر الشروط الأخرى: كتطور المستويات الأخلاقية والروحية، وانتشار ونمو القدرات العقلانية والمعرفة.

المحور الثالث: إحتوائها على الجانب الإيماني

ربّما لا تستوعب المثالية الشيعية دون الوقوف على تصوّر صحيح من موقع الإمامة عند هذه الطائفة، والتصوّر الشيعي من الإمامة يختلف اختلافاً جوهرياً مع تصوّر أبناء السنّة والجماعة.

وحسب رأي علماء أهل السنّة: فإنّ الإمامة وقضية خلافة النبي قضية فقهية بحتة. فالإمامة منصب سياسي، والحديث عن شروط الإمام، والمواصفات اللازمة لتصدي منصب القيادة والزعامة السياسية في المجتمع

الإسلامي، هي نفس الشروط التي يجب توفرها عند القاضي عندما يتصدى لمنصب القضاء والتحاكم، أو الشروط التي ينبغي لإمام الجماعة أن يتحلّى بها. إذن وحسب هذا الرأي، يدخل الحديث عن الإمامة وشروطها تحت عنوان أكبر، هو الفقه.

وفي الاتجاه المعاكس يقول علماء الشيعة: بأن شأن الإمام والخليفة الحقيقي لرسول الله ﷺ لا ينتهي بإدارة المجتمع الإسلامي من الجانب السياسي؛ وإنما يتزعم الإمام منصب الهداية الدينية أيضاً. فالإمام - وحسب الرأي الشيعي - كرسول الله، حجة على الناس وله الولاية الإلهية عليهم. وحجة الله على الناس يعني أن طاعته واجب ديني، سواء في أمور الدين أو في أمور الدنيا، والتعاليم التي يأتي بها هي كتعاليم النبي تعبر عن نصّ الدين والشريعة.

من هنا يؤخذ الله في يوم القيامة من تخلف عن بذل الطاعة والتبعية لهم. ويقتضي على الإمام بصفته حجة الله على العباد ومن له الولاية الإلهية على الناس أن يتّصف بمؤهلات خاصة كامتلاك العلم الإلهي والعصمة عن اقتراف جميع الذنوب. ويرى علماء الشيعة: [إن الإيمان بإمامة المعصومين جزء من الإيمان الديني، ومن لا يؤمن بالإمامة يواجه نقصاً في إيمانه وإن صحّ انتسابه للإسلام].

والعلاقة المتينة بين بحث الإمامة والإيمان الديني يحول الإمامة إلى بحث كلامي كالنبوة ولا يدخلها في نطاق البحوث الفقهية.

إن المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر حسب اعتقاد الشيعة، والإيمان بظهوره وخروجه من غيبته لا يمثل طموحاً وأملاً بالخلاص تتخذه الشيعة ذريعة لتخفيف آلامها ومعاناتها الحالية؛ بل هو إلزام إيماني ومذهبي. ولهذا أكّدت بعض الروايات على أن إنكار المهدي وعدم الإيمان به، سيكون بمثابة إنكار الأئمة كافة.

وينقل موسى بن جعفر البغدادي هذا الحديث عن الإمام العسكري عليه السلام: قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ يَقُولُ: «... لِأَنَّ طَاعَةَ آخِرِنَا كَطَاعَةِ أَوْلَانَا، وَالْمُنْكَرَ لِآخِرِنَا كَالْمُنْكَرِ لِأَوْلَانَا، أَمَا إِنْ لَوْلَدِي غَيْبَةً يَرْتَابُ فِيهَا النَّاسُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

ولأن المهديّة مفهوم إيماني وديني، فالتمسك بها كما ورد في بعض الروايات يعتبر مثابرة في الدين وتثبيتاً للإيمان في القلوب.

ينقل الإمام الرضا عن الإمام علي مخاطباً ابنه الإمام الحسين عليه السلام ما يلي: عَنِ الرَّضَا، عَنِ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: «أَنَّهُ قَالَ لِلْحُسَيْنِ: التَّاسِعُ مِنْ وُلْدِكَ يَا حُسَيْنُ هُوَ الْقَائِمُ بِالْحَقِّ، الْمَظْهَرُ لِلدِّينِ، الْبَاسِطُ لِلْعَدْلِ ... وَلَكِنْ بَعْدَ غَيْبَةٍ وَحَيْرَةٍ، لَا تَثْبُتُ فِيهَا عَلَى دِينِهِ إِلَّا الْمُخْلِصُونَ الْمُبَاشِرُونَ لِرُوحِ الْيَقِينِ، الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُمْ بِوَلَايَتِنَا، وَكَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَأَيْدَهُمْ بِرُوحِ مِنْهُ»^(٢).

إنّ للإمامة دوراً محورياً في مبادئ الشيعة الامامية، وقد تكونت هويتها التاريخية حول هذا الاعتقاد المبدئي. ومن الملاحظ أنّ هذا الاعتقاد بقي رغم كلّ ما واجهته الشيعة من تجاذبات اجتماعية وسياسية سلباً صامداً لم تؤثر عليه هذه التجاذبات، ولم تغيّره التطوّرات. فهو امتداد تاريخي سليم، لم يتعرّض للخلل في فكرة المثالية الشيعية الامامية.

المحور الرابع: صلة المثالية بالواقعية أو البراغماتية

إنّ جميع المدارس الفكرية المثالية - التي ترسم في أفقها الوضع المطلوب والمثالي - تواجه صعوبة في إيجاد الصلة بين الوضع الراهن والواقع المعاش والمثالية التي تطمح إليها. وفي عالم الخيال يمكن بناء فروض عن كيفية العلاقة بين هذا الطموح والوضع الراهن. فمن الممكن أن تكون الحالة المثالية أمنية بحتة؛ أمنية يدّعي زعماء المذهب أنّ لديهم من الدلائل ما يكفي

١ - إكمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج ٢، ص ٤٠٩.

٢ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١١٠، الباب الثاني؛ راجع سورة المجادلة: ٢٢.

للإيمان الديني أو الفلسفي بتحققها. كما يمكن أن يتسبب الانهالك بالوضع الراهن، أو اتخاذ مُنحَى واقعيّ في التعامل مع الحاضر في تخفيف المثالية أو إصلاحها وتعديل مضمونها.

ونلاحظ في العالم الإسلامي - وعلى الرغم من إذعان جميع المسلمين بكافة المذاهب والطوائف بمبدأ المهديّة وظهور المهدي الموعود في آخر الزمان - ثلاثة توجّهات في الجمع بين المثالية والواقعية:

التوجّه الأوّل: غالبية المسلمين من أهل السنّة يؤمنون بأنّ المهدي الموعود سيولد في آخر الزمان، فليس له وجود خارجي في الوقت الحاضر. إنّ هذا التوجّه ينظر إلى مبدأ المهديّة كحقيقة وطموح سيحدث في المستقبل، ويشكّل حالة مثالية عند ظهوره، وهذا يطابق انتظار ظهور المسيح عند اليهود. وربما يضمّ هذا الأمل في الوضع الراهن والواقع المعاش في طياته آثاراً اجتماعية وروحية، لكنّه يخفق في التأثير المباشر على رسم الخطوط العريضة لبُنى الحياة الاجتماعية والسياسية الكلية؛ لأنّ الأمنية والطموح البحث لا يستطيعان أن يحملا معها رسالات إيجابية حول كيفية ترسيم العلاقات الراهنة؛ لأنّها تصطدم مع الواقع وتنعكس سلباً على من يحملها. فمثلاً هناك ثلّة من الأرثوذكس يدينون أية محاولة لإقامة دولة اليهود، لأنّهم يؤمنون بأنّ الدولة الشرعية لحكم اليهود لا تتحقّق إلاّ بمجيء المسيح، ومن هذا المنطلق يناهضون الحركة الصهيونية وغايات دولة إسرائيل الحالية.

التوجّه الثاني: هذا التوجّه يتعلّق بالتيار الغالب^(١) في المذهب الإسماعيلي. وقد اعتقد هذا التيار في البداية بغيبة محمّد بن اسماعيل وحجبه عن الأنظار، واعتبره المهدي الموعود وانتظر عودته الثانية.

١ - لقد بقيت فئة قليلة من الإسماعيلية كالقرامطة على رأيها المبدي حول مهديّة محمّد بن اسماعيل، حيث اعتبروه الإمام السابع للدورة المقدّسة السادسة والناطق للدورة السابعة، والإمام السابع لهذه الدورة في آخر الزمان؛ دون الاعتقاد بتكرار الدورات السبع المقدّسة في فترة الستر والغيبة الطويلة، وخلافاً للتيار الغالب في المذهب الإسماعيلي.

وبعدما نجحت محاولات الإسماعيليين في قيام أول دولة إسماعيلية في شمال أفريقيا - أي دولة الفاطميين في مصر - دعتهم إلزامات الحكم والواقعية نحو الاعتقاد بإمامة الحكّام الفاطميين، وقد أدى هذا الأمر إلى عدولهم عن بعض المناقشات الكلامية عن الإمامة وإعادة النظر فيها. وأدى هذا العدول إلى اعتقادهم بتكرار الدورات السبع المقدّسة بعد الدورة السادسة. فناطق الدورة السادسة هو الرسول الأكرم ووصيّ الإمام علي بن أبي طالب وإمامها السابع هو محمّد بن إسماعيل، وبهذا أنكروا مهدوية محمّد بن إسماعيل نهائياً، وقالوا بإمامة الأئمة الأحياء في أعقاب الأئمة الفاطميين. فالإذعان بالواقع عند غالبية الإسماعيلية وعجزهم عن التوثيق بين المثالية الأولى والواقع المطروح أدى بهم نحو إعادة النظر في مضمون المثالية الأولى.

التوجه الثالث: لكن في مثالية الشيعة الإمامية ترسخ التوثيق بين المثالية والواقعية بصورة مطلوبة؛ حيث نجح الشيعة وبالحفاظ على التوثيق المنطقي بين توفير متطلّبات وضعهم الحالي وأسس ومبادئ مثالياتهم، بتنظيم حياتهم الاجتماعية والسياسية سواء في العصر الحالي أو فترة الغيبة عموماً، وفق مبدأ الإمامة المحوري ودون عدول أو إعادة نظر في أيّ من أسسهم الكلامية ومضامين تصوّرهم عن مبدأ المهدوية.

ويؤمن فقهاء الشيعة وبالنظر إلى وجود العديد من الروايات الواردة عن الأئمة المعصومين - ولا سيّما صاحب العصر والزمان - بنيابة الفقيه العادل الجامع للشروط لإمام الزمان^(١). إذن ففي عصر الغيبة هناك مجتهد عادل له الولاية على الناس يتولّاها بالنيابة عن الإمام المعصوم.

١ - ينقل الشيخ الصدوق رحمته الله في كتابه (إكمال الدين وإتمام النعمة) توقيع (رسالة) الإمام المهدي التي أصدرها للإجابة على تساؤلات إسحاق بن يعقوب عن طريق نائبه الخاص محمّد بن عثمان العمري حيث أراد فيها من الشيعة أن يراجعوا حملة علمهم فيما أصابهم من مشاكل وأحداث. وهذا هو نصّ الحديث: «أَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَأَقَعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رُؤَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ، وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ».

وأتفق جميع فقهاء الشيعة الإمامية على مبدأ الولاية ونيابة الفقيه العادل عن المعصوم، وإن اختلفوا في حدود هذه الولاية والنيابة. ومن اعتقد منهم بـ«ولاية الفقيه العامة» فقد جعل لهذه الولاية نطاقاً واسعاً يشمل كافة شؤون ولاية الإمام المعصوم، ومنهم من ذهب في تحديدها في شؤون خاصة ومحددة كالأمور الحسبية وتوليئه لأمر القضاء.

وعلى كل تقدير، فإن مبدأ النيابة وولاية الفقيه هو في الواقع استمرار لآثار وبركات الإمامة في مستوى أدنى، حيث يحافظ على اتصال الشيعة بمبدأ الإمامة في عصر الغيبة وفترة الانتقال نحو العهد المثالي.

وكما نلاحظ فإن في التصور الشيعي عن المهذوية لا يتم إهمال الحاضر ومتطلباته والواقع المفروض وإحالة الملفات العالقة الحالية إلى ذلك العصر المثالي الموعود، بل على العكس من ذلك؛ فالشيعة كانت ولا زالت مطالبة بالحضور الفاعل والمؤثر في شتى الميادين الاجتماعية والسياسية والعبادية في إطار مبدأ ولاية وإمامة المعصومين، وبالتأسي بنوابه الخاصين في عصر-الغيبة الصغرى ونوابة العاممين في فترة الغيبة الكبرى، وذلك لولا الفراغ الذي تركه الإمام بغيبته وعدم حضوره بصورة مباشرة.

وتمتاز الشيعة عن المذاهب الأخرى بهذا النمط من التوثيق بين المثالية والواقعية، وبالكاد لا نجد نموذجاً مماثلاً في المثاليات الأخرى يقترب إلى هذا الشكل من التوثيق.

ونختتم هنا الجزء الأول من المقال، والذي خصصناه لمناقشة أهم سمات مثالية الشيعة، ونناقش فيما يلي الوجه الدنيوي لهذه المثالية العظيمة.

القسم الثاني: الوجه الدنيوي للمثالية الشيعية

إن من شأن الإيمان بتحقيق مستقبل مطلوب ومثالي ومحقق أن يبعث الأمل في القلوب والرغبة والحركة في النفوس. كما يمكن أن يترك

انعكاسات تخريبية على المستوى الفردي والاجتماعي تتمثل في: السبات، والعزلة، والتقاعس. إنَّ التبلور العملي والعيني للمثالية - والذي عبّرنا عنه بالوجه الدنيوي للمثالية - في صلة مباشرة مع مضمون هذه المثالية وكيفية تبين وتفسير صلتها بالحياة الفردية والاجتماعية اليومية للمؤمنين بها. ولا بدّ من المقارنة بين تصوّرين عن المهديّة في المجتمع الإسلامي لإيضاح هذه الصلة:

بناءً على التصرّح الأوّل: تكمن فلسفة غيبة المهدي بعدم توفر الظروف المتّاحة للظهور. وتوفّر هذه الظروف من حيث التوقيت يأتي عندما تملأ الأرض ظلماً وجوراً، حسبما جاء في الروايات. ومن جانب آخر وحسب هذا التصرّح فلا دور لوضع الشيعة ولموالي القوائم وموقعهم في قضية الظهور.

ووفقاً لهذه الرؤية من فلسفة الغيبة وأشراط الظهور، لا يوجد أيّ تكليف وواجب على عاتق الشيعة والمؤمنين بالمهديّة سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي؛ لأنّهم ليسوا مسؤولين عن خلق ظروف لتخفيف الظلم والجور على المستوى الاجتماعي وعلى المستوى الفردي، لا يحمّلهم مبدأ المهديّة أيّ مسؤولية وإلزام مضاعف للإعداد النفسي - وبناء الذات للفترة القادمة. وتأكيدنا على عدم الإلزام المضاعف لتهديب النفس وبناء الذات يأتي للتذكير بأنّ المسلمين عامة مكلفون وفق التعاليم الإسلامية بالتقوى وتهذيب النفس؛ لكن في هذا التصرّح عن المهديّة لا تلقى فكرة انتظار ظهور المهدي تكليفاً وواجباً خاصاً على المؤمنين بالقضية.

وأما في التصرّح الثاني لمبدأ المهديّة: فترجع غيبة المهدي لعدم توفر الظروف الإنسانية لظهوره. وفلسفة غيبة الإمام لها علاقة مباشرة بحالة الأشخاص ومدى استعدادهم لإدراك ظروف الظهور. فعلاقة المهدي بالأئمة كعلاقة سائر الأئمة معهم؛ فحرمان الناس من زعامة وقيادة الأئمة لهم نتج عن انعدام الظروف الإنسانية المؤاتية والتي تمثّلت في إعراض

الناس عنهم، أو في غلبة المفسدين والطواغيت عليهم، ومحاولات إبعادهم عن الاتصال بالناس وإبعاد الناس عنهم. فالمهدي لم يشكّل استثناء في ذلك، فلو استعدّ الناس الاستعداد اللازم لحضوره وهدايته سيعجل في ظهوره.

من الطبيعي وحسب هذا التصوّر أن تتوجه مسؤولية فردية واجتماعية كبيرة نحو المنتظرين والمتلهّفين لتلك الحالة المثالية. فالإيمان بالمهدوية يوجّه مسؤولية على المستوى الفردي في بناء الذات وتهذيب النفس، كما يلقي على عاتق المؤمنين على المستوى الاجتماعي مسؤولية ورسالة خاصّة، ألا وهي إعداد الظروف الاجتماعية لحكومة الصالحين.

ونتصوّر بأنّ هناك على الأقل ثلاث عوامل مصيرية هامّة تؤثر على اتجاهات الوجه الدنيوي لمبدأ المهدوية وأداءه الفردي والاجتماعي:

العامل الأوّل: تلقّي المجتمع الشيعي وفهمه من فلسفة الغيبة، وكيف تكوّنت تلك الذهنية في عقليته عن أسباب غيبة الإمام المهدي.

العامل الثاني: مضمون الإيمان الشيعي وتصوّراته الاعتقادية حول شخصية إمام العصر الروحية والعلمية، ومدى إشرافه وحضوره ودوره وأثره في فترة الغيبة.

العامل الثالث: كيفية هداية المجتمع الشيعي العينية والعملية في عصر-الغيبة؛ وبتعبير آخر: كيفية تبلور واستمرار ولاية الإمام المعصوم وإمامته في فترة غيابه وعدم التواصل المباشر معه.

ويبدو أنّ آثار وتبعات المثالية الشيعية بشقيها السلبي والإيجابي، في مجال الحياة الفردية والاجتماعية قد تأثرت بصورة كبيرة بهذه التصوّرات والذهنيات الثلاث التي ترسّخت في عمق المجتمع الشيعي الإيماني. ولا يمكن إنكار هذه الحقيقة بأنّه: لا يوجد تفسير وفهم موحد ومشترك كامل عن التصوّرات الثلاثة الماضية، وقد تسبّب هذا الخلاف في الفهم بدوره

على أن تكون للمهدوية انعكاسات وأدواراً مختلفة في المجتمعات الشيعية خلال التاريخ الماضي. وعلى الرغم من هذا لا يمكن أيضاً إهمال نقطة أساسية؛ فمع وجود بعض التباين في الرؤى، تكوّن تصوّر وفهم مبدئي غالب حول التصوّرات الثلاثة في عالم التشيع تأثرت به على نحو خاص هوية الشيعة التاريخية، ولا سيّما في مبدأ المهدوية.

ونسعى من خلال السطور الآتية وبإيجاز تبين جوانب هذا الاتجاه والتفسير الغالب ومضمونه؛ حيث يجتمع غالبية المجتمع الشيعي تحت خيمته ويؤمنون به مهما كان موقفهم تجاه تلك التصوّرات الثلاثة، ومن ثمّ نقدّم قائمة من نتائج هذا التصوّر العام عن المهدوية وأثره في حياة مجتمع الشيعة الفردي والاجتماعي.

إنّ السلف من علماء الشيعة - وكما نعلم - قدّموا آراء مختلفة عن فلسفة الغيبة. ومن الطبيعي أنّ الحافظ لدخول مجال هذا البحث كان أكثر في العهود القريبة من بدء الغيبة، وتراجعت وبمرور الوقت حدّتها عند العلماء المتأخّرين، نظراً لتجذّر وترسيخ الإجابة عن هذا السؤال عند الشيعة.

ويتّجه فهم وتصوّر غالبية علماء الشيعة الإمامية من فلسفة الغيبة إلى القول بعدم ملائمة الظروف الإنسانية للاستفادة من حضور الإمام العيني، واستغلال هدايته نحو الكمال المنشود. وتؤمن الشيعة قاطبة بأنّ سبب غيبة الإمام يرجع إلى عدم صلاحية الأشخاص في الاستمتاع بوجود الإمام. وقد أخفاه الله تعالى خلف ستار الغيب للحيلولة دون وقوع ما جرى في حقّ آبائه الطاهرين من ظلم وجفاء وجور، وإلى ميقات يوم معلوم تتوفر فيه الظروف الإنسانية، ويجد فيه ما يكفي من الأعوان والأنصار المؤهلين لنصرته والممهدّين لسبيل ظهوره.

ونشير هنا إلى وجهات نظر بعض كبار علماء الشيعة الذين كان لآرائهم حول فلسفة الغيبة دور أساسي في تكوين وترسيخ التلقّي الشيعي لهذا المفهوم الهام، ومنها:

يرى الشيخ الطوسي أنّ وجود الإمام المعصوم لطف من الله على الأمة، والسبب في حرمانهم من كرم حضوره يرجع إلى أنفسهم، فنفوسهم ليست على استعداد للاستفادة من كرم وجوده.

ويقول الشيخ الطوسي: إن وجود الإمام المنبسط اليد إذا ثبت أنّه لطف لنا على ما دللنا عليه، ولم يكن إيجاده في مقدورنا لم يحسن أن نكلّف إيجاده؛ لأنّه تكليف ما لا يطاق، وبسط يده وتقوية سلطانه قد يكون في مقدورنا وفي مقدور الله، فإذا لم يفعل الله تعالى علمنا أنّه غير واجب عليه، وأنه واجب علينا؛ لأنّه لا بدّ من أن يكون منبسط اليد ليتمّ الغرض بالتكليف، وبيننا بذلك أنّ بسط يده لو كان من فعله تعالى لقهر الخلق عليه، والحيلولة بينه وبين أعدائه، وتقوية أمره بالملائكة ربما أدى إلى سقوط الغرض بالتكليف، وحصول الإلجاء، فإذا يجب علينا بسط يده على كلّ حال، وإذا لم نفعله أتينا من قبل نفوسنا^(١).

ويقول الشيخ المفيد: [أن لو نتج شرّ وفساد عن غيبة الإمام، فألقوا باللائمة على من تسبّبوا بغيبته بأعمالهم السيئة].^(٢)

ويقول نصير الدين الطوسي - والذي لأعماله الكلامية وخاصة كتاب (تجريد الاعتقاد) التأثير البالغ والمؤكّد في آراء الشيعة الكلامية - عن فلسفة الغيبة: [إنّ الغيبة لم تأتي من إرادة الله أو من إرادة الإمام، بل يجب تقصّي-

١ - الغيبة للطوسي: ص ١١.

٢ - الفصول العشرة في إثبات الحجّة للمفيد: ص ٢٥.

سبب الغيبة في أعمال المكلفين - وهي الخوف وعدم التبعية - ويوجب الظهور عند زوال سبب الغيبة [١].

وأما عن علاقة الإمام الروحية مع المؤمنين في عصر الغيبة فنقول: إن الشيعة وبالنظر إلى الروايات الموجودة حول موقع الإمام الرفيع وشأنه الجليل، تعتقد بما لا يعتره الشك أن إمام العصر على علم واطّلاع بما يجري من أحداث وشؤون؛ فتعرض عليه أعمال الأشخاص وهو وسيط فيض الهداية. وإن تعدّرت رؤيته الظاهرية في العلى على الناس، لكن يمكن الالتقاء به في حالات خاصّة لخاصّة المؤمنين. وقد تأثرت الحياة الأخلاقية والروحية الشيعية بقدر كبير بهذا الاعتقاد، وسنشير إليها لاحقاً ضمن هذا المقال.

ولم تهمل المثالية الشيعية الوضع في عصر الغيبة - وكما أسلفنا ذلك عند الحديث عن واقعية هذه المثالية - فمبدأ النيابة وولاية الفقيه العادل في عصر الغيبة يشكّل الضمان لاستمرار فكر الإمامة العيني والملاحظ بين الشيعة. إن الإيمان بنياية الفقيه العادل الجامع للشرائط من قبل الإمام المعصوم، وولايته على الناس، والاعتقاد بنصب وتوقيع الإمام المعصوم له في مرجعية الناس، وزعامته في كلّ ما يوكل الناس قضاءه إليه، خلق بيئة خاصّة لديمومة واستمرارية هوية التشيع التاريخية، وأدّت إلى نتائج ومنجزات اجتماعية خاصّة.

ونستعرض هنا أهم انعكاسات المثالية الشيعية وأدائها في حياة الشيعة الفردية والاجتماعية:

١ - رسالة الإمامة لنصير الدين الطوسي، المطبوعة مع تلخيص المحصل: ص ٤٣٣.

١ - التماسك الاجتماعي:

يوضح تاريخ الشيعة بوضوح الدور الهام الذي قام به مبدأ الإمامة في حياة هذه الطائفة. فالتشيع تكوّن وترعرع حول محور الإمامة، وقد حافظ على تماسكه وتابع هويّته في ظلّ هذا المبدأ الاعتقادي. ويستمر هذا الدور التاريخي في مبدأ المهدوية؛ لأنّ المثالية التي تبحث عنها الشيعة تدور على مدار الإمامة، فهي بانتظار إمامها الغائب وعودته، وتقوم فكرة المهدوية بدورها الاجتماعي في خلق التماسك، والانسجام بين الشيعة، والحوّول دون تشتّتهم. وكما أشرنا مسبقاً فقد تعزّز هذا الدور الاجتماعي بعد ظهور المؤسسة الدينية بشكل عام، ومفهوم المرجعية الدينية وولاية الفقيه العادل بالنيابة عن الإمام المعصوم بشكل خاص.

قد قامت الحركات الجماعية الشيعية في عصر الغيبة متأثرة بالدور الذي لعبه فقهاء الشيعة العادلين ومراجع التقليد. ولا ننسى دور هؤلاء العلماء في توجيه الشيعة الفكرى والروحي. وبدوره تعرّض هذا الدور للصعود والهبوط بموازاة التغييرات الطارئة على الظروف السياسية والاجتماعية للشيعة باعتبارهم أقلية في العالم الإسلامي. فتعزّز هذا الدور عندما تعزّز موقع الشيعة ووزنهم بين المسلمين، وتأثر سلباً في أوقات الوهن والضعف التي تعرّضت له الشيعة. ولكن السبب الذي أسهم إلى حدّ كبير في نجاح هذا الدور الاجتماعي وتحققه على أرض الواقع يرجع إلى نقطة مفصلية هامة، وهي: شرعية هذه السلطة الطائفية، وقوّة ونفوذ علماء الشيعة والفقهاء الجامعين للشرائط، والذي تنبثق من نيابتهم وولايتهم من قبل إمام العصر والزمان. ومن هذا المنطلق نعتبر خلق التماسك الاجتماعي من أهمّ الوجوه الدنيوية لمبدأ المهدوية في الفكر الشيعي، وانعكاساً ونتاجاً للمثالية الشيعية.

٢ - المناهضة الحذرة للباطل

إن التحليل المنصف لعقائد الشيعة حول الإمامة لا يتفق وبوضوح مع اتجاه غالبية المستشرقين وبعض مؤرخي علماء السنة، الذين يسعون إلى الانتقاص من الشيعة، وتقديمهم كحزب أو تيار سياسي، ويقلصون الصراع التاريخي بين الشيعة والسنة في نطاق الصراع السياسي حول الخلافة وقيادة الأمة الإسلامية السياسية. وتأكيد الشيعة على حق الأئمة المعصومين في إمامة الناس، وقيادة المجتمع من الجانب السياسي، وحق الفقهاء في تقلد هذه المناصب بالنيابة عنهم (الفقهاء الجامعين للشرائط) لا يعني أبداً حصر موقع الإمام المعصوم ودوره في الولاية السياسية على المجتمع.

فالولاية السياسية هي إحدى الشؤون التي يقوم بها الإمام المعصوم، وأقل شأنًا وأهمية من زعامته العلمية والروحية. ولكن ولأسباب تاريخية، ولوجود حساسيات سياسية متزايدة لدى الحكومات غير شيعية وحماتها من أهل السنة، أدى تبني هذا الرأي من قبل الشيعة إلى مواجهة أعتى المضايقات السياسية والاجتماعية لهذه الأقلية الطائفية.

وقد تعلم الشيعة وبالتأسي من أوامر أئمتهم المعصومين أن يطلقوا على هذه الحكومات عنوان: حكومات الجور والطاغوت، ويمتنعوا عن التعاون معها وتعزيز سلطتها^(١). كما أنهم كانوا مطالبين بانتهاج سبيل التقية

١ - هناك روايات عدة تنفي وتستنكر التعاون مع الحكومات الغاصبة. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لَوْلَا أَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَدُوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ، وَيَجِبِي لَهُمُ الْفِيءَ، وَيُقَاتِلُ عَنْهُمْ، وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ، لَمَا سَلَبُونَا حَقَّنَا...»، الكافي: ج ٥، ص ١٠٦، ح ٤.

وهناك استثناءات في حالات خاصة تتعرض فيها الأرواح إلى المخاطر أو تتعدّر السبل الأخرى لإمرار المعاش، وقد أشار المعصومون إلى هذه الحالات، فقد ورد أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام: «سُئِلَ عَنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ يَخْرُجُ فِيهِ الرَّجُلُ. قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا يَأْكُلَ وَلَا يَشْرَبَ وَلَا يَقْدِرَ عَلَى حِيلَةٍ، فَإِنْ فَعَلَ فَصَارَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ فَلْيَبْعْ بِخُمْسِهِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ»، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٣٣٠، ح ٣٦.

ليحافظوا وبذكاء على حياتهم وحياة ذويهم، وقد حصلت حالات أمروا فيها بالتعاون مع منظومة الطاغوت، إذا كان تعاونهم يقدم خدمة للمجتمع الشيعي، أو كان فيه المحافظة على أرواحهم ووصون كرامتهم. وقد شجّع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام علي بن يقطين بالتعاون مع هارون الرشيد ووزاراته.^(١)

على أيّ تقدير، فالجمع بين الأمرين - يعني: استنكار أي سلطة سياسية لا تقوم حول إمامة وولاية المعصومين واعتبارها غاصبة ووجوب التقيّة لصيانة كيان التشييع، والحفاظ على بقائه وديمومته - أسس روحاً ونظرةً سياسية خاصة في تاريخ التشييع نعبّر عنها بـ «المناهضة الحذرة للباطل». ففي حين رفض الشيعة التقرب والتعاون مع مؤسسات السلطة السياسية الحاكمة، واتخذوا منهج العصيان المدني في أطره المختلفة: كالامتناع عن دفع الرسوم والخراج والضرائب، والامتناع من الدخول إلى نسيج السلطة السياسي والمؤسسات العسكرية والقضائية وما شابهها، سيطروا وتحكّموا وفقاً لإمكاناتهم على نزعة التمرد والحلول الثورية بالالتزام بمبدأ التقيّة، ولم يشهد التاريخ عصياناً وتمرداً واسعاً وشاملاً من قبل الشيعة إلا فيما قلّ وندر، وفي حالات معدودة انجرّ إليها عدد محدّد من الشيعة.

ونؤكد أنّ هذا الانعزال السياسي كان في حالات يتّسم بالذكاء والترصد، حيث لم يتردّد الشيعة في انتهاز الفرصة لإنشاء دولة ذات طابع شيعي متى ما سمحت الظروف وسمححت الفرصة.

٣- الانتظار الإيجابي الفاعل

لقد سبق وأشرنا إلى أنّ انتظار الوضع المثالي يستبطن في ذاته التقاعس والعزلة الاجتماعية والتهميش، لكن ولأسباب عدّة لم تظهر هذه المؤشّرات والتبعات السلبية في تيار الشيعة الأساسي والغالب، وإن شوهدت بعض

١ - قَالَ الرَّضَا عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ السُّلْطَانِ أَوْلِيَاءَ يَدْفَعُ بِهِمْ عَنْ أَوْلِيَائِهِ».

من هذه المظاهر في فترات مختلفة هنا وهناك وعلى مستويات متدنية ومنخفضة محدودة.

وفي الواقع هناك روايات كثيرة تشير إلى الفضيلة الموجودة في انتظار الفرج، وتشجع وتحفز عليه بصورة خاصة. وذكرت بعض الروايات أنه أفضل الأعمال، والبعض الآخر جعلته سبباً لتقبل عمل العباد إلى جانب التصريح بالشهادتين. وقال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي أَنْتَظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِهِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ... وَالْأَنْتَظَارُ لِلْقَائِمِ»^(٢).

وربما شكّل فهم علماء الشيعة البارزين الصحيح والمعتمّق لفلسفة الغيبة وجهودهم الجبّارة في تبين هذه الفلسفة بصورة سليمة من جانب، وبيان مهام ومسؤوليات الشيعة في عصر الغيبة من جانبٍ آخر، سبباً هاماً حال دون وقوع الانتظار في فخّ الانفعال والعزلة والتقاعد. ولم يوكل كبار علماء الشيعة، من أمثال الشيخ المفيد وعلى أثره السيّد المرتضى والشيخ الطوسي والعلامة الحلي، حقوق الإمام المعصوم وواجباته الاجتماعية والسياسية الخاصة، إلى حين ظهوره، وأدّعوا بأنّ بعض هذه المهام (كإقامة الحدود، وأخذ الوجوه الشرعية، والقضاء بين الناس و...) تمّ تفويضها إلى الفقيه العادل والجامع للشرائط. وقد أدّى هذا الأمر إلى أن تمتلك الشؤون الفقهية والاجتماعية للشيعة في عصر الغيبة الطاقة اللازمة للاندماج مع السلطة السياسية المتمركزة (الحكومة والدولة) وأن تكون أحكام الفقه الشيعي الاجتماعيّة بشكّلها المتكامل

١- وسائل الشيعة: ج ٦، ص ١٣٩، الكافي: ج ٥، ص ١١٢.

٢- بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٨، ح ٢١، الباب ٢٢، الغيبة للنعماني: ص ٢٠٠.

- شأنها شأن فقه أهل السنة الذي يستند ويتماثل بطبيعته وفكرة الحكومة والسياسة - بإنشاء حكومة شرعية وعادلة.

ويقول مادلونج في هذا الإطار:

إنّ فقه الإمامية كفقه أهل السنة يولي للحكم - وفي الكثير من المضامين الفقهية - أهمية بالغة، ويرسم له دوراً حيويّاً، فمن العجيب ووفقاً لهذه الأهمية الاعتقاد بوقوع الفوضى بين الأمة الإسلامية في حالة التخلّص من سلطة الغاصبين للحكم في زمن الغيبة. إنّ الكتب الفقهية الإمامية تتحدّث في الحقيقة عن حكومة السلطان العادل، وتميّز بصراحة وشفافية السلطان العادل من الإمام المنصوب من جانب الله ومن السلطان الجائر.^(١)

إنّ احتواء الفقه الشيعي على جوانب سياسية وحكومية، وقبول مبدأ ولاية الفقيه وحاكم الشرع العادل جعلت الشيعة على استعداد دائم لتنفيذ حركات إصلاحية على مستوى حياتها السياسي والاجتماعي. وبهذا السبب - وعند توفّر الظروف العامة في فترات سابقة - انحاز الشيعة وفقهاؤهم العلماء إلى جانب المباني السياسية التي لم تخل من ضعف ومشاكل، ودخلوا مجال الحياة السياسية بقوة وفاعلية. بالرغم من رؤيتهم المتّسمة بالواقعية وإذعانهم بوجود مسافة نسبية بين ما بنوه والوضع المثالي المرتقب، وبل مع الحالة المقبولة في عصر الغيبة، إلّا أنّهم تجنّبوا الانفعال والانعزال، وجمعوا بين انتظار الموعود الأخير وبين الحضور الفاعل والنشط في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ربّما كان انتصار الثورة الإسلامية في إيران ذروة هذه الرؤية الفاعلة النشطة لانتظار الإمام الموعود في الفترة المعاصرة.

١ - مكتبها وفرقه‌های اسلامی در سده‌های میانه، لویلفرد مادلونگ، ترجمة جواد قاسمي: ص ١٩٢.

٤- الإعداد الروحي والأخلاقي:

حسب اعتقاد الشيعة الإمامية: فإنّ الأرض لا تخلو من حجة أو من خليفة لله سبحانه وتعالى. إذن وفق هذا الرأي ترى الشيعة: أنّ إمام العصر شاهد وناظر عليهم والعلاقة الروحية والمعنوية قائمة بينهم وبين الإمام. فالإمام - حسب رأيهم - وإن ابتعد على الظاهر من هداية العالم والخلق وإدارة الشؤون السياسية والاجتماعية، لكنّه يبقى هادياً بالأمر^(١)، وواسطة الفيض الإلهي لشؤون الشيعة الإيمانية والروحية. كما تؤمن الشيعة من جانب آخر - مستلهمة من التعاليم الخاصة بفلسفة الغيبة - بأنّ الإعداد، وتهذيب النفس، وتعزيز روح الإيمان، وتوفير الظروف الإنسانية، واكتساب المؤهلات اللازمة لإدراك فيض حضور المهدي ستعجل بفرجه وتعيّن في ظهوره.

وقد أدّى الإيمان بهذه الآراء بدوره في التأثير المباشر لمضامين المثالية الشيعية - بمعناها الأصحّ والحقيقي - على حياة المؤمنين بهذا المبدأ - أي الفردية والأخلاقية - يتبلور عملياً من خلال ارتفاع المستوى الأخلاقي لأتباعه سواء على شكله الفردي أو الاجتماعي.

ومن البديهي أنّه لا يمكن حصر نتائج مبدأ المهذوية ومعطياتها في الحياة الاجتماعية والفردية الشيعية بهذه النقاط التي أشرنا إليها في هذا المقال. إنّ ما أوردناه - وحسب تصوّرنا - غيض من فيض وتتضمّن أبرز وأهم الوجوه الدنيوية للمثالية الشيعية.

وهناك مجال مفتوح واسع أمام الباحثين في هذا المجال للبحث والتدقيق؛ خاصّة لو حضرت الرؤية التاريخية والسوسولوجية. فحينئذٍ

١ - «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ»، الأنبياء: ٧٣.

يمكن - ومن جوانب مختلفة - إحصاء النتائج السلبية لهذا المبدأ والتي حصلت نتيجة سوء التفسير، وسوء الفهم للمثالية المهدوية، وإهمال التفسير الغالب، والابتعاد عن التصور الصحيح لفلسفة المهدوية ومضمونها.

مع المهدي المنتظر في دراسة منهجية مقارنة بين الفكر الإسلامي الشيعي والسني

مهدي الفتلاوي

المهدي (عج) في التصور الإسلامي الواعي:

لم يطرح الإسلام قضية المهدي مجرد فكرة خيالية، تبشر - بقائد مُبهم سيظهر في المستقبل المجهول، لإنقاذ البشرية من الظلم والجور، بل طرحها كقضية عقائدية، ذات معالم واضحة ثابتة في التصور الإسلامي، وحاضرة في ضمير الأمة ووجدانها، وحاضرة في حياتها السياسية والجهادية، وهي تصارع واقعها الاجتماعي المنحرف. وتسعى لتغييره نحو الإسلام، وتواجه رموز الكفر والضلال في معاركها الجهادية مع أعدائها، كل ذلك من أجل تهيئة الأرضية الايمانية والرسالية الملائمة لاستقبال قائدها المرتقب، لأنها على موعد مفاجئ لاستقباله والمشاركة في ثورته العالمية. والموعود لاستقبال الثائر العالمي - حينما يكون غير محدد التاريخ - يعني: الاستعداد الدائم، والتهيؤ المستمر لاستقباله، والمشاركة في حركته الثورية العالمية، لأننا نتوقع ظهوره في كل يوم.

إن فكرة الثائر العالمي المنتقم من أعداء الله، هي بحد ذاتها تحدّد لعالم مليء بالظلم والجور؛ زاحر بالفساد والضلال، عالم تحكمه المنافع المادية، وسيطر على مقدراته الطاغوت وجبروت القوة الظالمية، والمهدي المنتظر ثورة شاملة، على جميع جوانب الحياة المنحرفة التي تسود المعمورة وتسيطر عليها بجبروتها وسلطانها. وتملاً الأرض ظلماً وجوراً.

ومن الطبيعي أن تبعث هذه الفكرة الغيبية الروح الثورية والمشاعر الجهادية في الوجدان الإسلامي، لأنها تجسّد في ضمير المنتظرين الثورة على

الظلم والجور، وعلى الكفر والشرك، والرفض المطلق لجميع أشكال الانحراف، والتحدّي العقائدي لأئمة الكفر والطاغوت مهما تفرّعت قواه، وتعملقت سطوته، وامتدّ سلطانه.

وفي الوقت الذي تمثّل فيه الفكرة المهدية صرخة مدوية بوجه طواغيت الأرض، ورفضاً مطلقاً لكل أشكال الانحراف عن القيم الإلهية، فهي أيضاً دعوة مفتوحة تحثّ المسلمين على الالتزام الصحيح بالإسلام عقيدة وشرعية، لأنّ ثورة المهدي ونهضته لا تنطلق من المجتمعات الأوروبية، بل تنطلق من داخل المجتمعات الإسلامية، لتبدأ بتصفيتها من المسلمين المنحرفين عن الإسلام، ممّن لم يوفّقوا للتوبة وإصلاح أنفسهم قبل ظهور المهدي.

و هكذا نرى أنّ قضية المهدي المنتظر قد تحوّلت في التفكير الإسلامي الواعي إلى عملية انتظار حركية وجهادية واعية، تقود المنتظرين لخوض معركة تربوية ذاتية، وهي معركة الجهاد الأكبر مع الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، بهدف الانتصار عليهما، وتطهير الباطن من عوامل الانحراف، التي تمنع المسلم من التشرّف برؤية المنتظر وتصدّه عن السير على منهاجه. وفي نفس الوقت يدعو الإسلام كلّ مسلم للدخول في ساحة المواجهة العقائدية والسياسية والجهادية مع أعدائه، ليشارك في عملية التمهيد لظهور قائده المنتظر عليه السلام وليكون على أتم الاستعداد لاستقباله وخوض معارك الفتوحات العالمية بقيادته، والمشاركة في تأسيس دولة العدل الربانية في ظلّ خلافته العالمية.

التأمّر على القضية المهدية:

هناك حركة تأمرية على القضية المهدية، قديماً وحديثاً تتخذ تارةً طابعاً سياسياً وأخرى طابعاً فكرياً، كما يفهم من حلقاتها التاريخية، وتستهدف

هذه الحركة التأميرية بصورة عامة طمس معالم القضية المهدية في الإسلام والقضاء عليها في وجدان الأمة.

بدأت هذه المؤامرة تاريخياً في عصر الخلافة الأموية في محاولة من معاوية نفسه^(١). لتطبيق فكرة المهدي على عيسى بن مريم عليه السلام لقتلها في التصور الإسلامي، والقضاء على جذورها الإيمانية وفعاليتها الرسالية والجهادية في المجتمع الإسلامي. فقال لجماعة من بني هاشم: «زعمتم أن لكم ملكاً هاشمياً، ومهدياً قائماً، والمهدي عيسى بن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلّمه له!!»

وواضح من هذا الحوار، أن معاوية يريد أن يقضي على فكرة المهدية في الإسلام، ويجعلها من خصائص الديانة المسيحية، ومع ذلك يحاول تسخيرها لصالح الخلافة الأموية، ليبعد الخلافة عن أهل البيت طول التاريخ لتبقى دائماً في بني أمية حتى يسلموها لعيسى بن مريم عليه السلام.
وكان ابن عباس من جملة الحاضرين من بني هاشم في هذا الحوار، فلم يسمح لمعاوية وهو يسعى لتحريف الأحاديث النبوية، ويتلاعب بعقائد الإسلام وأفكاره ومفاهيمه لصالح السياسة الأموية الظالمة، فإذا قال لمعاوية؟، قال له:

«اسمع يا معاوية، أمّا قولك: إنا زعمنا أن لنا ملكاً مهدياً، فالزعم في كتاب الله شكّ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾^(٢)، أمّا قولك: إن لنا ملكاً هاشمياً، ومهدياً قائماً، فكلّ يشهد أن لنا ملكاً ومهدياً قائماً، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لملكه الله فيها، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، أمّا قولك: إن

١ - في الواقع نعتقد أن هذه المؤامرة بدأت بالتحديد بعد وفاة رسول الله (ص) مباشرة، في مخطط منع السنة النبوية من التدوين والانتشار.

٢ - التغابن: ٧.

المهدي عيسى بن مريم، فإنما ينزل عيسى لقتل الدجال، والمهدي رجل منّا أهل البيت، يصليّ عيسى خلفه»^(١).

ومن هذه المواجهة بين معاوية وابن عباس نعلم أن الأحاديث التي طبقت فكرة المهدي ﷺ على عيسى بن مريم عليه السلام هي جزء من حلقات المؤامرة السياسية على القضية المهدية من قبل بني أمية، بهدف إقصاء أئمة أهل البيت عن الخلافة، وقد أجمع علماء الجرح والتعديل من أهل السنة على ردّ هذه الأحاديث لمعارضتها للمتواتر والصحيح عن رسول الله ﷺ من أن المهدي من أهل البيت ومن ولد فاطمة عليها السلام.

و من الأحاديث الموضوعة في المهدي ﷺ لصالح السياسة الأموية حديث أنس المنسوب لرسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم»^(٢).

و قد أسقط العلماء هذا الخبر من الاعتبار بدليلين:

الأول: من جهة السند، فاتفقوا على أن آفته من محمد بن خالد الجندي، وهو من الوضّاعين المعروفين، لثبوت تلاعبه بالأحاديث الصحيحة، كما فعل في حديث المساجد التي تشدّ إليها الرحال، وهو حديث صحيح، لكنه رواه هكذا: تشد الرحال إلى أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد الأقصى، ومسجد الجند^(٣). فجعل محمد الجندي لمسجد بلدته،

١ - الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ١١٦ - ١١٧ نقلاً عن تاريخ الطبري، وروى هذا الحوار ابن أبي شيبة في مصنفه بسند صحيح، لكنه لم يصرح باسم معاوية، كما رواه نعيم بن حماد في الفتن: ص ١٠٢ بسند صحيح أيضاً وفيه بعض الاختلاف، ونقله المتقي الهندي عن ابن أبي شيبة، وعن نعيم في كتابه «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان»: ج ٢ ص ٥٩٢ - ٥٩٣، وقال محقق الكتاب في الهامش: التخريج صحيح.

٢ - سنن ابن ماجه: ج ٢ ح ٤٠٣٩.

٣ - تهذيب التهذيب: ج ٩ ص ١٢٥ - ١٢٦.

مكاناً مقدساً بين المساجد المعظمة.

الثاني: من جهة المتن، فاتفقوا على أن هذا الخبر منكر^(١)، لمعارضته لما جاء متواتراً عن رسول الله ﷺ من أن المهدي من ولده ومن عترته، ومن أهل بيته، ومن أبناء فاطمة، وإن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل في زمانه من السماء ويصلي خلفه، ويقتدي به تأييداً لخلافته الإلهية، وقد جاء خبر اقتداء عيسى عليه السلام بصلاة المهدي المنتظر في الصحاح الستة، وفي طليعتها صحيح البخاري ومسلم.

و على أي حال، فإن محاولة الأمويين تطبيق فكرة المهدي على عيسى بن مريم عليه السلام، قد باءت بالفشل، لذلك استخدموا أسلوباً آخر لاستغلال القضية المهدية لصالح السياسة الأموية، فوضعوا بعض الأحاديث المصرحة بأن المهدي من بني أمية، ومن ذكائهم ودعائهم أنهم نسبوا هذه الأحاديث لرواة من الصحابة والتابعين من بني هاشم، لتكون مقبولة عند عامة المسلمين. فرووا عن ابن عباس أنه سئل عن المهدي فقال: «إنه من عدنان من بني عبد شمس»^(٢).

وفي رواية عن محمد بن الحنفية قال: «إنه إذا كان فإنه من ولد عبد شمس»^(٣) وعبد شمس هو الجد الأعلى للأمويين.

وحاول بعضهم تطبيق أوصاف المهدي على عمر بن عبد العزيز، أو على غيره من الأمويين؛ ولكن كل محاولاتهم هذه لم تجد نفعاً، لكثرة الأحاديث المصرحة بأن المهدي عليه السلام من أهل بيت

١ - راجع: مناقشة علماء أهل السنة لهذا الحديث في «الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني، و«عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» للشيخ عبد المحسن العباد، وهو بحث روائي قيم، مجلة الجامعة الإسلامية في الحجاز، العدد ٣، السنة الأولى من ١٣٨٨ هـ ذي القعدة الموافق لـ ١٩٦٩ م شباط.

٢ - الفتن لابن حماد: ص ١٠٣.

٣ - المصدر السابق: ص ١٠٢.

رسول الله ﷺ .

و بعد نهاية الخلافة الأموية لاقت القضية المهدية مؤامرات فكرية وسياسية خطيرة جداً، لأنها كانت بتخطيط من رجال يتمون الى البيت الهاشمي، من الحسين والعباسيين، ممن انتحلوا صفة المهدي ﷺ وتسموا باسمه، وتلقبوا بألقابه المعروفة والثابتة له في الأحاديث المروية بشأنه عن رسول الله ﷺ .

فالحسينيون ادعوا أن المهدي ﷺ منهم، طبقوا الأخبار النبوية التي وصفته على ولدهم الثائر على الخلافة العباسية، وكان اسمه محمداً واسم أبيه عبدالله بن الحسن، فلما فشلت ثورته على العباسيين وقتله أبو جعفر المنصور لقبوه بـ «ذي النفس الزكية» .

والعباسيون ادعوا أيضاً أن المهدي ﷺ منهم، وطبقوا العباثر النبوية الخاصة به، على ثالث خلفائهم، واسمه محمد واسم أبيه عبدالله، وعبدالله هو أبو جعفر المنصور الملقب بـ «الدوانيقي»، وهو واضع مخطط ادعاء المهدية لولده.

و من هنا يعتقد بعض العلماء المحققين من أهل السنة أن الجملة الأخيرة من الحديث النبوي القائل: «يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» من الكلمات المدسوسة في هذا الحديث^(١)، وهي في واقعها تعكس صورة عن الصراع التاريخي على الخلافة بين الحسين والعباسيين.

و من هنا يمكن القول بأن القضية المهدية لاقت في عصر الخلافة العباسية تحريفاً في النصوص لأن عصر تدوين الحديث كان في مطلع خلافتهم، ولاقت تزويراً في التطبيق لأنهم تسترّوا باهل البيت ﷺ

١ - راجع الباب الأول من كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» للحافظ أبي عبدالله محمد بن يوسف الفرشي الشافعي المعروف بـ «الكنجي» فإنه ممن شكك بصحة صدور الجملة الأخيرة عن النبي ﷺ في هذا الحديث.

وبالقضية المهدية بشكل خاص من أجل الوصول إلى الخلافة، ولعله إلى هذا المعنى تشير الأحاديث النبوية التي ذمّت الخلافة العباسية وعبرت عن بني العباس بـ «أهل الغش والخدع والالتباس» لأنهم لبسوا الحق بالباطل على المسلمين. وبعد العصر العباسي، أخذت المؤامرة على القضية المهدية أشكالاً متعددة وصوراً مختلفة عن السابق، لا نريد أن نؤرخ لحلقاتها التاريخية وفصولها الفكرية والسياسية وأبعادها السلبية على الأمة.

وكانت من أبرز محاولات التآمر المكشوفة والمفضوحة على هذه القضية الغيبية، محاولة الطعن بأحاديثها من خلال تضعيف أسانيدھا والطعن برواتها، وكان ابن خلدون في طليعة ذوي الأقلام الذين فتحوا باب الطعن بأحاديث المهدي ﷺ ثم تبعه كتاب آخرون على شاكلته.

وبالرغم من أن هؤلاء الكتاب الذين شاركوا ابن خلدون في طعنه بأحاديث المهدي ﷺ لا خبرة لهم بعلم الرواية، وليس لهم معرفة، بل ولا أدنى اطلاع بأصول الجرح والتعديل، لأن قضية المهدي ﷺ من القضايا الإسلامية المتواترة، والتواتر خارج عن بحث الأسانيد، كما هو مقرر في علم الحديث. مع ذلك فإن محاولاتهم الفاشلة في الطعن بأحاديث المهدي ﷺ قد جوبت بردود علمية رصينة ومتينة جداً من قبل كبار علماء الأمة، وخاصة من أساتذة ومشايخ أهل السنة، المعنيين بدراسة الحديث النبوي، والمهتمين في الدفاع عن ساحة قدسه^(١).

ومن حلقات التآمر الخبيثة على القضية المهدية، محاولة تحجيمها في إطار مذهبي خاص، وتوجيه الاتهام إلى رواة الشيعة بوضعها واختلافها واعتبارها من العقائد الشيعية الخرافية.

١ - راجع كتاب «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» وهو من التصانيف القيمة للعلامة المجتهد في علم الحديث الشيخ أحمد بن محمد الصديق الأزهري الشافعي، وكتاب «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» للسيد محمد صديق القنوجي.

و نحن نعتقد أنّ هذه المؤامرة على القضية المهدية، ليست عفوية، بل هي مؤامرة عقائدية وسياسية، تقف وراءها مخابرات دولية صهيونية وأميركية معادية للإسلام، وتنفيذها أقلام مستأجرة ومشبوهة، لأنّ المسلم الملتزم لا يجراً على إنكار ما ثبت بالنص القرآني والنبوي الصريح من الشرع المبين، لأنّ إنكار مثل ذلك يوجب خروجه عن الإسلام، وارتداده عن الدين.

و قد ظهرت هذه المؤامرة على القضية المهدية، في تأريخنا المعاصر، باسم «البحث العلمي» و«حرية الرأي»، وتسترّت تحت شعارات براقّة، مثل: «تطور الفكر الإسلامي»، و«نقد الفكر الشيعي»، أو «محاولة السعي لتطويره وتجريده من الخرافات والموضوعات»، وغير ذلك من الشعارات الفكرية الأخرى، التي لبست مسوح البحث العلمي المزيفة.

وعبرت هذه المؤامرة الفكرية الخبيثة عن نفسها بأقلام كُتاب سطحيين، لكنهم مختلفون ومتناقضون في نزعاتهم المذهبية وانتمائهم السياسية، مشبوهون في دوافعهم الفكرية، وفي طليعتهم أحمد أمين في كتابه «المهدية في الإسلام» والشيخ عبدالله بن زيد المحمود في رسالته «لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر» والدكتور موسى الموسوي في كتاب «الشيعية والتصحيح».

وقد انكشفت حقيقة هؤلاء الكُتاب وسطحيّتهم في تعاملهم مع الفكر الإسلامي، واتّضحت جهالتهم بمبادئ البحث العلمي ومناهجه وأصوله، على يد كُتاب إسلاميين من الشيعة والسنة، منهم سماحة العلامة الشيخ محمد أمين زين الدين في كتابه «مع الدكتور أحمد أمين في كتابه المهدي والمهدية»، ومنهم الشيخ عبدالمحسن العباد في بحثه القيم حول «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» الذي كتبه في الرد على رسالة قاضي قطر الشيخ عبدالله بن زيد المحمود، ومنهم الدكتور علاء الدين القزويني في كتابه القيم «مع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح».

ولكننا نعتقد أنّ البحث العلمي المقارن بين ما يتبنّاه أهل السنة والشيعة الإمامية في العقيدة المهدية، هو المنهج العلمي الوحيد القادر على كشف حقيقة العقيدة المهدية، وإثبات أصالتها الإسلامية، ونفي اختصاصها بمذهب معيّن دون المذاهب الأخرى؛ ممّا يؤكّد زيف الأفكار المشبوهة التي طرحها هؤلاء الكتاب للنيل منها، من خلال تحجيمها في إطار مذهبي خاص.

لماذا التأمّر على القضية المهدية؟

من الواضح أنّ الفكرة المهدية تحمل في طياتها روح الثورة على الظلم والظالمين، والجور والمتجبرين، فهي بحدّ ذاتها فكرة مقلقة للحكّام الظالمين، ومرعبة لجميع السلطويين والمتسلّطين من المفسدين. والظالمون المتسلّطون على شعوبهم بالنار والحديد في كلّ عصر يعلمون أنّه لا بدّ لتسلّطهم الظالم من نهاية، ولا بدّ أن تكون هذه النهاية المرتقبة على يد المهدي المنتظر عجله.

والطواغيت في طول التاريخ، يعلمون أيضاً أنّ هذا الثائر العالمي المرتقب، وحده القادر بقدرته الهيّة أن يوحد المجتمع البشري - على اختلاف كياناته ودياناته - في نظام سياسي إلهي واحد تختفي فيه جميع عوامل الانحرافات والصراعات والخلافات، وتنتهي فيه جميع أشكال الظلم والجور والتسلّط والعدوان، وتسود في ظلّه دولة العدل الإلهية على جميع ربوع المعمورة بعد أن تتهاوى عروش الجبابرة كلّها في الأرض، وتسحق تحت أقدام الثوار المهدويين.

فمن الطبيعي إذن أن ترتجف الأرض تحت أقدام الحكّام الظالمين والطواغيت والمستكبرين بمجرد أن يطرق مسامعهم اسم الثائر المنتظر، أو يسمعوا بحركة إسلامية أصولية قد ظهرت في العالم ولم يكن لهم إصبع في صنعها.

ولا شك أن حكام الدول العربية أكثر جبابرة الأرض خوفاً ورعباً من هذا الثائر المنتظر لعلمهم جميعاً بأن نيران بركان ثورته ستندلع من بين قصورهم للإطاحة بهم، والقضاء عليهم قبل غيرهم من حكام العالم، وجبابرته المفسدين.

ودولة إسرائيل على يقين بأن نهايتها المحتمة سوف تكون على يد الأبطال المجاهدين المؤمنين الزاحفين لتحرير القدس بقيادة المهدي المنتظر ﷺ.

وطواغيت الكفر، وأئمة الشرك ورموز الضلال في العالم الأوربي، على علم ويقين قاطع بأن عصر استعباد الشعوب واستضعافها وإذلالها، وعصر غطرسة الحكومات الأوروبية المستكبرة، وسيطرتها على ثروات العالم الإسلامي سوف ينتهي على يد هذا القائد المنتقم من أعداء الله.

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يفكر هذا الثالوث الشيطاني - المتمثل بجبابرة أوروبا وحكام إسرائيل وعملائهم الأذلاء من حكام عالمنا الإسلامي - في القضاء على القيادة المهدية التي تهدد كياناتهم وتقلق جفونهم وترعب قلوبهم كلما طرق مسامعهم ذكر قائدها المنتظر ﷺ؟!.

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يسعى هذا الثالوث الشيطاني لشراء الأقلام الرخيصة، والنفوس المريضة والمتسولة على أبوابه، لضرب هذه العقيدة الإلهية التي تؤرق ليله، وتبدد أحلامه، وتعكر آماله وطموحاته في إخضاع شعوب العالم لجبروته وسلطانه بشكل أبدي؟!.

وفي ضوء هذه الرؤية الواعية لخطورة القضية المهدية على مصالح أعداء الاسلام وكياناتهم، ينبغي لنا أن نعي الأبعاد السياسية والتاريخية وراء الهجمة الفكرية التشكيكية الشرسة المتمثلة في حلقات المؤامرة الخبيثة على العقيدة المهدية في صورها القديمة والجديدة.

الاختلافات المذهبية لا تشكل خطراً على الأمة:

إن الاختلافات الفكرية والعقائدية بين مذاهب المسلمين المتعددة ليست أمراً جديداً، بل هي واقع تاريخي فرضته مأساة الصراع السياسي في الأمة على الخلافة والحكم، وقد حدثت في مجتمع الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ

لكن الجديد والغريب في هذه الاختلافات مبادرة جماعة من المسلمين لشق عصا الوحدة الإسلامية، معلنة ولاءها الصريح لليهود والنصارى ودفاعها المستميت عن مصالح أمريكا وإسرائيل على حساب الأمة، وشن حربها على الفصائل المجاهدة والمقاومة لسياسة الكفر وثقافة التغريب في عالمنا الإسلامي.

هذا هو الخطر الحقيقي الذي يهدد حصون الإسلام من الداخل، أما الاختلاف في فهم عقائد الإسلام وتشريعاته فإنه أمر واقع في تاريخ الأمة بعد أن مزقتها الصراعات التاريخية إلى مذاهب ومدارس متعددة ومختلفة في فهم الإسلام، وطريقة التعامل مع ثقافته وتشريعاته؛ وهو أمر واقع في سلوك الأمة، حتى في طريقة أداء الصلاة التي كان رسول الله ﷺ يصليها خمس مرات يومياً بمحضر الجمع الغفير من الصحابة، فلا غرابة إذن أن تختلف الأمة في فهمها لقضية المهدي المنتظر ﷺ، ولكن هذه الخلافات لا تمس أصل الإيمان بها؛ والتسليم بضرورتها، كما لا تمس الاتفاق على ضلالة من أنكرها باعتبارها من ضرورات الدين الثابتة بالنصوص القرآنية والنبوية.

وسنحاول هنا أن نتناول عرضاً مختصراً لأهم موارد الاتفاق والخلاف بين الشيعة والسنة في فهم قضية المهدي المنتظر ﷺ ليطلع القراء الأعزاء على الحقيقة العلمية التي تكشف عن احتفاظ هذه العقيدة الغيبية بأصالتها الإسلامية حتى في الإطار المذهبي.

المجالات الاتفاقية في القضية المهدية:

موارد الاتفاق بين أهل السنة والإمامية في قضية المهدي المنتظر عليه السلام كثيرة جداً، فهم جميعاً يتفقون على أصل الاعتقاد بصحتها، ويحكمون بجهالة مَنْ أنكرها، ويتفقون على أنّ المهدي عليه السلام من قريش، ومن أهل البيت عليهم السلام خاصة، ومن أولاد علي وفاطمة (عليهما السلام) بشكلٍ أخص، بالإضافة إلى اتفاقهم على أنه آخر الخلفاء الإثني عشر، وأنّ دولته حتمية الظهور، وأنها عالمية النفوذ، وأنها من الوعد الإلهي الثابت بالنص القرآني، وأخيراً يتفقون على حتمية وقوع بعض العلامات والمقدمات من الحوادث المختلفة، المبشرة بقرب ظهوره، وسنذكر هنا الأدلة المعتمدة لإثبات موارد الاتفاق بين الشيعة والسنة في العقيدة بالمهدي عليه السلام.

أولاً: الاتفاق على أصل القضية

ومستند هذا الاتفاق ثبوت صحة عدد كبير من أحاديث المهدي عليه السلام لدى المسلمين جميعاً، وكثرتها في مصادر الحديث عندهم بحيث تتجاوز حدّ التواتر المتفق عليه في علم الحديث عشرات المرات. وكلّ قضية من قضايا الدين يتحقّق التواتر بشأنها تخرج من دائرة الظنون والتشكيكات عندهم، ولا تدخل في بحث الأسانيد، كما هو مقرّر في محلّه في علم الحديث. ولا يناقش فيها إلا من جهل أصول البحث العلمي في مناهج الإسلام ودراساته.

قال المرجع الكبير الشهيد الصدر (قده):

[أنّ فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عموماً، وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً، وأكّدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها

الشكّ، وقد أُحصي أربعمئة حديث عن النبيّ من طرق أخواننا أهل السنّة، كما أُحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طرق الشيعة والسنّة فكان أكثر من ستّة آلاف رواية. وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفّر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهيّة التي لا يشكّ فيها مسلم عادة^(١).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: [تواترت الأخبار بأنّ المهدي من هذه الأُمّة، وأنّ عيسى بن مريم سينزل ويصليّ خلفه]^(٢).

وقال القاضي الشوكاني في أحاديث المهدي: [وهي متواترة بلا شكّ ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحرّرة في الأصول]^(٣).

وقال ابن حجر الهيثمي: [والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهدي كثيرة متواترة]^(٤).

وصرح بتواتر أحاديث المهدي ﷺ الحافظ أبو الحسن الأبري السجزي المتوفى سنة ٣٦٣ هـ في كتابه (مناقب الشافعي)، وابن الصبّان في (إسعاف الراغبين)، والبرزنجي في كتابه (الاشاعة لأشراط الساعة)، والشيخ عبدالحقّ في كتاب (اللمعات)، وابن الصديق المغربي في كتابه (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون)، وصديق حسن القنوجي في كتابه (الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة) وغير هؤلاء كثيرون.

وممن اعترف بتواتر أحاديث المهدي ﷺ وشهرتها بين عموم طوائف المسلمين ابن خلدون في مقدّمته، بالرغم من محاولته في التشكيك بها والطعن بأسانيدھا، وهذا نص كلامه:

١ - بحث حول المهدي: ص ٦٣ - ٦٤، (طبعة دار التعارف - بيروت).

٢ - فتح الباري: ج ٥ ص ٣٦٢.

٣ - إبراز الوهم المكنون: ص ٤، نقلاً عن رسالة «التوضيح» للشوكاني.

٤ - الصواعق المحرقة: ج ٢ ص ٢١١.

[اعلم أنّ المشهور في الكافة من أهل الإسلام على مرّ العصور، أنّه لأبَدٍ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيّد الدين، ويظهر العدل، ويسمّى بالمهدي] (١).

ومن هنا يظهر أنّ طعنه في أحاديث المهدي ﷺ يدل على جهله بقواعد علم الحديث، وعدم معرفته لمعنى التواتر.

ثانياً: الاتفاق على وجوب الاعتقاد به

إنّ قضية المهدي ﷺ من قضايا الغيب الإلهي، المخبر عنها من طريق الوحي، والنصوص الدينية المعتبرة صريحة في وجوب الإيمان والاعتقاد بقضايا الغيب المذكورة في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٢).

فهذه الآية - على عمومها - تدلُّ على وجوب الإيمان بجميع قضايا الغيب الثابت بالأدلة المعتبرة من طريق الشرع، فكما يجب على المسلم إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالقرآن، وما أنزل من كتب سماوية قبله، كذلك يجب عليه الاعتقاد بجميع قضايا الغيب المخبر عنها في الإسلام في النصوص المعتبرة، وكلّ مَنْ أنكر قضية من غيبات الإسلام - كخروج المهدي ﷺ، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج الدجال وغيرها ما هو ثابت بالأدلة المعتبرة - يخرج عن جماعة المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب، لأنّ الإيمان بالغيب، هو الحدّ الفاصل بين مجتمع المؤمنين برسالات الله ومجتمع الملحدين الماديين.

١ - مقدّمة ابن خلدون: ص ٣٩٧.

٢ - البقرة: ١ - ٤.

و بهذا الدليل القرآني استدلل بعض المعاصرين من علماء أهل السنة على وجوب الاعتقاد بالمهدي، ومنهم الشيخ ناصر الدين الألباني، قال: [إن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه ﷺ يجب الإيمان بها؛ لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى، وإن إنكارها لا يصدر إلا من جاهل مكابر، أسأل الله تعالى أن يتوفانا على الإيمان بها وبكل ما صح في الكتاب والسنة] (١).

وقال الأستاذ عبدالمحسن العباد في محاضراته التي ألقاها في الرد على من أنكر العقيدة بالمهدي ﷺ: (والتصديق بها داخل في الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ لأن من الإيمان به تصديقه فيما أخبر به، وداخل في الإيمان بالغيب الذي امتدح الله المؤمنين به) (٢).

ومن الأدلة التي استدلل بها الأستاذ العباد على وجوب الاعتقاد بالمهدي ﷺ وجوب الإيمان بالقدر، فقال: [إن سبيل علم الخلق بما قدر الله أمران: «أحدهما»: وقوع الشيء...، «والثاني»: الإخبار بالشيء الماضي الذي وقع، وبالشيء المستقبل قبل وقوعه من الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، فكل ما ثبت إخباره به نعلم بأن الله قد شاءه، وأنه لا بد أن يقع على وفق خبره كإخباره بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، وإخباره بخروج المهدي ﷺ وبخروج الدجال وغير ذلك من الأخبار، فإنكار أحاديث المهدي ﷺ أو التردد في شأنه أمر خطير، نسأل الله السلامة والعافية والثبات على الحق حتى الممات] (٣).

والاعتقاد بالمهدي ﷺ - اعتماداً على وجوب الإيمان بالقدر - صرحت به الأحاديث المعتبرة عن رسول الله ﷺ كما جاء في حديث جابر

١ - مجلة التمذّن الإسلامي، العدد ٢٢: ص ٦٤٣، دمشق.

٢ - مجلة الجامعة الإسلامية - الحجاز العدد ٣، السنة الأولى ١٣٨٨ هـ ذوالقعدة، والكلام مقتطف من نهاية المحاضرة.

٣ - نفس المصدر السابق.

الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال:

«من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد، ومن أنكر نزول عيسى فقد كفر، ومن أنكر خروج الدجال فقد كفر، فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني بأن الله عز وجل يقول: مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ فَلْيَتَّخِذْ رَبًّا غَيْرِي»^(١).

ودليل وجوب الإيمان بقضايا الغيب الثابتة في الإسلام هو من جملة الأدلة التي تستدل بها مدرسة أهل البيت عليه السلام على وجوب الاعتقاد بالمهدي عليه السلام، وحينما سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٢)، قال: «المتقون شيعة علي عليه السلام، والغيب فهو الحجّة الغائب، يعني المهدي المنتظر عليه السلام»^(٣)، وشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لَلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^(٤).

ثالثاً: الاتفاق على أنه من أهل البيت (عليهم السلام)

ودلت على ذلك الأخبار الصحيحة من طرق الفريقين:

روى سعيد بن المسيّب قال: «كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٥).

١ - فرائد السمطين: ج ٢ ص ٢٣٤ الباب ٦١، الحاوي للفتاوي: ج ٢ ص ٨٣، الفتاوى الحديثية: ص ٢٧، الإذاعة: ص ١٣٧، عقد الدرر ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي: ص ١٥٧.

٢ - البقرة: ١ - ٤.

٣ - كمال الدين للصدوق: ج ٢ ص ٣٤.

٤ - يونس: ٢٠.

٥ - سنن ابن ماجة: ج ٢ ح ٤٠٨٦، تاريخ البخاري: ج ٣ ص ٣٤٦، التاج الجامع الأصول: قال بسندين صحيحين.

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «المهدي رجل من ولد فاطمة»^(١).
وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي منّا أهل البيت،
أشم الأنف، أقنى أجلي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً
وظلماً»^(٢).

والأخبار في أنه من أهل البيت عليه السلام كثيرة، بل متواترة وستمّر علينا
طائفة منها في البحوث القادمة.
رابعاً: الاتفاق على حتمية قيام دولته

كما نطقت بذلك الأحاديث الكثيرة الصريحة والصحيحة في أخبار
الملاحم والفتن وأشرط الساعة في مصادر الحديث لأهل السنة والإمامية،
ورواها عن ابن مسعود عن النبي قال: «لا تذهب الدنيا حتى يلي أمّتي رجل
من أهل بيتي يقال له المهدي»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «وخروج القائم من المحتوم»^(٤).
وعن ابن مسعود عن النبي قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله
ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^(٥).
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله
الله عزّ وجلّ حتى يملك رجل من أهل بيتي»^(٦).
وآيات الوعد الإلهي المفسرة بظهور المهدي عليه السلام التي سنقرأها في
الموضوع القادم صريحة بحتمية قيام دولته.

١ - البحار: ج ٥١ ص ٤٣ ح ٣٢.

٢ - المستدرك على الصحيحين: ج ٤ ص ٥٥٧، وقال: صحيح على شرط مسلم، الجامع الصغير للسيوطي: ج ٢
ص ٦٧٢ ح ٩٢٤٤، التاج الجامع للأصول: قال بسندين صحيحين.

٣ - كتاب الغيبة للطوسي: ص ١١٢، وهذا الحديث متفق عليه في مصادر الفريقين.

٤ - البحار: ج ٥٢ ص ٢٠٦ ح ٤٠ نقلاً عن كمال الدين.

٥ - سنن أبي داود: ج ٢ ص ١٠٦ ح ٤٢٨٢، المستدرك على الصحيحين قال: صحيح ووافقه الذهبي.

٦ - صحيح الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٨٢ ح ٢٧٧٩.

خامساً: الاتفاق على عالمية دولته

والنصوص القرآنية والنبوية المبشرة بدولة المهدي ﷺ العالمية، وبحتمية انتصار الإسلام على جميع أعدائه في العالم، وظهوره على الأديان الكافرة والمشركة والأنظمة الضالّة والمنحرفة كلّها كثيرة من طرق الفريقين. وهذا الموضوع في اعتقادي من أكثر المواضيع المهدية التي تضافرت عليها الآيات الصريحة مع الروايات المعتمدة والصحيحة، وهي جميعها تؤكد أصالة قضية المهدي ﷺ في المغيبات الإلهية، وحثية تحقق دولته في مستقبل تاريخ الأمة الإسلامية، ولنبدأ بذكر ما جاء في القرآن الكريم من آيات مبشرة بهذا الحدث السياسي العالمي الكبير:

الدولة العالمية في القرآن الكريم

والآيات القرآنية المبشرة بدولة المهدي ﷺ العالمية كثيرة، وهي نوعان: منها: ما يحتاج إلى تفسير وتأويل وإيضاح علمي مفصّل لإقناع القارئ باختصاصها في الموضوع، ومنها: واضح جلي، بل نص صريح في هذا الموضوع.

وسنكتفي هنا بعرض بعض آيات النوع الثاني، ممّا اتفق على اختصاصها بموضوع دولة المهدي ﷺ العالمية مفسّرو الشيعة والسنة معاً.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

روى الحاكم بسند صحيح - على شرط مسلم - عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَد اللات والعزى ».

قالت عائشة فقلت: يا رسول الله، إنني كنت أظن حين أنزل الله تبارك

وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١) إنَّ ذلك يكون تاماً؟، فقال: «إنَّه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثمَّ يبعث الله رجلاً طيباً فيتوفى من كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم»^(٢).

وعن تميم الداري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، يعزّ عزيزاً، ويذلّ ذليلاً، عزّاً يعزّ الله به الإسلام وأهله، وذلاً يذلّ به الكفر وأهله»^(٣).

وعن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعزّ عزيز، وبذلّ ذليل، إمّا يعزّهم فيجعلهم من أهلهم، أو يذلّهم فيدينون لهم»^(٤).

وعن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله ﷺ إذا رجع من غزاة أو سفر أتى المسجد فصلى فيه ركعتين، ثمَّ ثنى بفاطمة (رضي الله عنها)، ثمَّ يأتي أزواجه، فلما رجع [ذات مرة] خرج من المسجد، فتلقته فاطمة عند باب البيت، وأخذت تقبله وتبكي، فقال لها: «يا بنية ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله، ألا أراك شعناً نصباً قد اخلولقت ثيابك؟ قال: فقال لها: لا تبكي، فإنَّ الله عزوجل بعث أباك لأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أدخل الله به عزّاً أو ذلاً، حتى يبلغ حيث بلغ الليل والنهار»^(٥). ولما سألوا أبا هريرة عن تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

١ - التوبة: ٣٣.

٢ - المستدرک علی الصحیحین: ج ٤ ص ٤٤٧، وقال: حدیث صحیح علی شرط مسلم ووافقه الذہبی.

٣ - مجمع الزوائد: ج ٦ ص ١٤ قال: رواه أحمد والطبرانی ورجال أحمد رجال الصحیح، المستدرک علی الصحیحین: ج ٤ ص ٤٣٠، وقال: صحیح ووافقه الذہبی فی التلخیص.

٤ - مجمع الزوائد: ج ٦ ص ١٤ قال: رواه أحمد والطبرانی، ورجال الطبرانی رجال الصحیح، المستدرک علی الصحیحین: ج ٤ ص ٤٣٠، قال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه ووافقه الذہبی فی التلخیص.

٥ - المستدرک علی الصحیحین: ج ٣ ص ١٥٥، وقال: صحیح وتعقبه الذہبی مضعفاً له ولم يفعل شيئاً، لأن الأحادیث السابقة شاهدة على صحته.

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾ قال: (هذا وعد من الله، بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان) (١).
ولما سُئل السدي عن تفسير الآية السابقة قال: (وذلك عند خروج المهدي) (٢).

هذا ما روي من طرق أهل السنة في تفسير هذه الآية المباركة، وهو يتطابق تمام المطابقة مع ما جاء من طرق أهل البيت في تفسيرها، وإليك طائفة مما جاء عنهم بهذا الصدد: روي أن علياً تلا هذه الآية وسأل الحاضرين: «هل ظهر الإسلام على الدين كله بعد أن أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق؟»، فقالوا: نعم! فقال لهم: «كلاً فوالذي نفسي بيده! حتى لا تبقى قرية إلا ينادي فيها بشهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ بكرة وعشياً» (٣).

وسألوا الإمام محمداً الباقر عليه السلام عن تفسيرها فقال: «إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد، فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد ﷺ» (٤).
وسأل الفضل بن عمر الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن تأويلها، بعد أن أخبره بأن بعض المسلمين يدعون أن الإسلام قد ظهر على الأديان كلها! فأجابه عليه السلام بقوله: «يا مفضل، لو كان ظهر على الدين كله، ما كانت مجوسية ولا نصرانية ولا يهودية ولا صابئة، ولا فرقة ولا خلاف، ولا شك ولا شرك، ولا عبدة أصنام ولا أوثان». ثم فسرها عليه السلام للمفضل بدولة المهدي المنتظر ﷺ (٥) وقال: ويكون الدين كله واحداً، كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٦) ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾

١ - التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ١٦ ص ٤٠.

٢ - تفسير أبي الفتح الرازي: ج ٦ ص ١٦.

٣ - تأويل الآيات الظاهرة: ج ٢ ص ٦٨٩، ينابيع المودة للحنفى القندوزي: ص ٤٢٣.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢ ص ٨٧ ح ٥٠.

٥ - الهداية الكبرى للخصيبي: ص ٧٤ - ٨٢، بحار الانوار: ج ٥٣ ص ٤.

٦ - آل عمران: ١٩.

وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿١١﴾
 قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(١٢). فقد روى الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) وابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عن الإمام علي عليه السلام قال: «لتعطفن علينا الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها»، ثم قرأ: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾^(١٣).

وروي عن الإمامين محمد الباقر عليه السلام وولده جعفر الصادق عليه السلام، أنهما قالوا في تفسير هذه الآية: «إن هذه مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان، ويبعد الجبابرة والفراعنة ويملك الأرض شرقاً وغرباً ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(١٤).

قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾^(١٥)، ولما سئل الإمام محمد الباقر عليه السلام عن تفسيرها قال عليه السلام: «لا لم يجئ تأويل هذه الآية، ولو قد قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، وليبلغن دين محمد ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض كما قال الله»^(١٦).

ونظير الآية السابقة قوله تعالى: ﴿ فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾^(١٧)، فقد روي عن حذيفة بن اليمان في تفسيرها أنه قال: «ما قوتل أهل هذه الآية بعد»^(١٨) يعني: إنهم سيقاتلون على يدي المهدي المنتظر عليه السلام في

١ - آل عمران: ٨٥.

٢ - القصص: ٥.

٣ - شواهد التنزيل: ج ١ ص ٤٣١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ٢٩.

٤ - حلية الأبرار لهاشم البحراني: ج ٢ ص ٥٩٧، تفسير البرهان: ج ٢ ص ٢٢٠.

٥ - التوبة: ٣٦.

٦ - المحجّة فيما نزل في القائم الحجة: ص ٩٦.

٧ - التوبة: ١٢.

٨ - الدر المنثور للسيوطي: ج ٤ ص ١٣٦ (طبعه دار الفكر بيروت).

آخر الزمان.

الدولة العالمية في الأحاديث النبوية

و بالرغم من أن الروايات المفسرة للآيات السابقة، من النصوص النبوية الصريحة على حتمية قيام دولة الإسلام العالمية، مع ذلك نذكر هنا طائفة أخرى من الأحاديث المصرحة بعالمية دولة المهدي المنتظر عليه السلام.

روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان، والكافران نمرود وبخت نصر، وسيملكها خامس من أهل بيتي»^(١).

وعن حذيفة بن اليمان - في حديث نبوي طويل بشأن المهدي المنتظر عليه السلام - قال: «يباع له الناس بين الركن والمقام، يرد الله به الدين ويفتح له فتوحاً، فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول: لا إله إلا الله»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»^(٣).

والروايات في الصحاح الستة مصرحة بنزول عيسى بن مريم عليه السلام، في زمن المهدي المنتظر عليه السلام، وأنه يصلي خلفه ويعينه على قتل الدجال وهداية النصارى إلى الإسلام، وهذا ما ذكرته بصراحة رواية أبي هريرة عن النبي أنه قال: «إن روح الله عيسى بن مريم نازل فيكم... فيدق الصليب، ويقتل

١ - الحاوي للفتاوي: ص ٢ نقلاً عن تاريخ ابن الجوزي، الفتاوى الحديشية: ص ٣٩، عقد الدرر ليوسف بن يحيى المقدسي الشافعي: ص ١٩ - ٢٠.

٢ - ذخائر العقبى للطبري: ص ١٣٦، المنار المنيف: ص ١٤٦ ح ٣٣٣.

٣ - مسند أحمد ابن حنبل: ج ٣ ص ٣٦، مسند أبي يعلى الموصلي: ج ٢ ص ٢٧٤ ح ٩٨٧، المستدرک علی الصحیحین: ج ٤ ص ٥٥٧، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، وتقع الأمانة على أهل الأرض». وفي رواية أخرى قال: «وتكون الدعوة واحدة لله رب العالمين»^(١).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم لا تبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»^(٢).

وروي عن الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^(٣)، فقال: «نزلت في القائم إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة، وأهل الردة، والكفار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة، وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم يسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغرب أحد إلا وحده الله»^(٤).

والأخبار الدالة على حتمية قيام الدولة الإسلامية العالمية في خلافة المهدي المنتظر عليه السلام كثيرة جداً، ومنها الخبر المتواتر من طرق الفريقين، عن النبي إنه قال في وصفه لدولة المهدي عليه السلام وعدله: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

فإذا أخذ هذا الحديث على إطلاقه يعني ذلك أن حكم المهدي عليه السلام يشمل عموم الأرض، فيكون هذا الحديث النبوي تفسيراً للوعد الإلهي بورثة المؤمنين الأرض في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

١ - المستدرک علی الصحیحین: ج ٢ ص ٥٩٥، وقال: صحیح ووافقه الذہبی، سنن أبي داود: کتاب الملاحم، کنز

العمال: ج ١٤ ح ٣٨٨٤٣ و ٣٨٨٥٥ و ٣٨٨٥٦.

٢ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص ٤٢١، تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٣.

٣ - آل عمران: ٨٣.

٤ - تفسير العياشي: ج ١ ص ١٨٢، تفسير البرهان: ج ١ ص ٢٩٦.

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴿١﴾.

سادساً: الاتفاق على بعض علامات الظهور

تدل الأخبار المروية في كتب الملاحم والفتن في مصادر الفريقين على وقوع عدد من العلامات التي تسبق ظهور المهدي عليه السلام وتكشف عن قرب قيامه بثورته الإسلامية لإنجاز الوعد الإلهي، والعلامات المتفق عليها بينها كثيرة، وأبرزها علامتان:

الأولى: قيام دولة إسلامية في بلاد إيران، تقوم بدور التمهيد للشورة المهدية، وهي المشار إليها في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج قوم من المشرق يوطنون للمهدي سلطانه»^(٢).

وفي حديث ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج»^(٣).

والأخبار عن دولة الموطئين للمهدي عليه السلام من طرق أهل البيت عليهم السلام كثيرة أيضاً؛ منها: موثقة جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «فأول أرض تخرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات: راية الأصهب، وراية البقع، وراية السفيناني... فبينما هم كذلك إذ قبلت رايات من قبل خراسان، تطوي المنازل طياً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم»^(٤).

١ - النور: ٥٥.

٢ - سنن ابن ماجه: ج ٢ ح ٤٠٨٨، مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٣١٨، كنز العمال: ج ١٤ ح ٣٨٦٥٧.

٣ - مسند أحمد ابن حنبل: ج ٥ ص ٢٧٧، المستدرک على الصحيحين: ج ٤ ص ٥٠٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، الجامع الصغير للسيوطي: ج ١ ص ١٠٠ ح ٤٦٨، قال: وسنده صحيح، دلائل النبوة: ج ٦ ص ٤٥١١.

٤ - بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٢٣٧ نقلاً عن كتاب الغيبة للنعماني.

الثانية: قيام دولة معادية للمهدي عليه السلام في بلاد الشام، يقودها رجل من بني أمية، وهو المعبر عنه في الأحاديث بـ «السفياني» وأخباره من طرق الفريقين مستفيضة، وهو المذكور في موثقة جابر السابقة.

وقد ركزت الصحاح الستة على حادثة الخسف بالبيداء، التي تحل بجيش السفياني وهو متوجه إلى مكة للقضاء على ثورة المهدي عليه السلام بعد أن يسمع بسيطرتها على بلاد الحجاز.

روى البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «سيعوذ بهذا البيت - يعني مكة - قوم ليست لهم منعة ولا عدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببیداء من الأرض خسف بهم»^(١).

وعن عائشة أيضاً قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببیداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم»^(٢).

سابعاً: الاتفاق على صلاة عيسى بن مريم عليه السلام خلفه

وجاء الخبر بذلك مستفيضاً في الصحاح الستة، وكذلك في الأحاديث المعتبرة من طرق أهل البيت عليهم السلام، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «القائم منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله عز وجل به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقى من الأرض خراب إلا عمّر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه»^(٣).

وفي «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: قال

١ - صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٢١ ح ٧.

٢ - صحيح البخاري: ج ٣ ص ٨٦، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق.

٣ - بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٩١ ح ٢٤.

رسول الله: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»^(١).
وأخرج مسلم في صحيحه: عن جابر بن عبد الله أنه قال: سمعت النبي يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة»^(٢).
وروى الحافظ أبو عمر الداني في «سننه» حديث جابر عن النبي، ولفظه يختلف عن لفظ مسلم، وهذا نصه: «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر بيت المقدس، ينزل على المهدي، فيقال له: تقدم يا نبي الله، فصل لنا، فيقول: إن هذه الأمة أمير بعضهم على بعض، لكرامتهم على الله عز وجل»^(٣).

١ - صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٠٥، صحيح مسلم: ج ١ ص ١٣٦.

٢ - صحيح مسلم: ج ١ ص ١٣٧.

٣ - سنن الدارمي: ص ١٤٣، مسند أحمد ابن حنبل: ج ٣، ص ٣٤٥، مسند أبي يعلى الموصلي: ج ٤، ص ٥٩، ح ٢٠٧٨.

الإمام المهدي عليه السلام بين الإمامة والغيبة

عباس الأنصاري

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آل بيته الطاهرين.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

امتدّ صراع الخير والشر على هذه الأرض منذ فجر الحياة، وستبقى المعركة قائمة بين الخطّين، خطّ الهدى، وخطّ الضلال، خطّ الأنبياء وخطّ الجاهلين الطغاة. إلى أن يرث الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام فيحكم بحكم الله العادل.

ويمثّل أئمة الهدى وعلماء الإسلام وأبناؤه الامتداد الحركي والتواصل الفكري لخطّ الأنبياء، فلقد واصلت أمة الهدى الملتمزمه بخطّ الأنبياء دورها ومهامها في حمل الرسالة، فكان هذا يجسّد في الأئمة عليهم السلام.

ولقد تحقّق النصر للرسالة الإسلامية على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسارت المسيرة الطاهرة، وبنيت حضارة التوحيد، وقطعت البشرية أشواطاً متقدّمة على أساس العلم والإيمان، فاستضاءت بهذا النور؛ واهتدت بذلك الهدى المشرق. إلا أنّ حركة هذه المسيرة قد ضعفت شيئاً فشيئاً، فنشطت الحضارة الجاهلية المفسدة، وبدأ التقهقر في حركة الحضارة والدعوة والقيادة الإسلامية، وحرّم الإنسان من العيش في ظلّ الحقّ والعدل والإسلام،

وبدأت الشرور الجاهلية تعود مرة أخرى إلى حياة الإنسان، ولم يكن لطف الله تبارك وتعالى ليغيب عن الأرض.

فقد شاء الله تعالى بعد أن انقطعت النبوة وختمت بسيد المرسلين محمد ﷺ، أن يجعل مُصلِحاً يتحمّل مهمّة الأنبياء في الدعوة إلى مبادئ الهدى والعمل بما جاء به الهادي محمد ﷺ. وذلك وعد حقّ نطق به القرآن، ووعدت به الكتب الإلهية. مما أشار به القرآن الكريم إلى ظهور المصلح العظيم الإمام المهدي المنتظر ﷺ الذي جعله الله تبارك وتعالى من ولد فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ وذريتها المباركة، كما ذكر المفسرين ذلك هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

بعد تفسير هذه الآية روى العلامة الشيخ الطوسي (قده): قال أبو جعفر ﷺ «هم أصحاب المهدي في آخر الزمان»، ويدلّ على ذلك ما رواه الخاص والعام عن النبيّ أنّه قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٢).

وإنّه ﷺ وبمشيئة إلهية، كانت له غيبة وانقطاع واختفاء، وإن غيبته كانت بمرحلتين، وكما ورد في الروايات:

فعن أبي عبد الله الصادق ﷺ قال: «للقائم غيبتان: إحداها قصيرة والأخرى طويلة، الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصّة شيعة، والأخرى إلا خاصّة مواليه في دينه».

وهما على النحو الآتي:

١ - الأنبياء: ١٠٥.

٢ - تفسير مجمع البيان: ج ٧ ص ٦٦.

١ - مرحلة الغيبة الصغرى: وكان خلالها يتّصل به أربعة سفراء متعاقبين.^(١) وامتدّت من ولادته في حياة أبيه والتي عايشها مدة خمس سنوات حتى سنة ٣٢٩ هـ .

٢ - مرحلة الغيبة الكبرى: وبدأت بانتهاء السفارة بوفاة السفير الرابع، وقد انقطع فيها اتّصاله عن الأمة بعد أن أخبرها بذلك، ووجّهها بالرجوع إلى الفقهاء، حتّى تنهياً له الظروف المناسبة للظهور، ويأذن الله تبارك وتعالى له بذلك لممارسة مهمّة الصلاح الكبرى، وإقامة دولة العدل الإلهي المنتظر. وأودّ أن أشير إلى إنني لا أدعي استقصاء كلّ ما ورد عن الإمام المهدي وغيبته المقدّسة، وكذلك فيما يتعلّق بنوابه الأربعة (رضي الله عنهم) وإنّما استحسننا أن نعطي المختصر المفيد والنافع لمحاولة الإمام لما يحتاج إليه البحث إن شاء الله تعالى. ومنه تعالى الحفظ والتوفيق.

المقدمة:

الأحداث المرتبطة بالغيبة في زمان الإمامين العسكريين قبل استعراض أهمّ الأحداث المرتبطة بغيبة سيّدنا ومولانا وإمام زماننا صاحب العصر - والزمان عليه السلام منذ ولادته الميمونة وحتى غيبته الكبرى وما بعدها، لا بدّ من عرض أهمّ الأحداث المرتبطة بالغيبة الإلهية (أرواحنا له الفداء) في أبيه وجدّه الإمامين العسكريين (عليهما السلام) بشكل موجز، لبيان كيفية تمهيدهما للغيبة مع حجم الظروف السياسية الصعبة التي ألجأت العسكريين إلى نهج منهج التقية والكتمان في إدارة شؤون الأمة والتعامل مع الطغاة.

١ - كما سبّأتي ذكرهم وتفصيل الكلام في حياتهم.

فمن أهم الأحداث - والذي يظهر من التاريخ الإسلامي - هو انتقال العاصمة العباسية من بغداد إلى سامراء لتضخم أحداث الرفض ضدّ العباسيين في بغداد من جهة، واختلاف قادة الجيش مع السلطة من جهة أخرى... وهكذا أصبحت سامراء عاصمة جديدة للعباسيين حيث شيّدت بأمر من المعتصم، ونقل مركز الخلافة الجائرة لها، لتتلاقى الأحداث وامتصاص صدمات المجتمع الإسلامي وتصادم أفراد الجيش فيما بينهم، ومن خلال الأعمار ازدهرت مدينة سامراء بالبناء والعمران، وبقيت مركزاً للخلافة أكثر من نصف قرن، وأخذت تتسع شيئاً فشيئاً، وتتطور في الجمال وزدهرت بين البلدان، لكنها أصبحت خراباً بمجرد انتقال الخلافة عنها، وغار نبعها دفعة واحدة، حتى لم يبقَ منها إلا موضع غيبة الإمام المنتظر المهدي عليه السلام ومحلّة أخرى بعيدة عنها يقال لها: كرخ سامراء، وسائر ذلك خراب، يستوحش الناظر إليه، كما يذكر المؤرّخون.

وقد تعاقب على مدينه سامراء ثمانية من خلفاء بني العباس منذ صيرورتها عاصمة للعباسيين وحتى نهاية كونها عاصمة لهم، هذا ما يرتبط بأحداث انتقال خلافة الطغاة من بغداد إلى سامراء في العراق.

أمّا ما يرتبط بأئمة اهل البيت عليهم السلام من أحداث عدوانية من قبل بني العباس، فبعد أن استشهد الإمام محمد الجواد عليه السلام، وتولّى الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام الإمامة الحقّة من بعده، حينذاك كان الإمام الهادي عليه السلام في مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة المنورة في المملكة العربية السعودية. فالتف المجتمع الإسلامي حوله، وأظهروا له الولاء والمحبة، حيث كان إمامنا الهادي عليه السلام ذا مكانة رفيعة في قلوب المؤمنين آنذاك، ولم يكن ليفوت المتوكّل ضرورة تطبيق نفس الأسلوب الذي سار عليه أخوه المأمون مع الإمام الجواد عليه السلام في استقدامه من المدينة ووضع تحت أعين الرقابة الشديدة والضغط الإرهابية، لفصله عن شيعته وأتباعه ومحبيه... وهكذا استقدم المتوكّل الإمام الهادي إلى سامراء.

فخرج الإمام علي الهادي عليه السلام بصحبة عائلته وولده الحسن العسكري عليه السلام مع يحيى بن هرثمة أحد صنائع المتوكل وواليه على المدينة حتى وصلوا إلى سامراء، وبدأ المتوكل وأعوانه بأفعال رذيلة مع الإمام عليه السلام مع محاولة في عزله عن شيعته.

ومن هنا، ونظراً لشدة الأوضاع السياسيّة، نهج الإمام الهادي عليه السلام منهج التقية والتمهيد للغيبة الإلهية لصاحب الأمر عليه السلام، من خلال حجبه لابنه الحسن العسكري عليه السلام عن الناس، وعن طريق تعيين النواب عنه واتصاله بالشيعة عن طريقهم.

فلم يكتفِ إمامنا الهادي عليه السلام بهذا المقدار من التمهيد لغيبة صاحب الأمر عليه السلام، وإنما اتّبع أسلوباً آخر، وهو تأكيد على ذلك في كلماته النورانية بين أصحابه... فمنها في كلام له في النصّ على إمامة ابنه الإمام العسكري عليه السلام وغيبة الخلف الصالح من بعده:

«ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟».

قال الراوي: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟، قال عليه السلام: «لأنه لا يرى شخصه ولا يحل ذكر اسمه حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

أمّا الأحداث في عصر الإمام العسكري عليه السلام، فلم تكن أقلّ خطراً، ولم يختلف تعامل السلطة معه عن تعاملها مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام، بل أصبحت أشدّ وأقسى ظروفاً، وما كان موقف الإمام العسكري عليه السلام إلاّ كموقف الإمام الهادي عليه السلام من حيث تعامله مع حكام الجور، وطريقة إتصاله بشيعته ومواليه، بل أخذ يحتجب عن الناس بنفسه، إلاّ عن خاصة أصحابه، وأوكل تبليغ الأحكام والردّ على الأسئلة ووصولها إليه إلى أسلوب المكاتبات، وإدارة شؤونهم وحلّ مشكلاتهم بواسطة نوابه الذين

اعتمدتهم وفق نظام إتخاذ الوكلاء بغيبة ولده الإمام الحجّة عليه السلام، وإنه الإمام الذي سوف يغيب عن أنظار الناس، ويكون مذخوراً لنشر العدل في العالم، وسوف يقيم دولة الحقّ في أنحاء العالم.

هذه أهمّ الأحداث المرتبطة بالغيبة لصاحب الامر عليه السلام في زمان الإمامين العسكريين عليهما السلام، أوردناها بشكل موجز لتكون تمهيداً واضحاً للدخول في البحث بشكل مفصّل.

الباب الأوّل: حياة المهدي عليه السلام وإمامته

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١).

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام إنه قال: «المنذر رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي الهادي، وفي كلّ زمان إمام منا يهديهم إلى ما جاء به رسول الله»^(٢).

من أهمّ المعاجز والكرامات التي خصّ بها الباري عزّ وجلّ أهل بيت الوحي والنبوة (صلوات الله عليهم) من عترة نبيّ الإسلام الخاتم صلى الله عليه وآله، هي مسألة إمامتهم وخلافتهم لرسول الله؛ حيث نصّ عليها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وأمر عزّ وجلّ رسوله الكريم بإبلاغها لأُمَّته، بل جعلها فرضاً على عباده في كلّ زمان، وإتّهم حجّته على العالمين إلى قيام يوم الدين، وهكذا سلسلة الإمامة من بعد الإمام علي عليه السلام في صلب الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، بالنصّ إلى أن وصلت إلى الإمام المهدي عليه السلام، وهذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أكّد صلى الله عليه وآله أن هذا الأمر - الإمامة - يملك زمامه من بعده اثنا عشر إماماً كلّهم من ولد فاطمة، بل بشر صلى الله عليه وآله بظهور المهدي عليه السلام منذ ذلك الحين. فلم يكن غريباً أن تكون الأخبار بولادة المهدي عليه السلام وظهوره في آخر الزمان متواترة، والأخبار عن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن

١ - الرعد: ٧.

٢ - عقيدة الشيعة: ص ٣.

الأئمة المعصومين عليهم السلام بذلك، وإنه الإمام الحجّة في آخر الزمان، الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، كما سيأتي تفصيله لاحقاً وفعلاً، تمّ هذا الأمر بحكمة إلهية بالغة وقام بأعباء الإمامة وهو ابن خمس سنوات.

الأول: ولادة المهدي عليه السلام، وحياته بين الظروف السياسية وموقف الموالين والمخالفين

ولد مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله في ظروف سياسية خطيرة كانت تحيط بأبيه الإمام العسكري عليه السلام؛ حيث الأعداء نصبوا عيون المراقبة حوله، وكشفوا الضغوط، منعه من الخروج أو الانتقال من مكانٍ إلى آخر ولم يكتفوا بهذا، بل عمدوا إلى مdahمة داره مرّات عديدة؛ وفي أوقات مختلفة ومتفاوتة، حتّى وصلوا إلى أقصى درجات الحماقة في تصرفاتهم مع عائلة الإمام العسكري عليه السلام؛ كلُّ ذلك لشدة خوفهم من البشارات التي سمعوها آنذاك بشأن ولادة المهدي عليه السلام؛ وأنه المنقذ للبشريّة الذي يهدّ عروش الظالمين وينشر العدل في أنحاء العالم أجمع، بدليل أنّ أمّه قد تعرضت إلى التفتيش والبحث عن حملها من أجل القضاء عليه قبل ولادته، لكن المشيئة الإلهية حالت بينهم وبين الوصول إلى أهدافهم الدنيئة، فكان حمله حفيّاً ليس كما يظهر عند النساء في الحالة الطبيعية الاعتيادية، وهذا في حدّ ذاته انجاز إلهيّ خارق للعادة، وبذلك لا يتمكّن أحد من الفاحصين حتّى القوابل، خلال مدّة الحمل.. من التعرّف على وجوده، فضلاً عن النظر إلى أمّه هل هي حامل أم لا.

وهكذا الحال بالنسبة لولادته، فلم تكن أقلّ إعجازاً، بل كانت في غاية الإعجاز، فقد تجسّدت فيها عظمة اللطف الإلهي، وبعد أن أشرقَت الأرض بنور ولادة الإمام المهدي عليه السلام لم يخبر أبوه أحداً إلا خاصّة أصحابه، للزوم تعرّفهم على الحجّة من بعد الإمام الثاني عشر عليه السلام، فأمر أبوه الإمام

العسكري عليه السلام أبا عمرو وعثمان بن سعيد، وهو من أخص أصحابه لديه... بأن يعق عن المولود الحديد عدداً من الشياه، وأن يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز وعشرة آلاف رطل لحماً ويوزعه على الفقراء. هذا فيما يخص ولادته المباركة.

أمّا ما يخص حياته الشريفة، فقد كان حال حياة أبيه الإمام العسكري عليه السلام في مدينة سامراء العراقية طوراً من السنين ساكناً في دار أبيه العسكري عليه السلام في جوّ ساخن بالمخاطر من جرّاء المحاولات العدوانية التي قامت بها السلطات الطاغية آنذاك من المطاردة له والكبس على داره من قبل هؤلاء منهم المعتمد والمعتضد العباسيان، وهو موجود فيها، ولكنه تخلص من كيدهم بقوة غيبية وحكمة إلهية، وقد عاش في غاية الكتمان بين أصحابه وشيعته، ولم ينقطع اتصاله بهم مع كلّ هذه الأحداث وصعوباتها، وإنّما كان يتصل عن طريق نوابه الثقات كيف لا؟! وقد تعلق الغرض الإلهي الملزم بهداية البشرية في آخر الزمان بشخصه المبارك، وتنفيذ وعد الله الحقّ على يده الشريفة بإقامة حكم الله في الأرض، وهذان الأمران يتوقفان على ولادته وبقائه حياً في أمدٍ طويلاً من الزمان، ومن هذا أفاض الباري (جلّت قدرته) عناية خاصّة ولطفاً لا متناهياً في حفظه.

ومن هنا جاءت أهمية هذا الفصل للإحاطة بأهم الأحداث التي حلّت عند ولادته نستعرضها من خلال بيان عدّة جوانب.

الجانب الأول: نبذة مختصرة عن حياة المهدي عليه السلام

كان مولد الإمام المهدي عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥) هـ وكان سنّه عند وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام خمس سنين، وكانت ولادته في عهد الخلافة المزعومة للمهدي العباسي، مرحلة الفتن والاضطرابات.

ولد الإمام المهدي عليه السلام في كنف أبيه الإمام العسكري عليه السلام فأحاطه بالرعاية والسرية التامة خوفاً عليه وتنفيذاً لوعده الله تبارك وتعالى، وعده الذي توارثه عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

روي عن أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي انه قال: (لمّا ولد الخلف الصالح ورد من مولانا أبي محمّد الحسن بن علي على جدّي أحمد بن إسحاق كتاب وإذا فيه مكتوب بخطّ يده الذي كان يرد به التوقيعات عليّ: (ولد المولود، فليكن عندك مستوراً، وعن جميع الناس مكتوماً) (٢).

وفي رواية أخرى عن أحمد بن إسحاق قال: سمعت أبا محمّد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي» (٣).

الجانب الثاني: الإعجاز الإلهي واللفظ الخفي في الولادة الميمونة

روى المحدث الثقة الشيخ عبّاس القمي عن حكيمة... في حديث طويل... إنّها قالت: (... ثمّ أخذتني فترة وأخذتها فترة، فانتبهت بحسّ سيدي، فكشفت الثوب عنه فإذا أنا به يتلقى الأرض بمساجده فضممته إليّ فإذا أنا به نظيف منظّف، فصاح بي أبو محمّد: هلمّي إليّ ابني يا عمّة، فجئت به إليه، فوضع يديه تحت إيتيه وظهره، ووضع قدميه على صدره، ثمّ أدلى لسانه في فيه، وأمدّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثمّ قال: تكلم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله، ثمّ صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه ثمّ أحجم، ثمّ قال أبو محمّد: يا عمّة اذهبي به إلى أمّه ليسلم ورددته فوضعت

١ - موجز سيرة الرسول وأهل البيت عليهم السلام: ص ٣٣٩.

٢ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٦٣.

٣ - المصدر السابق: ج ٥١، ص ١٦١.

في المجلس^(١).

الجانب الثالث: الظروف السياسية التي أحاطت بولادة المهدي

ينقل لنا المؤرخون المعاناة العصبية التي عايشها الإمام العسكري عليه السلام من حكم عصره العباسيين، ومواجهتهم له، كما يحدثنا التاريخ عن اضطراب الأوضاع الأمنية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية، واشتداد خوف السلطة من أئمة آل البيت عليهم السلام وفي تلك الفترة المضطربة يثبت الرواة ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

ولأهمية هذه الشخصية العظيمة، ودورها الخطير في حياة البشرية الذي يحقق أهداف الرسالات الإلهية، ينبغي لنا أن نعرف الظروف السياسية التي أحاطت بولادته وغيبته، وواضح أن الخلفاء العباسيين كانوا قد عهدوا الإمامة في ذرية الحسين بن علي عليه السلام وعاصروا الإمام الصادق عليه السلام من بداية تسلمهم السلطة سنة (١٣٢) هـ.

وبدأ صراعهم مع أهل البيت عليهم السلام ممتداً، الواحد تلو الآخر، فقد اشتبكوا في صراع مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وسجنوه حتى مات في السجن، وقد فتر هذا الصراع في عهد المأمون في حياة الإمام الرضا وولده الإمام الجواد عليه السلام، ثم استأنف الصراع ضارياً وإرهابياً ضد الإمام الهادي عليه السلام، الذي تحمّل أعباء الإمامة بعد وفاة أبيه مباشرة، وامتدت هذه المواجهة الحادة والعنيفة من قبل المعتز والمهتدي والمتوكل مع الإمام العسكري عليه السلام.

إن الخوف والإرهاب والملاحقة لأهل البيت عليهم السلام ومعرفة العباسيين بأن الإمامة في ذرية الإمام العسكري عليه السلام وإصرارهم على استئصال امتداد

١ - كمال الدين: ج ٢، ص ٤٣٠، ح ٦، بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٥٥، حديث ٩، الأنوار البهية: ص ٣٣٨.

الإمامة هو الذي دعا الإمام العسكري عليه السلام إلى التكتّم على ولده، وعدم الإعلان عن ولادته.

الجانب الرابع: وصية الإمام الحسن العسكري عليه السلام لابنه المهدي بالغيبة

لما اشتدّت الظروف السياسيّة المحيطة باهل البيت عليهم السلام في زمان الإمام الهادي عليه السلام، نتيجة لاضطراب الأوضاع، وتدهور الأمور في أوساط الحكومة العباسيّة، إتّخذ الإمام الهادي عليه السلام نهج التقيّة في الارتباط بشيعته ومواليه، واعتمد الاحتجاب عن الناس، كما كان أيضاً؛ هو تمهيد لغيبة صاحب الامر عليه السلام، ومن ثمّ اتّخذ الإمام العسكري عليه السلام نفس الخطّ الرسالي لأبيه الهادي عليه السلام.

ومن هنا أوصى الإمام العسكري عليه السلام ابنه الإمام الحجّة من بعده، بالغيبة والاحتجاب عن الناس إلا الخاصّة من مواليه وشيعته في الغيبة الصغرى، فمن وصاياهم لولده الحجّة عليه السلام بالغيبة، ما بيّنه عليه السلام، لإبراهيم بن مهزيار حين قابله في بعض أطراف مكّة، وقال له فيما قال: «اعلم يا أبا إسحاق، إنّ الله جلّ - يعني الإمام العسكري عليه السلام - قال (صلوات الله عليه): يا بنيّ، إنّ الله جلّ ثناؤه لم يكن ليخلي أطباق أرضه بلا حجّة يستعلي بها، وإمام يؤتمّ به...، وأرجو يا بنيّ أن تكون أحد من أعدّه الله لنشر الحقّ، وطيّ الباطل، وإعلاء الدّين، وإطفاء الضلال. فعليك يا بنيّ، بلزوم خوافي الأرض وتتبع أقاليمها...».

وفي حديثه مع علي بن إبراهيم انه قال: «والله مولاكم أشهر التقيّة فوكلها بي، فأنا في التقيّة إلى يوم يؤذن لي بالخروج»^(١):^(٢)

الجانب الخامس: مكائد الحكومة الجائرة في محاولات القبض على الإمام المهدي

كانت المكائد والدسائس تحاك بصورة مكثفة من أجل القضاء على الإمام المهدي عليه السلام، حيث كان القبض عليه أحد الأهداف الرئيسية للحكومة العباسية وأسيادها، وعلمهم بأن المهدي عليه السلام هو الإمام المذخور لرفع الظلم والجور عن المظلومين والمحرومين في زمان ظهوره، وسوف ينتشر في العالم، وسيقضي علي جميع الحكومات، ولا حكم إلا لله عن طريق الحجة المعصوم من أهل بيت النبي الخاتم لذا شنت هذه الحكومات ثلاث غارات، وهي على التوالي:

الأولى: غارة المعتمد وحملة في محاولة القبض على الإمام المهدي عليه السلام، بعد المحاولات العديدة التي قام بها جعفر بن علي، بغية كسب الإمامة له، ابتداءً من محاولة الصلاة على الإمام العسكري عليه السلام بعد استشهاده، إلى مقابلته لوفد القميين.

ومن هنا قام المعتمد العباسي - حينما استمع لوشاية جعفر بالمهدي - بإرسال الخيل والرجال إلى دار الإمام العسكري عليه السلام من أجل القبض على الإمام المهدي عليه السلام والكبس عليه، فقاموا بالتفتيش عنه والفحص الدقيق في جميع غرف الدار وخفائها، فلم يعثروا عليه، فلم يجدوا أحداً في الدار، إلا أم المهدي، فقبضوا عليها وأخذوها إلى السلطه الحاكمة آنذاك، فتعرضت هناك إلى الشدائد والضغط من أجل الوصول إلى المهدي، ولكنها واجهت هذه المحنة بالاخلاص والصمود، واستطاعت الخروج منها منتصرة وهكذا نجا الإمام عليه السلام من هذه المحاولة عندما باءت بالفشل الذريع.

الثانية: غارة المعتضد الأولى ومحاولته في القبض على الإمام المهدي عليه السلام

وفشلها:

كان من أهم المهام التي أولاها المعتضد، هو تجديد محاولة القبض على المهدي عليه السلام لذلك بعث على ثلاث نفر أميرهم رشيق صاحب المدرابي، وأمرهم أن يخرجوا إلى سامراء مخففين لا يكون معهم قليل ولا كثير إلا أن يركب كل واحد منهم فرساً ويجنب معه آخر ووصف لهم محلّه وداره، وقال: «إذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً أسود، فاكسروا الدار، ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه»^١ فهو يعلم بأن الإمام المهدي عليه السلام يسكن في هذه الدار، ويحتمل العثور عليه حال كبس الدار بصورة مفاجئة.

ثم إنهم استمروا على مهمتهم، فكبسوا الدار وجاسوا خلالها فوجدوا غرفة سرية وعليها ستر جميل جديد، قال رشيق: ما نظرت قطّ إلى أنبل منه، كأنّ الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت ولم يكن في الدار أحد فرفعوا الستر؛ فرأوا بيتاً كبيراً كأنه بحر فيه ماء، وفي أقصى البيت حصير يبدو كأنه على الماء وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة، قائم يصليّ وبقي مشتغلاً بصلاته متوجّهاً إلى ربّه لم يلتفت إليهم كأنه لم يرههم، فبقي رشيق وهو قائد الحملة، مبهوراً واجماً، وأيس من نيل الغرض، وأراد أن يلفظ من خاطر هذا المصليّ ويزيل ما قد يكون قد علق بذهنه من هذه الحملة، فتوجّه إليه قائلاً: المعذرة إلى الله وإليك، فوالله ما علمت كيف الخبر ولا إلى من أجب، وأنا تائب إلى الله... وانصرفوا عنه.

وهكذا فشلت هذه الغارة كسابقتها في النتيجة بالإعجاز الإلهي الذي حصل للإمام المهدي عليه السلام.

الثالثة: غارة المعتضد الثانية في محاولة القبض على الإمام المهدي عليه السلام

١ - ذكره السيد الشهيد الصدر الثاني في الغيبة الصغرى: ص ٥٥١، نقلاً عن البحار: ج ١٣، ص ١١٨، والرواية مفضّله، ومن أراد المزيد فليرجع إلى المصدر.

وفشلها:

بعد أن فشلت الغارة الأولى للمعتضد في محاولة القبض على الإمام الحجة عليه السلام. ظنَّ أن هذه الحملة فشلت بسبب قلة عدد الرجال الذين أكلوا لأداء هذه المهمة؛ والذين بعثهم لتفيذها، متغافلاً عن حالة الإعجاز الإلهي واللفظ اللامتناهي في حفظ الحجة عليه السلام.

ومن هنا جهّز هذه المرة حملة أخرى في محاولة جديدة كي يظفر بها يبغى الوصول إليه فيها.

قال الراوي: [ثمَّ بعثوا عسكرياً أكثر، فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن فاجتمعوا على بابه، وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج... فخرج من السكنة التي على باب السرداب. ومرّ عليهم فلما غاب؛ قال الأمير: انزلوا عليه. فقال: أليس هو مرّ عليك. فقال: ما رأيت. قال: ولم تركتموه. قالوا: إنا حسبنا أنك تراه].^(١)

وفي هذه الأثناء استغلَّ الإمام المهدي عليه السلام أروع لحظة من لحظات ذلك الحصار، لحظة اقترنت بالتوقيت والضبط في التدبير والعناية الإلهية...، فخرج أمامهم من السرداب واختفى.

وهكذا فشلت هذه المحاولة - هي الأخرى - بالفشل الذريع.

الفصل الثاني: إمامة الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام

إن مقتضى الحكمة الإلهية أن يختم الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل بنبيِّنا المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، ويجعل رسالته هي الخاتمة ودينه هو الحق، ثم نصَّ على خلافة الأئمة من بعده ليكونوا حفاظاً للرسالة الإلهية ومبلغين للشريعة الإسلامية، وهداة للناس إلى طريق الحق.

لهذا يجب أن يكون لهم ما للنبيِّ الخاتم من الصفات الكمالية التي ثبتت

لرسول الله ﷺ إلا الوحي.

وقد صرح القرآن الكريم بثبوت مقام الإمامة لأهل بيت الوحي والنبوة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾^(١).

وورد في الروايات المباركة: إن المنذر هو رسول الله، والهادي هو الإمام في كل زمان يهدي قومه للتي هي أقوم. وهناك طائفة أخرى من الروايات نصت على أن الإمام الثاني عشر هو الحجّة بن الحسن العسكري عليه السلام؛ وإنه حيّ غائب سوف يظهر في آخر الزمان، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً.

و عليه عقدنا هذا الفصل لذكر الأدلة التي تنصّ على إمامة خاتم الأئمة ومنقذ البشرية الإمام المنتظر من آل محمّد (صلوات الله عليهم أجمعين) وذلك في مبحثين.

المبحث الأول: النصّ على الإمامة في مقام الحجّة عليّ إمامته

بعد أن اتّضح ثبوت فكرة وجود الإمام المهدي عليه السلام وإنه غائب ولا يزال حيّاً، وهو ابن الإمام الحادي عشر والخلف الصالح من بعده. وذلك بما سيأتي من الأدلة التي تنصّ على إمامته وإقامة الحجّة عليّ وجوده، وبما أن النبوة قد ختمت بنبوة محمّد وقد استخلفه الباري تبارك وتعالى بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ كل إمام ينصّ على الإمام الذي يخلفه، وهذا النصّ هو سلسلة متّصلة بتبليغ النبيّ عن الله تعالى وعليه، فالنصّ على الإمامة أمر إلهي وشأن من شؤون الله وأوامره الرسالية.

إذن يجب أن تستمر الإمامة كما يجب أن تختتم بإمامة صاحب الامر عليه السلام، ولا يجوز أن تنقطع وتحوّل في عصر من العصور، وهذا ما ينسجم مع غيبته الشريفة التي تعدّ من الأسرار الإلهية.

ويتّضح الكلام عند التفصيل في منهجين:

المنهج الأوّل: النصّ على الحجّة عليه السلام: وردت نصوص عديدة تنصّ على إمامة الإمام الحجّة ابن الحسن العسكري عليه السلام في القرآن الكريم والسنة المطهّرة.

وعليه، فيجب على كلّ مؤمن بولاية اهل البيت عليهم السلام أن يهيئ نفسه لانتظار صاحب الأمر ويدعوه له بالفرج.

ولأهمّية هذا الأمر وحساسيته، ومع وجود المنكرين والشبهات الكثيرة التي لا مساغ لها، رأيت من المناسب تفصيل الكلام في ذكر الأدلّة التي تنصّ على إمامة صاحب الامر عليه السلام في منبعين:

المنبع الأوّل: النصّ على إمامة الحجّة في القرآن الكريم:

جاءت نصوص قرآنيّة شريفة، وآيات بيّنات - لا ريب فيها ولا شك - تنصّ على إمامة الإمام الحجّة عليه السلام في آخر الزمان؛ وقد عضدت بروايات مباركة في السنة المطهّرة؛ تأويلاً أو تفسيراً؛ وقد رويت من طريق العامّة والخاصّة؛ ومن ثقة الفريقين، لا يسع المجال لذكرها في هذا المختصر وقد ذكرناها في أصل الكتاب مفصّلاً.

المنبع الثاني: النصّ على إمامة الإمام الحجّة عليه السلام في السنة المطهّرة:

وردت روايات عديدة عن النبيّ الأعظم، وأئمّة أهل البيت المعصومين عليهم السلام تنصّ على إمامة الحجّة ابن الحسن العسكري عليه السلام؛ وإنّه الإمام الثاني عشر من ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو الإمام الغائب الذي سوف يظهر في آخر الزمان والتي لا يسع المجال لذكرها في هذا المختصر، وقد ذكرت في أصل الكتاب بحسب الفترة الزمنية لبعثة النبيّ وإمامة الأئمّة الاطهار عليهم السلام، وهي علي جدولين:

الجدول العام: وفيه الروايات الواردة عن النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله والعترة

الطاهرة حسب الفترة الزمنية.

الجدول الخاص: ويحتوي علي ذكر ما ورد بصورة مباشرة من النصّ علي إمامة الإمام الحجّة عليه السلام من قبل الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام لخاصة أصحابه. نذكره علي فرعين:

الفرع الأوّل: ما ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في وصيّته لخاصة أصحابه، في النصّ علي إمامة ولده الإمام المهدي عليه السلام وإنه الخلف من بعده.

الفرع الثاني: تصريح الإمام المهدي عليه السلام بإمامته: «أنا بقيّة الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه...».

المنهج الثاني: قيام الحجّة علي إمامة الإمام الحجّة عليه السلام: إن هذا المعنى تجسّد في كلمات الإمام الحجّة عليه السلام في أكثر مقابلاته؛ والتي تعدّ حُججاً بالغة يُقيمها الإمام عليه السلام لمن يقابله، وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: قيام الحجّة علي إمامته بالإعجاز

ومنه ما رواه الشيخ الطوسي (قده): [إن رجلاً يدعى بالأودي أو الأزدي، كان عند أدائه الطواف، وكان قد طاف ستاً وبقي عليه الطواف السابع. رأى عن يمين الكعبة شاباً حسن الوجه طيب الرائحة هيوباً ومع هيبته متقرّب إلى الناس، فسألت بعضهم: من هذا؟، فقال: ابن رسول الله، يظهر للناس في كلّ سنة يوماً لخواصّ شيعته، فيحدّثهم ويحدّثونه، فقلت: مسترشد أذاك فارشدني هداك الله. قال: فناولني حصاة، فحوّلت وجهي، فقال بعض جلسائه: ما الذي دفع إليك ابن رسول الله؟، فقلت: حصاة. فكشفت عن يدي فإذا أنا سبيكة من ذهب... إلى آخر الحديث].

الجهة الثانية: قيام الحجّة علي إمامته بعلمه الغيبي بإذن الله تعالى

أقام الإمام المهدي عليه السلام الحجّة علي إمامته من علمه الغيبي الذي أفاضه الله سبحانه وتعالى عليه. ويمكننا أن نبين ذلك من خلال طريقين:

الطريق الأول: إخباره الغيبي لمن يعرفه.

الطريق الثاني: إخباره الغيبي لمن يعرفه ممن يقابله.

المبحث الثاني: كيفية إدارة الإمام الحجّة عليه السلام لشؤون الأمة

إنّ الإمام المهدي عليه السلام بعد أن وصلت إليه نوبة الإمامة، تصدّى لقيادة الأمة، وأشرف على توجيه قواعده الشعبية الموالية، وإدارة شؤونهم، وقضاء حوائجهم، وحلّ مشاكلهم، وتدبير أمور دينهم ودنياهم، واعتمد في ذلك تارةً على نوابه الموكّلين بهذا الأمر بصورة غير مباشرة، وأخرى كان يتصدّى لذلك بنفسه، وكُلّ ذلك تحت ستار التقيّة والكتمان الشديد بحسب ما يراه من المصلحة ونوع الأمر المراد قضاؤه، سواء كانت علي مستوى الأمور العقائديّة أو المسائل العمليّة الشرعيّة فيما يتعلّق بالأمور الدينيّة، أو علي مستوى المشاكل الماليّة أو الاجتماعيّة... وغير ذلك فيما يتعلّق ببياناته الخاصّة.

أمّا في نيابته العامّة وغيبته الكبرى، فقد أوكل الأمر إلى الفقهاء وفق شروط خاصّة، وهنا سوف نستعرض نماذج مختصرة لبعض المشكلات التي حلّها الإمام الحجّة عليه السلام في مجالين:

المجال الأوّل: إدارته عليه السلام لشؤون الأمة في الغيبة الصغرى:

ويتّضح ذلك من خلال عرض عدّة نقاط:

الأولى: تصرّفه عليه السلام في الشؤون الماليّة: من قبض وتوزيع في غيبته الصغرى عن طريق غير السفراء الأربعة...، أمّا عن طريق المقابلة به، أو بدون ذلك.

الثانية: متابعته للأحداث العامة.

الثالثة: حلوله للمشكلات الخاصة.

المجال الثاني: إدارته عليه السلام لشؤون الأمة في الغيبة الكبرى:

بعد أن خرج التوقيع الشريف من الناحية المقدسة على يد السفير الرابع علي السمرى بإعلان إنتهاء السفارة في الغيبة الصغرى، وبداية الغيبة الكبرى...، حيث سأل الشيخ الثقة السمرى لمن يوصي من بعد رحيله من هذه الدنيا الفانية، أجابه عليه السلام: (بأن لا يوصي لأحد من بعد)، لكن لم يترك الأمة سُدى، وإنما أوكل الأمر إلى العلماء العدول في عصر الغيبة الكبرى، للنيابة عنه في إدارة شؤون الأمة، وتدير أمورها، وحل مشاكلها، حيث خرج في توقيع الشريف:

«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه...»
وبهذا نرى أن الإمام الحجة بن الحسن عليه السلام وجه قواعد الشيعة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي نحو المرجعية الدينية، وحمل هؤلاء مسؤولية حفظ الشريعة، وإدارة شؤون الأمة، وتدير أمورها أثناء عصر الغيبة الكبرى وحتى عصر الظهور إلى أن يأذن الله تعالى.

الثالث: منهجية الإمام الحجة عليه السلام في الغيبة

إن لمنهجية التعامل بما يقتضيه الظرف الحساس في عهد الإمامين العسكريين عليهما السلام، من طريقة التبليغ الرسالي إلى التمهيد لغيبة صاحب الامر عليه السلام وما يرتبط بها - من أحداث متوقعة - علاقة مباشرة بمنهجية تعامل الإمام الحجة عليه السلام في غيبته، لشدة الظروف التي كانت في عهد أبيه وجدّه، لأن أعداء اهل البيت عليهم السلام كان شائعا بينهم مجيء ميلاد الإمام الثاني عشر، فحاولوا قطع سلسلة الإمامة.

ومن هنا نهج هؤلاء الأعداء منهج القضاء على أهل البيت عليهم السلام فنجد المعتز يدسّ السمّ للإمام الهادي عليه السلام فيقتله، وكذلك فعل المعتمد مع الإمام العسكري، لكي لا يتركوا مجالاً لميلاد الحجة عليه السلام.
كلّ هذه الأحداث أدّت إلى أن يسلك الإمام الحجة عليه السلام منهجية خاصة في غيبته المباركة من خلال عدّة أمور:

الأول: تعيين الوكلاء والمصلحة من وجودهم

فمن الوكلاء ما ذكره الشيخ الصدوق في إكمال الدين مروياً عن أبي علي الأَسدي عن محمد بن أبي عبدالله الكوفي أنّه ذكر عدد من انتهى إليه، فمَن وقف على معجزات صاحب الزمان (صلوات الله عليه) ورواها من الوكلاء ببغداد العمري وابنه وحاجز والبلاي والعتار، ومن الكوفة العاصمي، ومن أهل الأهواز محمد بن إبراهيم بن مهزيار، ومن أهل قم أحمد بن إسحاق، ومن أهل همدان محمد بن صالح، ومن أهل الري الشامي، والأَسدي يعني نفسه - ومن أهل آذربايجان القاسم بن العلاء - ومن نيشابور محمد بن شاذان النعيمي... إلى آخر الحديث^(١).

أمّا النّوَاب الأربعة فسيأتي الحديث عنهم مفصّلاً إن شاء الله تعالى^(٢).
المصلحة من وجودهم: ذكر السيّد الشهيد محمد الصدر (قده) أنّ للمصلحة من وجود الوكلاء أمرين أساسيين:

الأمر الأوّل: المساهمة في تسهيل عمل السفير وتوسيعه، حيث لا يستطيع السفير بطبيعة الحال وبخاصّة في الظروف السريّة والتكتم في الاتّصال بالقواعد الشيعيّة...

١ - الغيبة الصغرى: ص ٦١٠ - ٦١١ نقلاً عن إكمال الدين، فصل من شاهد القائم عليه السلام.

٢ - في الكتاب الثاني، الفصل الثاني: أقسام الغيبة.

الأمر الثاني: المساهمة في إخفاء السفير نفسه، وكتمان اسمه وشخصه.

الثاني: لقاءات الإمام المهدي مع خاصة شيعته:

إن الهدف من لقاءات الإمام الحجة عليه السلام مع الخواص الخُلص من شيعته هو عبارة عن إقامة الدليل على وجوده؛ وذلك لرفع الشبهات التي قد تُثار من قِبَل الحكومات الجائرة، بل كي لا يكون مجالاً للتشكيك في إمامته عليه السلام، وهذه اللقاءات لا تحصل لأيّ شخص كان ما لم تحصل فيه شروط خاصة؛ كالإخلاص في الولاية، والوثوق بنفس الشخص من قِبَل الإمام عليه السلام والدقة في الكتمان، وعدم إيّاحة هذا السرّ إلى أعداء أهل البيت عليهم السلام، بل لِمَن يشكّ بأمره. وهذا هو مراده عليه السلام، حين قال لبعض مَنْ رآه عام (٢٦٨ هـ):

(يا عيسى ما كان لك أن تراني لولا المكذبون القائلون بأين هو؟، ومتى كان؟، وأين ولده؟، ومن رآه؟، وما الذي خرج إليكم منه؟، بأيّ شيء نبأكم؟، وأيّ معجز أتاكم؟...) (١).

الثالث: كيفية ارتباطه بقواعده الشعبية

لنظرية التمهيد للغيبة؛ والتي وضع أسسها الإمام الهادي عليه السلام وشيّد أركانها الإمام العسكري عليه السلام حيث كانا يتعاملان بها عملياً مع شيعتهم وأتباعهم، أثراً هاماً في الإمام المهدي عليه السلام لأنّ جدّه وأبيه إنما كانا يتعاملان مع الشيعة من خلال النيابة عنهم لأجل الحفاظ على الإمام الحجة من قِبَل أعدائه، وكذلك لترويض الناس على استيعاب نظرية الغيبة عقلياً وعملياً؛ لكي لا يكون ذلك غريباً عندما يستخدمه الإمام الغائب ليرتبط بقواعده

الشعبية وشيعته عن طريق نوابه الخاصين من المعتمدين عنده، والثقات الذين لا يذيعون سرّه، ولا يبشرون أمره، ولا يذكرون اسمه. لهذا لم يكن غريباً على الناس ارتباط الإمام المهدي عليه السلام عن طريق النواب الأربعة، حيث كان عليه السلام يجب على أسئلة السائلين، ويحلّ أغلب مشاكلهم بواسطة خروج التوقيعات الشريفة، والبيانات الصريحة على يد هؤلاء الثقات.

الرابع: التقية في المنهج الرسالي للإمام الحجّة عليه السلام:

للتقية ارتباط وثيق وعلاقة متينة بفكرة غيبة الإمام الثاني عشر الحجّة ابن الحسن العسكري عليه السلام، والتي مهد لها والده الإمام العسكري عليه السلام منذ ولادته الميمونة، بل وضع حجر أساسها، كان هذا الموقف للإمام العسكري عليه السلام بسبب ظروف المراقبة الشديدة لترقب المولود المنتظر عليه السلام، والذي كان العباسيون على أحرّ من الجمر في انتظاره عليه السلام، لكنّ الإمام العسكري عليه السلام - مع دقة التعامل في المحافظة على ولده المهدي عليه السلام، بإخفاء أمره تقية من أعداء أهل البيت عليهم السلام وظالمهم - عرضه على الخاصّة من أصحابه، ونصّ على إمامته من بعده.

تسلّم الإمام الحجّة عليه السلام زمام الأمور في قيادة الأمة بعد أبيه العسكري عليه السلام بالرغم من شدّة الظروف، واختفى عن السلطات الغاصبة اختفاءً تاماً بحيث يتعدّر وصولهم إليه.

والحاصل: يمكن أن نحمل أهمّ المواقف في منهج الامام عليه السلام الرسالي في التقية بعدة أمور:

الأول: إخفاء الإمام الحجّة عليه السلام.

الثاني: توصية المشاهد من الخاصّة المخلصين بعدم إفشاء المشاهدة.

الثالث: تحريم التصريح بالاسم المبارك.

الرابع: الاتصاف بالغموض المطلق من كافّة النواحي الدينية والسياسية

والاجتماعية.

الخامس: حصر الاتصال بالإمام عليه السلام بالوكالة الخاصة في زمن الغيبة الصغرى به، والوكالة العامة في زمن الغيبة الكبرى.

الباب الثاني: الغيبة الإلهية لصاحب الأمر عليه السلام.

قال سبحانه وتعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (١).

لقد أخبر تعالى أن الحجّة البالغة له على الناس؛ والتي لا عذر معها، هي له سبحانه، فقد اقتضت المشيئة الإلهية أن تختتم النبوة العامة بنبوة نبي الإسلام الأعظم الخاصة، وتختتم الرسالات السماوية بالدين الإسلامي الحق، وقبل رحيل النبي الأعظم إلى جوار ربه نصّ القرآن الكريم على استخلاف النبوة بالإمامة، وذلك حينما نزل جبرائيل عليه السلام بالنصّ الألهي على إمامة أمير المؤمنين، وبلغه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في غدیر خم أمام جمع غفير من المسلمين، ولم ينته إلى هذا الحدّ وإنما كان ينصّ على الذي يليه لاستمرار الرسالة.

ثمّ شاء الله سبحانه وتعالى أن يغيب الإمام الثاني عشر وهو خاتم الأئمة وبإمامته قد ختمت الإمامة به، وعند ظهوره عليه السلام ويظهر الحقّ على يديه المباركتين، وينتشر العدل في دولته الكريمة امتداداً للعدل الإلهي واستمراراً لخطّ الأنبياء عليهم السلام.

الفصل الأول: خصائص الغيبة ومميزاتها

لقد تميّزت إمامة الإمام الحجّة ابن الحسن العسكري عليه السلام بأنه حيّ غائب عن الأنظار لشدة الفتن واختلاف الناس فيه، فيجب علينا الاعتقاد الجازم بغيبة صاحب الامر عليه السلام وإنه الإمام المنتظر الذي سيملا الأرض عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً؛ لأنّ إنكار هذا الأمر هو إنكار وجود نبوة نبيّ الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وإنكار المهدي عليه السلام في غيبته يؤدي إلى بسّ المصير في الحياة الأخرى.

عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله: مَنْ أنكر القائم - من ولدي - في زمان غيبته - مات ميتة جاهليّة»^(١).

ومن الثمرات، بل أهمّ الخصائص هو ماورد في كمال الدين: «مثل مَنْ آمن بالقائم - في غيبته - مثل الملائكة الذين أطاعوا الله عزّ وجل في السجود لآدم ومثل من أنكر القائم في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم».

ومن هنا جاءت أهميّة البحث وتفصيل الكلام، وبيان أهم الثمرات المترتبة على هذه الخصائص:

تمهيد في معاني الغيبة:

الأوّل: في اللغة: الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها: إذا استترت عن العين، يقال: غاب عني كذا. قال تعالى: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^(٢). واستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة، وعمّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى

١ - كمال الدين للصدوق: ص ٤١٣، ح ١٢.

٢ - النمل: ٢٠.

الغائب، ويقال للشيء: غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى؛ فإنه لا يغيب عنه شيء... وإنما يعلم بخير الأنبياء ﷺ.

الثمرة الأولى: بيان حقيقة الغيبة ومفهومها:

تناول علماءنا الأعلام الكلام في الغيبة الإلهية لصاحب الأمر والزمان ﷺ من جوانب شتى، لكي يبينوا مفهومها للناس، وخصوصاً في بداية الغيبة الكبرى حتى يدرك الناس حقيقتها ولا يتغافلوا عنها، أداءً لحق من حقوق إمامنا المهدي ﷺ، لأن إبلاغ هذا الأمر هو من القواعد الأساسية للدين الإسلامي، باعتبار أن الإمامة أصل من أصول الدين، فإذا تجاهلها المسلمون سوف يُساء التصرف تجاه العقيدة الحقة، وحينئذٍ يغلق باب الدخول إلى ساحة الأهداف المطلوبة في الإسلام وبالتالي ينحرف الناس.

الثمرة الثانية: الحكمة من الغيبة، وكيفية إنتفاع الناس بالإمام الغائب:

جاء في كلمات أئمة أهل البيت ﷺ وجه الحكمة من غيبة الإمام الثاني عشر من عترة النبي الخاتم، وكيفية إنتفاع الناس من الإمام، وهو غائب عنهم، عن الإمام الصادق ﷺ عن الرسول فلا بد للغلام من غيبة. إنه لم يكن لأحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتني فكالاتفاع بالشمس إذا غيبت عن الأبصار سحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما ان النجوم أمان لأهل السماء.

الثمرة الثالثة: العلة المانعة للإمام المهدي الغائب ﷺ من الظهور:

ورد في الروايات عن أهل البيت ﷺ إن لصاحب الأمر غيبة لا بد منها يرتاب فيها كل مبطل، وإن العلة المانعة للإمام الغائب من الظهور لا يعلمها إلا الله ولا تنكشف إلا بعد ظهوره، نعم ذكر المحققون وجهاً للحكمة من عدم ظهوره.

قال الشيخ الطوسي (قده): لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه

من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمّل المشاق والأذى.

كيف يعلم صاحب الامر عليه السلام زوال الخوف وقت ظهوره؟، (فإن قيل): بالوحي من الله فالإمام لا يوحى إليه، أو بعلم ضروري فذلك ينافي التكليف، أو بأمانة توجب غلبة الظنّ ففي ذلك تغرير بالنفس.

قلنا عن ذلك جوابان:

أحدهما: إنّ الله تعالى أعلمه على لسان نبيّه وأوقفه عليه من جهة آبائه زمان غيبته المخوفة زوال الخوف عنه، فهو يتبع في ذلك ما شرع له وأوقف عليه، وإنّما أخفي ذلك عنّا لما فيه مصلحة، فأما هو فعالم به لا يرجع إلى الظنّ.

الثاني: إنّ لا يمتنع أن يغلب ظنه بقوة الأمارات بحسب العادة قوة سلطانه فيظهر عند ذلك، ويكون قد أعلم أنّه مني غلب ظنه كذلك وجب عليه، ويكون الظنّ شرطاً والعمل عنده معلوماً، وإن كان وجوب التنفيذ للحكم والتوجه إلى القبلة معلومين، وهذا واضح بحمد الله^(١).

الثمرة الرابعة: تصوير القرآن الكريم والسنة المطهرة لطول بقاء الإمام الغائب عليه السلام:

جاءت نصوص قرآنية يمكن أن نستفيد منها صور واضحة لطول بقاء الإمام الغائب عليه السلام، وقد عضدتها السنة المطهرة، بل تعتبر أدلة على ذلك. منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

ذكر العلماء في التفاسير عند ذكر هذه: إنّ ذلك سيكون بإعلاء كلمة الدين وإظهار الإسلام بحقيقته بواسطة خاتم الأئمة الإمام المهدي في آخر

١- راجع: الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٣٢٩ - ٣٣١، فصل في ذكر العلة المانعة من ظهوره.

٢- الصف: ٩.

الزمان عند ظهوره (أرواحنا له الفداء).

وقد وردت روايات متواترة تؤكد هذا المعنى:

فعن النبي أنه قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»^(١).

وبهذا تظهر لنا ثمرة طول بقاء الإمام عليه السلام.

والخلاصة:

إنَّ حاصل هذه الثمرة هو أن الوعد بظهور المهدي عليه السلام أمر يثير فزع الظالمين، ويفجر قلقهم، ويهدد وجودهم في هذه الأرض، لذلك أخذوا يثيرون الشبهات من أجل التشكيك في غيبته، فيجب علينا الثبات على اليقين بها.

الثمرة الخامسة: إمكان وقوع الغيبة، وذكر ممّن اتفقت لهم:

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن قصص كثيرة لمن اتفقت له الغيبة، كما حدّثنا التاريخ بذلك، وسوف نذكر أهمّ الشواهد التي يمكن أن نستفيد منها إمكان وقوعها، مع ذكر جمع من المعمّرين بحسب التسلسل التاريخي تبعاً:

الأوّل: إدريس عليه السلام - الثاني: صالح عليه السلام - الثالث: إبراهيم عليه السلام - الرابع:

غيبة يوسف عليه السلام - الخامس: الخضر عليه السلام - السادس: عيسى عليه السلام السابع:

رسول الله صلى الله عليه وآله.

ذكر جمع من المعمّرين: يقول الشيخ علي اليزدي: نذكر بعضاً منهم خوفاً

من الإطالة:

١ - آدم عليه السلام عمره تسعمائة وثلاثون سنة.

٢ - شيت وعمره تسعمائة واثنان عشرة سنة.

٣ - نوح عليه السلام وعمره ألف وخمسمائة سنة.

١ - مسند ابن حنبل: ج ١، ص ٣٧٨، صحيح الترمذي: ج ٢، ص ٤٦.

- ٤ - إدريس عليه السلام وعمره تسعمائة وخمس وستون سنة.
- ٥ - سليمان بن داود عليه السلام.
- ٦ - أصحاب الكهف.
- ٧ - الخضر عليه السلام.
- ٨ - إلياس عليه السلام.
- ٩ - لقمان بن عاد عليه السلام.
- ١٠ - سلمان الفارسي (رض).

خاتمة في خصائص الغيبة:

عن الإمام السجاد عليه السلام قال: «وإنَّ للقاء غيبتين: إحداهما أطول من الأخرى، فلا يثبت على إمامته إلا من قوي يقينه وصحت معرفته».

الفصل الثاني: الكلام في الغيبة الصغرى

وتبدأ هذه الفترة بوفاة الإمام العسكري عليه السلام، في الثامن من شهر ربيع الأول عام (٢٦٠ هـ) وتنتهي بوفاة السفير الرابع أبي الحسن علي بن محمد السُمري في النصف من شعبان عام (٣٢٩) ^(١).

وهي سبعون عاماً حافلة بالأحداث الجسام والتقلبات العظام، انتقل فيها عمر التاريخ الإسلامي من عقده الثالث إلى عقده الرابع، وانتقلت الوكالة الخاصة أو السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام إلى أربعة من خيار خلف الله تعالى.

١ - وهذا حسب ماورد في الغيبة للطوسي: ص ٢٤٢، والغيبة الصغرى للسيد محمد الصدر: ص ٢٣٥.

المبحث الأول: الميزات الأساسية للغيبة الصغرى

١ - كونها مبدأ تولّي الإمام المهدي ﷺ، للمنصب الإلهي الكبير في إمامة المسلمين بعد أبيه الراحل .

٢ - عدم الاستتار الكلي للإمام المهدي ﷺ وإنما كان يتّصل بعدد منهم من الخاصّة.

٣ - وجود السفراء الأربعة، الموكّلين بتبليغ تعاليم الإمام المهدي ﷺ إلى الناس.

الهدف من السفارة:

إنّ للسفارة والنيابة عن الإمام الغائب ﷺ في غيبته الصغرى هدفاً أساسياً يمكن أن نلخصه بعدة نقاط:

١ - تهيئة الأذهان للغيبة الكبرى، وتعويدهم تدريجياً على الاحتجاب وعدم مفاجأتهم بذلك.

٢ - القيام بمصالح المجتمع، وخاصّة القواعد الشعبية الموالية للائمة ﷺ.

٣ - جعلت السفارة لكي يقود الإمام المهدي ﷺ برأيه إن فاتت قيادته بشخصه.

تحدّدت سفارة الغيبة الصغرى بالنواب الأربعة لا أكثر من ذلك للأسباب التالية:

١ - استيفاء الغيبة الصغرى لأغراضها.

٢ - صعوبة الزمان وازدياد المطاردة والمراقبة من قبل الجهاز الحاكم ومن يواليه.

٣ - عدم إمكان المحافظة على السريّة الملتزمة في خطّ السفارة.

المبحث الثاني: حياة النواب الأربعة

إن وجود النواب الأربعة في فترة الغيبة الصغرى للإمام عليه السلام يشكل المزية الرئيسية لها، وبانتهائهم ينتهي عهد الغيبة الصغرى. وضبط النواب بهذا الشكل من ضروريات المذهب لدى المعتقدين بتنصيبهم من قبل الإمام المهدي عليه السلام.

مفهوم ومعنى كلمة النواب الأربعة:

و هذه الكلمة مختصة فقط بالأشخاص الأربعة الذين تولوا النيابة والوكالة الخاصة عن الإمام المهدي عليه السلام خلال غيبته الصغرى، وفيما يلي نستعرض ذكرهم بالتفصيل:

النائب الأول: عثمان بن سعيد العمري (رضوان الله عليه)

نسبته ولقبه: هو أبو عمرو عثمان بن سعيد (أي أنه كان أسدياً) وإنما سُمي بالعمري لما رواه أبو نصر - (كان أسدياً، فنسب إلى جدّه فقيل: العمري).

أولاده وولادته: له من الأولاد محمد، وهو السفير الثاني وأحمد، ولم يرد في المصادر التاريخية تحديد عام ولادته، ولا عام وفاته.

سفارته عند الإمام الهادي عليه السلام: كان أول ما يرد اسمه في التاريخ، يرد كوكيل للإمام الهادي عليه السلام وكان يستوثقه ويمدحه بمثل هذا القول: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه لكم فعني يؤديه»^(١).

سفارته عند الإمام العسكري عليه السلام: حين يلقي الإمام الهادي عليه السلام ربه

عام ٢٥٤ هـ أصبح أبو عمرو وكيلاً خاصاً موثقاً للإمام العسكري عليه السلام.
سفارته عند الإمام المهدي عليه السلام: قام بأعباء السفارة للإمام الحجة عليه السلام
منذ طفولته، حيث سفر للإمام عليه السلام قرابة خمس سنوات أيام خلافة المعتمد
العبّاسي.

تثبيت السفارة قبل وفاته للناس: ولم يفت أبو عمرو قبل وفاته أن يبلغ
أصحابه وقواعده الشعبية، ما هو مأمور به من قبل الإمام المهدي عليه السلام من
إيكال السفارة بعده إلى ابنه محمد بن عثمان.

وفاته ومحل دفنه: قام ابنه جعفر بن عثمان بتغسيله وتجهيزه ودفنه، كما
قال أبو نصر: قبر عثمان في الجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان
في أول الموضع المعروف بدرب جله في مسجد الدرب يمينه الداخل إليه،
والقبر في نفس قبلة المسجد عليه السلام.

نص
النائب الثاني: محمد بن عثمان العمري (رضوان الله عليه):

هو الشيخ الجليل محمد بن عثمان العمري، يكنى بأبي جعفر، من جهد
صاحب الزمان عليه السلام وكلمات الإمام متظافرة في سفارته للإمام المهدي عليه السلام:
سفر للإمام عليه السلام قراءة عامّة، عاصر فيها المعتمد العبّاسي والمعتضد والمكتفي
وعشر سنوات في عهد المقتدر.

تثيته للسفارة قبل وفاته: ولم يفت أبو جعفر أن يوصي إلى قواعده
الشعبية بالنيابة إلى السفير الثالث الحسين بن روح بأمر من الإمام المهدي
عليه السلام.

وفاته ومحل دفنه: كان يعلم بإرشاد من الإمام المهدي عليه السلام بزمان موته،
وروي أنّه حضر لنفسه قبراً، ونقش فيه آيات القرآن الكريم وأسماء الأئمة
عليهم السلام على حواشيه فكان في كل يوم ينزل في قبره ويقراً جزءاً من القرآن
الكريم ثم يصعد.

مات في آخر جمادى الأولى سنة خمس أو أربع وثلاثمائة (٣٠٤) أو (٣٠٥) وقبره في بغداد عند والدته في شارع باب الكوفة بغداد
 النائب الثالث: الحسين بن روح النوبختي (رضوان الله عليه)

لقبه وكنيته: هو الشيخ الجليل أبو القاسم الحسين بن روح ابن أبي بحر النوبختي، من بني نوبخت، وهو كغيره من السفراء، لم يذكر عام ولادته ولا تاريخ مبدأ حياته، وإنما لمع نجمه.
 سفارته: سفر للإمام عليه السلام بعد سلفه الصالح قرابة واحد وعشرين عاماً أو أكثر إلى بقية عهد المقتدر، وفترة من عهد الراضي (العبّاسي).
 تثبيت السفارة قبل وفاته: بلغ أصحابه وقواعده الشعبية بالنيابة والسفارة إلى أبي الحسن علي بن محمد السمرى عن الإمام المهدي عليه السلام بإيعاز منه عن الإمام عليه السلام.

وفاته ومحلّ دفنه: توفي في شعبان سنة (٣٢٦ هـ) ودفن في النوبختية في الدار التي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ إلى التلّ أو إلى الدرب الآخر وإلى قنطرة الشوك، وقبره ببغداد معروف مقصداً ومزاراً بغداد
 النائب الرابع: علي بن محمد السمرى (رضوان الله تعالى عليه)

نسبه وكنيته وألقابه: هو الشيخ الجليل أبو الحسن علي بن محمد السمرى أو السمرى أو الصيمري، والمشهور جداً هو الأوّل مضبوطاً.
 ولادته: لم يذكر عام ميلاده ولا تاريخ فجر حياته، وإنما ذكر أوّلاً كواحد من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام.
 سفارته: بقي في سفارة الإمام عليه السلام ثلاث سنين إلى مدة عهد الراضي العبّاسي وخمسة أشهر وأياماً من عهد المتقي.

وفاته ومحلّ دفنه: ولحق بالرفيق الأعلى عام (٣٢٩ هـ) في النصف من شعبان. ومحلّ دفنه في الشارع المعروف بشارع الخلنجي من ربيع المحوّل،

قريب من شاطئ نهر أبي عقاب، وله مزار معروف ببغداد بقرب الشيخ الكليني (قده).

المبحث الثالث: في فضل زيارة هؤلاء الثقات

وكيفيتها: وذكر الشيخ الثقة المحدث القمي كيفية خاصة لزيارتهم وهي: (يسلم على رسول الله ﷺ وعلى أمير المؤمنين، وبعده على خديجة الكبرى وعلى فاطمة الزهراء وعلي والحسن والحسين وعلى الأئمة الاطهار عليهم السلام إلى صاحب الزمان صلوات الله عليه، ثم يقول: السلام عليك يا «فلان بن فلان» ويذكر صاحب القبر واسم أبيه، ثم تقول: أشهد أنك باب المولى أدّيت عنه وأدّيت إليه، ما خالفته ولا خالفت عليه فقامت خالصاً، وانصرفت سابقاً ...

المبحث الرابع: كشف السفارة المزورة

ابتليت السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام والنواب الأربعة بعد أعوام قلائل من أول فترة الغيبة الصغرى للإمام عليه السلام وابتداء عهد النواب بدعاوى السفارة كذباً وزوراً، طمعاً في ابتزاز الأموال والتزعّم على الناس.

مفهوم السفارة الكاذبة ومنشؤها:

السفارة الكاذبة: هي التشويه المنحرف لمفهوم السفارة الصادق عليه السلام العادلة.

تاريخ السفارة المزورة: بدأ التزوير في عهد السفير الثاني الشيخ محمد بن عثمان العمري وأما أبوه السفير الأول، فقد كان أقوى وأسمى من أن يعارضه معارض بعد تأريخه المجيد، ولهذا فقد كانت سفارته جهاداً كبيراً

وتضحية، فكيف يعرض نفسه للمطاردة والخطر؟! .
 الزمرة الكاذبة في ادعاء السفارة: أوّهم أبو محمّد الشريعي: قال الراوي:
 أظنّ اسمه كان الحسن، وهو أوّل مَنْ ادّعى مقاماً ما لم يحصله الله فيه.
 محمّد بن نصير النميري، أحمد بن هلال الكرخي، وأبو طاهر محمّد بن
 علي بن بلاب البلالي، وأبو بكر محمّد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي
 من آخر إلى جعفر العمري، وإسحاق الأحمر، ورجل يعرف بالباقطاني.
 خاتمة:

مواجهة الانحراف والتزوير: كان الإهتمام الكبير للإمام المهدي ﷺ
 ونوابه الأربعة في الغيبة الصغرى في الوقوف ضدّ هذا
 الانحراف، ومجاهته أكثر من أيّ تيار آخر لأنه أشدّ على الإسلام من
 الكفار والمشركين.

الفصل الثالث: الغيبة الكبرى وما يرتبط بها تمهيد في معنى الغيبة الكبرى
 بين المبدأ والمنتهى

الغيبة الكبرى: هي الزمان الذي يبدأ بانتهاء الغيبة الصغرى بالإعلان
 الذي أعلنه الإمام المهدي ﷺ عام (٣٢٩) للهجرة على يد السفير الرابع،
 وهو تاريخ انتهاء السفارة وبدء الغيبة التامة ولا ظهور إلا بأذن الله
 عزّ وجلّ، وهو الذي ينتهي بين الظهور الموعود الذي يبرز فيه نور الإمام
 المهدي ﷺ.

أهميتها: لقد شاءت الإرادة الإلهية أن يغيب المهدي من آل محمّد (عليهم
 الصلاة والسلام)، ويُدخّر لنجاة البشرية جميعاً من المعاناة والظروف
 القاسية التي تمرُّ بها في ظلّ الحكومات الجائرة.

و من هنا برزت أهمية الغيبة الكبرى عندما بدأت في مدّة معلومة،

وستستمر إلى مدة غير معلومة حتى يُمتحن الناس، وفي هذا الإمتحان ليُخلص أعداء المؤمنين منهم للتمهيد إلى دولته المباركة وتهيئة الأذهان لتقبل الحكومة العالمية.

وجه الحكمة والسرّ فيها: لقد امتازت الغيبة الكبرى عن الصغرى بأنها تأكيد للاختبار والتمحيص والامتحان الإلهي حيث ساد الظلم والجور عموم الأرض، في الوقت الذي انقطع فيه المسلمون عن إمامهم ووليّ أمرهم عندما بدأت هذه الغيبة المباركة.

إذن، فالسرّ ووجه الحكمة في الغيبة الكبرى لصاحب العصر - والزمان عليه السلام هو انتشار الظلم بين الناس، وشدة البغض لآل علي وشيعتهم، وهذا لا ينسجم مع حضور الإمام والحفاظ عليه من بطش الجبابرة.

ذكر الأدلة عليها: لقد تواترت، الأخبار والروايات عن النبيّ الأعظم وعن أهل بيت الوحي والعصمة بظهور الإمام المهدي عليه السلام وأنه حيّ غائب عن الأبصار غيبة كبرى بعد غيبته الصغرى، يمكن أن نستفيد منها دليلاً على الغيبة الكبرى، فيما سنذكره بنحوٍ من الاختصار:

الأول: ما روي عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أنه قال: «للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيععة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعي فلا يجدونه ألا فمن ثبت منهم على دينه، ولم يقس قلبه لطول امد غيبة إمامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة»^(١). إلى غير ذلك من الروايات والأخبار التي تنصّ على ثبوت الغيبة الكبرى.

النيابة العامة وولايه الفقيه: روي في الاحتجاج عن الإمام العسكري عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه».

وهكذا نرى أن الإمام عليه السلام وجه قواعده الشعبية من مختلف فئات

الشيعة نحو المرجعية الدينية، ولفت أنظارهم إلى حملة الحديث، وحمل هؤلاء مسؤولية حفظ الحديث، وحملهم أعباء الحكم أثناء عصر الغيبة الكبرى وهناك روايات وأحاديث غيرها تدل على هذا الأمر.

نظام الحكم والتكليف في عصر الغيبة الكبرى ومسؤولية الشيعة تجاه الإمام المنتظر عليه السلام: يعرض هذا المبحث إنطلاقاً من القواعد العامة في الإسلام من ناحية، ومن الأخبار الخاصة الواردة في هذا الصدد من ناحية أخرى. ويقع الكلام فيه من عدة مجالات بما هو مطلوب من التكليف في الإسلام، وما قد يترتب على ذلك من نتائج، وأهمها هي:

- ١ - الاعتراف بالإمام المهدي عليه السلام كأمام مفترض وقائد فعلي للأمة.
- ٢ - الانتظار وهو التوقيع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهي الكبير وحصول اليوم الموعود.

٣ - الالتزام بالتعاليم الإسلامية الحقة النافذة المطبقة فيما قبل الظهور.

٤ - الالتزام بالقواعد العامة للجهد، أو العزلة فيما يقتضيه الأمر.

التشريع والحكم في عصر الغيبة:

إن الأحكام التي تصدر عن منصب الولاية والحكومة الشرعية قابلة للتغيير والتحوّل حسب مقتضيات الظروف والأجواء الاجتماعية، ولذلك فلا تحسب من أحكام الشريعة. أمّا مسألة الولاية والحكومة ذاتها فهي غير قابلة للتغيير والاختلاف، ولا يمكن أن تتأثر بالظروف والبيئات مهما كان تأثيرها، وإذا كانت الحكومة والولاية من أوليات الشريعة التي لا يجوز للمسلمين إهمالها وإغفالها، فلا بد أن يكون المسلمون جميعاً مسؤولين عن إقامتها والإهتمام بشأنها.

ومن ذلك كله يظهر لنا: أن مسألة الحكومة والسلطة لا تختصر بزمان

الحضور خاصّة، وإنما تشمل عهد الغيبة والحضور على السواء^(١).

الأدلة على تشريع الحكم في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم عدّة توجيهات صريحة بشأن الحكومة والولاية، منها: قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤).
وهناك آيات أخر بهذا المضمون.

الباب الثالث: الغيبة الإلهية بين الانتظار والظهور

من الأمور المهمّة في عصر الغيبة الإلهية الكبرى، بل أهمّها هو الولاية لصاحب الأمر، والإقرار له بالإمامة، وأنه خاتم الأئمّة المعصومين، وعلى هذا الأساس يجب على شيعة أهل البيت أن ينتظروا ظهور الإمام المنتظر، وأن لا ييأسوا لطول غيبته، وأن يواظبوا على انتظاره وسيدركه الموت كمن كان معه.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كَمَن هو مع القائم في فسطاطه»^(٥).

لهذا قسمنا كلام الانتظار والظهور في هذا الباب إلى فصلين:

١ - نظرية الحكم والسياسية: ص ٣٤ - ٣٦.

٢ - الأحزاب: ٦.

٣ - المائدة: ٥.

٤ - النساء: ٥٩.

٥ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٦، حديث ١٨.

الفصل الأول : صفات الانتظار :

قال تعالى: ﴿ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾^(١).

لانتظار صفات كثيرة وخصائص عديدة، لماله من الأهمية في حياة المسلمين، وهو من الصفات الاعتقادية المدوحة، وإنكاره إنكار للنبوّة والإمامة، وإنّ أفضل الأعمال هو الصبر على انتظار غيبته المباركة؛ لأنّ في عصر الغيبة يكون الثابتون عليها أعزّ من الكبريت الأحمر، والصابرين على تكذيبها بمنزلة الجهاد بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت الله عز وجل: ﴿ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ فعليكم بالصبر»^(٢).

معنى الانتظار والمنتظر والمنتظر

الانتظار: هو التهيؤ النفسي والإدراك العقلي لترقب ظهور الإمام المهدي عليه السلام تنفيذاً للوعد الإلهي.

المنتظر: هو الثاني عشر من أهل بيت محمد الحّي الغائب، وهو بقية الله في العالمين، وحقّته عليهم، الذي سيظهر في آخر الزمان، ويحكم بحكم الله في الأرض.

المنتظر: هو الشخص الشيعي الثابت على ولاية أهل البيت، والذي يقرّ بإمامة الإمام المنتظر، ويؤمن بغيّته، ويطيعه في ظهوره إذا أدركه. فعن الإمام محمد التقي عليه السلام: «إنّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره».

١- الأعراف: ٧١.

٢- منتخب الاثر: ص ٤٩٨.

كيفية الانتظار:

روي عن أهل بيت العصمة والوحي كيفية انتظار الإمام المنتظر (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء) كدستور خاص لشيعتهم في انتظار ظهور الإمام الغائب، نذكر قسماً منها مراعاة للاختصار.

١ - طلب معرفته من الله عزوجل، كما في الدعاء المروي عن الإمام الصادق عليه السلام :

«اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي نَفْسِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعَرَّفَنِي نَفْسِكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ... اللَّهُمَّ عَرَّفَنِي حُجَّتِكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَعَرَّفَنِي حُجَّتِكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي».

٢ - الدعاء بتعجيل الفرج، وطلب الفتح والنصر له من العلى القدير تبارك وتعالى.

وورد في التوقيع الشريف عنه عليه السلام : «وأكثرُوا الدعاء لتعجيل الفرج، فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ، اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيكَ...».

٣ - ترويض النفس استعداداً للجهاد بين يديه عليه السلام.

إلى غير ذلك من الروايات التي وردت في أصل الكتاب، ولا يمكن أن نذكرها، فقد ذكرنا بعضاً منها سابقاً فراجع.

فصل الانتظار والمنتظر ومدح المنتظرين:

في البحار عن النبي قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عزوجل». وفيه أيضاً عنه عليه السلام : «مَنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ، وَانْتَظَرَ الْفَرَجَ عِبَادَةً».

وغير ذلك من الروايات الواردة في فضل الانتظار، ومدح الشيعة المنتظرين لإمامهم في عصر الفتنة والانحرافات والفساد.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ لِإِمَامٍ عَصَرْنَا بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين.

الفصل الثاني: علامات الظهور بين النظرية والتطبيق

ورد في الكلمات والأحاديث الشريفة المروية عن النبي ﷺ واهل بيته المعصومين ؑ تقريب نظرية ظهور الإمام الثاني عشر الحّي الغائب عن الأبصار ودلت الأخبار على أنه ﷺ سيظهر ويخرج لإدارة شؤون الأمة، والإشراف عليها بصورة عملية، بعد غيبته الطويلة، لكنّ هذا الأمر (الظهور) مشروط بوجود الأرضية المناسبة لمجيء الإمام الغائب وإقامة الحكومة الإلهية، كما يجب أن يوجد العدد الكافي من الشيعة المخلصين الموالين لأهل البيت.

فالغيبة الكبرى: هي فترة ابتلاء وامتحان وتمحيص للناس، بها يُعرف الشيعة الخُص في ولايتهم المنتظرين لإمامهم الغائب صدقاً وحقاً، فعلاً وقولاً، فعندما تطبق نظرية الانتظار الحقيقي سوف يتم الظهور بإذن من الله تعالى؛ لكي ينصر الإسلام على أعدائه.

معنى الظهور

الظهور لغة: مالا يخفى... وظهر الشيء ظهوراً: برز بعد الخفاء، ومنه ظهر لي رأي إذا علمت ما لم تكن تعلمه.

واصطلاحاً: المراد به هنا ظهور الإمام المنتظر ﷺ في ذلك اليوم الموعود الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى بعد غيبة طويلة الأمد وكبرى، وتجلي شخصه العظيم بحقيقته وهيبته الإلهية المباركة لنشر العدل في العالم.

الأدلة على ظهور الإمام الحجّة بن الحسن العسكري ؑ:

في القرآن الكريم والسنة المطهّرة: وردت نصوص عديدة في الأعم الأغلب من السور القرآنية الشريفة، يمكن أن نستفيد منها دلالة واضحة وصریحة تنصّ على ظهور الإمام الحجّة ﷺ أنه الإمام الثاني عشر الغائب الذي سيظهر في آخر الزمان، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً، وقد عضدتها

كلمات المعصومين عليهم السلام في السنة المطهرة تأويلاً صريحاً في ظهور الإمام الغائب، وقد أوردناها بحسب تسلسل السور المباركة في أصل الكتاب.

الهدف من الحكومة الإلهية بعد الظهور:

إنّ الهدف الرئيسي والأوّل من بعثة الأنبياء هو: إتمام الشروط التي يلزم توفرها لرشد البشر وتكاملهم الحرّ الواعي الشعوري، والذي يتمّ تحقيقه من خلال إبلاغ الوحي الإلهي للناس، حيث كان الأنبياء العظام^١ يحاولون تشكيل المجتمع المثالي القائم على أساس عبادة الله تعالى والالتزام بالقيم والتعاليم الإلهية، إذ أنّ الهدف الإلهي: هو توفير الأجواء والظروف المناسبة لحركة البشرية الاختيارية ومسيرتهم **﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُل﴾**^(١)؛ لإلزام الناس وقهرهم على اعتناق الدين، واتباع القادة الإلهيين، وقد تحقّق هذا الهدف، ولكنّ وعد الله تعالى في كتبه السماوية بإقامة الحكومة الإلهية على الأرض كلّها، ونشر العدل والقسط في الشعوب المحرومة التي ضاقت ذرعاً بجور الظالمين.

و بما أنّ الإمامة متممة للنبوّة ومحقّقة لحكمة ختم النبوّة، فتوصل على ضوء ذلك لهذه النتيجة:

إنّ هذا الهدف سيتحقّق بواسطة الإمام المهدي عليه السلام عند ظهوره في اليوم الموعود لإقامة الحكومة الإلهية العالمية في كلّ الأرض.

الوعد الإلهي:

قال تعالى: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾**^(٢).

١- النساء: ١٦٥.

٢- النور: ٥٥.

فهذا وعد صريح من الله عز وجل، وإنَّ الله لا يخلف الميعاد للبشرية المؤمنة الصالحة التي قاست الظلم والعذاب في عصر الانحراف، وبذلت من التضحيات الكثير بأن يستخلفهم في الأرض. وجاء في الروايات: إنَّ المصداق الكامل لهذا الوعد سيتحقق في زمان ظهور الإمام الغائب عليه السلام بصورة كاملة.

الخاتمة

بتوفيق من الباري عز وجل وبركة إمامنا صاحب العصر والزمان، انتهيت من البحث في موضوع الغيبة الإلهية لصاحب الأمر بشكل موجز ويسير، لأنَّه لا يمكن لأيِّ أحد مثلي ومن أمثالي فقير العلم أن يلمَّ بكلِّ ما تحويه المهدية من أحداث وتفاصيل في هذا المجال، وخصوصاً حياة الإمام عليه السلام مع اعتدائي لأهل العلم، وأنا أضع بين أيديهم هذا المجهود المتواضع. راجياً من العليِّ القدير (جلَّ وعلا) القبول والإحسان، ومن مولاي صاحب الامر عليه السلام (الرضا).

حسبي الله ونعم الوكيل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الانتظار في المذاهب الإسلامية

مهدي أكبرنجاد

المقدمة

إن نظرية ظهور المنجي تشكّل جزءاً لا يتجزأ من فلسفة الإسلام السياسيّة وتحظى بقبول جميع المسلمين وإن سعى البعض وبدوافع خاصّة أو ربّما من منطلق الجهل بالمبادئ الإسلاميّة للتمويه بأنّ هذه النظرية منبعثة من آراء الشيعة^(١)، لكن الحقائق التاريخية والنصوص الدينية الواردة لا تؤيّد هذا الرأي بل ترفضه جملةً وتفصيلاً.

فمجرّد مراجعة ومرور عابر يكشف الواقع الذي لا يعتريه أي شك ولا تدخله أي شبهة للإنسان المنصف. إنّ هذه النظرية بلغت حدّاً من الوضوح لم يكن من السهل تجاهلها حتّى ممّن أثاروا الشبهات حولها أو حاولوا إنكارها، فقد أذعنوا بأنّ المهدية جزء من معتقدات المسلمين، فمثلاً ابن خلدون - والذي اعتبره البعض من المنكرين للمهدويّة، وقال البعض بأنّه يشكك فيها - كتب في مقدّمته المعروفة:

(اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار - أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلاميّة،

١ - ضحى الإسلام لأحمد أمين: ج ٣، ص ٢٤١ (القاهرة، مكتبة الأسرة).

ويسمى المهدي^(١).

وهذا أحمد أمين الكاتب المصري المعروف وهو من منكري مبدأ المهديّة هو الآخر يعترف بحضور الإيمان بالمهدي لدى كافة الطوائف الإسلاميّة، ويعتبره اعتقاداً إسلامياً، ويقول: (فأما أهل السنّة فقد آمنوا بها أيضاً)^(٢). ومع هذا فقد أبى بعض الكُتّاب المسلمين في الفترة الأخيرة، الاعتراف بمبدأ المهديّة، وقاموا برفضها كمعتقد إسلامي، واعتبروها نتاج الفكر الشيعي، وقد أتوا بآراء لتفنيد هذا المبدأ يبدو وكأنّها تأثرت بوجهات نظر المستشرقين.^(٣)

إنّ الإيمان بالإمام المهدي والتصريح بمصدره الإسلامي - و خلافاً لهذه الآراء غير المسؤولة - كان موجوداً منذ القرون الأولى للتاريخ الإسلامي، وعجّت النصوص الإسلاميّة ومؤلفات العلماء بذكر هذا المبدأ الهام، وتجاهله البعض كالمجاهل للشمس في وضوح النهار. وللبرهنة على ما نقوله نذكر في هذا المقال ما ورد عن لسان علماء أهل السنّة على مذاهبهم الأربعة وفي مصادرهم، والتي تؤكد - بما لا لبس فيه - إيمانهم بهذا المبدأ، وإقرارهم بمجيء المهدي المنتظر، ويجب الإذعان بأنّ هذا الموضوع حظي باهتمام علماء الشافعيّة أكثر من غيرهم من أبناء مذاهب أهل السنّة والجماعة، وفاقت تأليفاتهم من حيث العدد على علماء المذاهب الثلاثة الأخرى.

١ - المقدّمة لعبدالرحمن بن خلدون (بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى): ص ٢٤٥.

٢ - أحمد أمين، نقلاً عن كتاب « المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي»، لثامر العميدي: ص ١٠.

٣ - وللإيضاح يمكن مراجعة المصدر التالي: ضحى الإسلام لأحمد أمين: ج ٣، ص ٢٤٣، وأيضاً ذهنية مستشرقين لعبدالحسين فخار، (منشورات آفاق، الطبعة الثالثة): ص ٥٩.

أ- علماء الشافعية والمهدية

لقد بذل علماء المذهب الشافعي اهتماماً بالغاً بموضوع المهدية، وتناولوا هذا الموضوع وما يتعلّق به في كثير من مؤلفاتهم، وعالجوه من مختلف الزوايا بالفحص والتدقيق. فذكروا الروايات والأحاديث الخاصة بهذا المبدأ تارة، وبيّنوا سمات ومواصفات المهدي تارة أخرى، كما أدخلوا الموضوع أحياناً بمناقشات كلامية للردّ على الشبهات، والإجابة على الإشكاليات.

ومن المفيد أن نذكر بأنّ قسماً من علماء الطائفة الشافعية يتفقون مع علماء الشيعة حول سمات ومواصفات المهدي المنتظر، وهذا ما توضّحه مؤلفاتهم التي سنستعرضها في مكانها بهذا المقال.

ونأتي فيما يلي ببعض آراء ومؤلفات الكتاب الشافعيين حول المهدي الموعود:

١- كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (المؤلف في القرن السابع للهجرة)

لقد قدّم هذا العالم الشافعي آراءه حول الأئمة المعصومين في كتابه (مطالب السؤول في مناقب آل الرسول)، ويظهر من العنوان ما يضمّه الكتاب بين دفتيه، فقد خصّص ابن طلحة الكتاب بذكر فضائل أئمة أهل البيت وسيرة حياتهم، وبالطبع فإنّ الفصل الأخير من كتابه يتناول الإمام المهدي، وقد أفصح الكاتب فيه عن رأيه حول الإمام.

والنقطة الهامة والمثيرة في كتابه أنّه يتفق مع الشيعة على حياة الإمام المهدي حيث يقول: (إنّه ابن الإمام العسكري ولا يزال حياً يرزق).^(١)

كذلك ذكر الشافعي أحاديث عديدة في إثبات ظهور الإمام المهدي من

١ - مطالب السؤول في مناقب آل الرسول (الطبعة الأولى - بيروت، مؤسسة أم القرى، ١٤٢٠هـ - ص ١٥١ - ١٦٢).

مصادر أهل السنة، وأنهى حديثه عن الإمام بمناقشة بعض الشبهات الموجودة حوله، وأسهب في الردّ عليها؛ ومن ضمنها تلك التي تدور حول هويته؛ فقد تساءل البعض: كيف يكون المهدي الذي وعد به النبي هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام، وأجاب ابن طلحة على هذا السؤال مستنداً إلى الحديث المنقول عن النبي في بعض مصادر أهل السنة، حيث جاء فيه بأن: «اسم أبيه اسم أبي»، بتفصيل وجدارة.

٢- الكنجي الشافعي (المتوفى في القرن السابع للهجرة):

من الكتب القيّمة من حيث التبويب والتنظيم كتاب (البيان في أخبار صاحب الزمان) للكنجي الشافعي، وقد أورد الكنجي الأحاديث الخاصّة بالإمام المهدي بترتيب خاصّ، وأبواب منفردة، وموضوعات منسجمة. ويقول الكاتب في مقدّمة كتابه:

(سميته بالبيان في أخبار صاحب الزمان، وعرّيته عن طرق الشيعة تعرية تركيب الحجّة، إذ كلّ ما تلقّته الشيعة بالقبول وإن كان صحيح النقل فإنما هو خرّيت منارهم وخذارية ذمارهم، فكان الاحتجاج بغيره أكد)^(١).

والمُلفت في كتابه أنّه - وخلافاً لغالبية آراء أهل السنة - يعتبر الإمام المهدي مولوداً وعلى قيد الحياة، وذلك بالعنوان الذي أطلقه على الباب الأخير من كتابه، حيث يكتب في بداية الباب الخامس والعشرين:

(ولا امتناع في بقائه بدليل بقاء عيسى والخضر - وإلياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الدجال وإبليس الملعونين من أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة، وقد اتّفقوا ثم أنكروا جواز بقاء المهدي، وها أنا أُبين بقاء كلّ واحد منهم فلا يسمع بعد هذا العاقل إنكار جواز بقاء

١ - البيان في أخبار صاحب الزمان، (الطبعة الأولى - بيروت، دار المحجّة البيضاء) مقدّمة المؤلف.

المهدي) (١).

ويثبت الكنجي وبمستندات وأدلة حياة السيد المسيح والخضر - للدلالة على حياة المهدي، حيث يرى أن فترة حياته الطويلة لا تخالف العقل والواقع.

٢- إسماعيل بن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤ هـ)

لقد خصص إسماعيل بن كثير في كتابه (النهاية في الملاحم والفتن) فصلاً بالإمام المهدي. وقدّم شرحاً عنه، ونقل أحاديث وروايات تتعلق بالموضوع، وقد قام بالإيضاح حول بعضها. وعنون هذا الفصل ب: (فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان)، يقول في بدايته: (وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين... فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ أنه يكون في آخر الدهر، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى بن مريم) (٢).

ويصرّح ابن كثير في جانب من الكتاب أن [المهدي الموعود من ذرية رسول الله ﷺ ومن ولد فاطمة] (٣) وبعد ذكره لعدة أحاديث في هذا المجال، يبحث عن إسنادها، وقد صحّح بعضها وحسن البعض الآخر (٤).

٤- سعد الدين التفتازاني (المتوفى سنة ٧٩٣ هـ. ق)

لقد اهتم التفتازاني - في مجرى بحثه عن الإمامة في كتاب (شرح المقاصد) وهو الفصل الأخير من الكتاب - بموضوع الإمام المهدي، حيث يقول:

١ - المصدر السابق: ص ٩٧.

٢ - النهاية في الفتن والملاحم، (الطبعة الأولى - القاهرة، ١٣٨٨ هـ. ق) ج ١، ص ٢٤.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٨.

٤ - المصدر السابق: ص ٢٦ و ٢٨.

(قد وردت الأحاديث الصحيحة في ظهور إمام من ولد فاطمة الزهراء رضي الله عنها، (تدل على أنه) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)^(١).

ويرى التفتازاني أن ظهور المهدي من علائم القيامة، ويؤكد مجدداً على صحة الأخبار الواردة في المهدي، وإن اعتبرها أحاديث آحاد.^(٢) ومن الواضح أن يشكك الكاتب - وبرؤية نقدية - برأي الشيعة بحياة المهدي، ويستبعد وقوع هذا الأمر^(٣)، ويبدو أنه استند فيما يدعي على استبعاد حياة الإمام لهذه الفترة الطويلة؛ وهو استناد غير سليم وغير مقنع. فلو أمكن إنكار موضوع لمجرد استبعاده ذهنياً، لكان من السهل إذن إنكار الكثير من القضايا، ومن البديهي أن هذا المنهج لا يلقي قبولاً في أوساط غالبية علماء الدين.

٥ - جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ. ق) :

وهو شخصية بارزة من علماء أهل السنة، وله مؤلفات في عدة مجالات من الحديث والتفسير وحتى التاريخ والعلوم القرآنية. وللسيوطي أيضاً تأليف مستقل عن الإمام المهدي، هو كتاب (العرف الوردية في أخبار المهدي) جمع فيه المئات من الأحاديث ومن مختلف مصادر مؤلفات أهل السنة والجماعة، إذ يدل على اهتمامه الخاص بهذا الموضوع. وقد اكتفى السيوطي بنقل الأحاديث والروايات ولم يعلق عليها إلا فيما قلّ وندر. مع هذا فإنه وفي الفصل الأخير من الكتاب يذكر بأربع نقاط هامة، وهي:

١ - إن الإمام المهدي أحد الخلفاء الاثني عشر الذين ذكروا في حديث

١ - شرح المقاصد (قم، منشورات الرضي): ص ٣١٢.

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر السابق: ص ٣١٣.

جابر بن سمرة.

٢ - لا يمكن أن يكون الإمام المهدي من ولد عباس بن عبدالمطلب.

٣ - إنَّ سند حديث: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» ضعيف؛ لأنه

يتعارض مع النقل المتواتر الوارد عن ظهور المهدي، وأنه من أبناء رسول الله، وأنَّ عيسى يصلي خلفه.

٤ - لا أساس ولا دليل على ما نُقِلَ بأنَّ المهدي يظهر من المغرب.^(١)

وإضافة إلى ما نقله السيوطي في هذا الكتاب، أقدم في مؤلفاته الأخرى

كـ «الجامع الصغير» بذكر أحاديث وروايات عن الإمام المهدي.^(٢)

٦ - ابن حجر الهيتمي (المتوفى سنة ٩٧٤ هـ. ق)

ينقل ابن حجر الهيتمي في ذيل الآية الثانية عشرة في كتابه المعروف

(الصواعق المحرقة) فضائل أهل البيت، ويُسهب في نقل الروايات الخاصة

بالمهدي الموعود من مصادر أهل السنة العديدة، ويضيف قائلاً:

[الأظهر أنَّ خروج المهدي قبل نزول عيسى، وقيل: بعده. قال أبو

الحسن الأبري^٣: قد تواترت الأخبار، واستفاضت بكثرة رواياتها عن

المصطفى ﷺ بخروجه، وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه

يخرج مع عيسى (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) فسيساعده على

١ - الحاوي للفتاوي: ج ٢، ص ١٦٥ و ١٦٦.

٢ - الجامع الصغير (طبعة بيروت، دار الكتب، الطبعة الثانية): ج ٢، ص ٥٥٢ و ٥٥٣.

٣ - محمد بن الحسين بن إبراهيم الأبري، الإمام والحافظ والمحدث، وله كتاب في مناقب الشافعي. توفي في عام ٣٦٣ من الهجرة المباركة. نقلاً عن: سير أعلام النبلاء: ج ١٦، ص ٢٢٩.

قتل الدجال بباب لدا بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي خلفه عيسى^(١).

ويقول الهيثمي في مكان آخر من الكتاب وفي معرض رده على سؤال حول الإيمان بأحد المتّمهدين، وسؤال آخر حول من أنكر الإمام المهدي: (إن إيمان هذه الفئة بهذا المتّمهدي باطل وقبيح وبدعة سافرة وضلال مبین، وأما إنكار المهدي فلو كان على إثر إنكار السنّة يترتب عليه حكم الكفر والإرتداد والقتل، وإن لم يكن إنكاراً للسنّة وإنما لمجرد العداء مع أماجد المسلمين، فيجب إذن الاكتفاء بالتعزير)^(٢).

وفي كتابه الآخر (الفتاوى الحديثية) يعود ابن حجر للتأكيد على ما قاله سلفاً، ويذكر عدّة أحاديث مختلفة عن الإمام المهدي، لتعزيز حجّته في الردّ على هذه الأفكار والمعتقدات، ويفنّدها جملةً وتفصيلاً بالاستعانة بهذه الأحاديث^(٣).

والجدير بالذكر: أن الهيثمي وضع كتاباً مستقلاً حول الإمام المهدي أسماه (القول المختصر في علامات المهدي المنتظر)، بثلاث أبواب وخاتمة. ويتحدّث في الباب الأوّل عن العلامات والمواصفات الخاصّة بالمهدي حسب ما وردت في الروايات، وتحت ثلاثة وستين عنواناً بالاستناد على الروايات التي ذكرها. كما يذكر في الباب الثاني الروايات والأحاديث

١ - لدا، بضمّ اللام وتشديد الدال، جمع ألد، قرية بالقرب من مدينة بيت المقدس من نواحي فلسطين، سيقضي- بياها المسيح على الدجال. نقلاً عن مرصد الإطلاع، للبغدادي (طبعة بيروت، دار المعرفة): ج ٣، ص ١٢٠٢.

٢ - الصواعق المحرقة (طبعة القاهرة): ص ١٦٧.

٣ - نقلاً عن المتقي الهندي في البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (الطبعة الأولى، مكة المكرمة، ص ١٤٠٨هـ): ج ٢، ص ٨٧٢ و ٨٧٣.

٤ - ابن حجر الهيثمي في الفتاوى الحديثية (الطبعة الثانية، مصر): ص ٣٧، نقلاً عن الإمام المهدي عند أهل السنّة، لفقيه إيباني: ص ٣٧٧ و ٣٧٨.

الواردة عن الصحابة وهي تسعة وثلاثون حديثاً؛ لينتهي في الباب الثالث في نقل أحاديث التابعين عن المهدي في ست وخمسين رواية. وأمّا في خاتمته فيتطرق إلى موضوعات مختلفة: كخروج الإمام قبل نزول عيسى، وعلامات نزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج دابة الأرض، وفقاً للأحاديث الواردة وأقوال العلماء.

وإضافة لهذا العدد الذي تمّ ذكره من علماء المذهب الشافعي، هناك عدد كثير من علماء هذا المذهب تحدّثوا عن المهدي، إما في سياق مؤلفاتهم وإمّا في تصنيف عمل مستقل، نذكر منهم التزاماً بالاختصار هؤلاء العلماء:

١. المناوي (المتوفى سنة ١٠٣١ للهجرة) في (فيض القدير).
٢. محمد بن رسول البرزنجي (المتوفى سنة ١١٠٣ للهجرة) في كتاب (الإشاعة لأشراط الساعة).
٣. محمد الصبّان (المتوفى سنة ١٢٠٦ للهجرة) في كتاب (إسعاف الراغبين) و(إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون).
٤. أحمد بن محمد الصديق المغربي الغماري (المتوفى سنة ١٣٨٠ للهجرة) في كتاب «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون».

ب - آراء علماء المذهب الحنبلي في المهدي عليه

١ - الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٢٤١ للهجرة)

زعيم المذهب الحنبلي، ومؤلف أحد أوسع وأقدم الجوامع الحديثية لأهل السُّنة والجماعة. ونقل الإمام أحمد في مسنده، كثيراً من الأحاديث والروايات حول الإمام المهدي. وقد قام أحد فضلاء الحوزة العلمية بقم

بمبادرة قيّمة وجديرة، حيث جمع الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي في مسند الإمام أحمد في كتاب واحد أسماه (أحاديث المهدي من مسند أحمد بن حنبل).^(١)

واستخرج من مسند أحمد بن حنبل مئة وستة وثلاثين حديثاً، صنّفت في فصول عدة، وتشمل موضوعات مختلفة عن الإمام المهدي: كالظهور، وعلامات الظهور، والوضع في عصر الظهور، وموضوعات أخرى ذات الصلة بالموضوع الرئيسي.

وربما يقول قائل: إن مجرد ذكر الأحاديث من قبل الإمام أحمد لا يعبر بالضرورة عن موقفه إزاء مبدأ المهديّة؛ لأنّه اكتفى بالذكر، ولم يبد رأياً خاصاً بهذا الموضوع.

وللإجابة نقول: إن ذكر هذا العدد الغفير في مسند قديم كمسند الإمام أحمد لم يأت عن فراغ؛ بل على العكس يدلُّ على موافقة وثقة الكاتب أو الجامع بمضمون الحديث. وبناءً على هذا يكون الإمام أحمد بن حنبل إمام الحنابلة أول شخصية من هذه الطائفة يتخذ موقفاً صريحاً وواضحاً من موضوع المهديّة.

٢ - ابن قيّم الجوزية الحنبلي (المتوفى سنة ٥٧١ للهجرة)

ابن قيّم الجوزية من أعلام كتّاب أهل السنّة ومشاهيرهم. وقد أفرد الفصل الخمسين من كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) للحديث عن المهدي^(٢)، وفنّد حديث: «لا مهدي إلا عيسى»^(٣) المجعول بأدلة وافية

١ - وهو من إعداد وجمع السيّد محمّد جواد الحسيني الجلاي (الطبعة الخامسة، قم، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩ هـ. ق).

٢ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف (طبعة حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٣٩٠ هـ): ص ١٤١.

٣ - المصدر السابق.

وشافية مستشهداً بأقوال بعض علماء أهل السنة، ومن ضمنهم محمد بن الحسين الأبري، بتواتر الروايات النبوية واستفاضتها حول المهدي، قائلاً: (وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته... وأنه يؤم هذه الأمة ويُصلي عيسى خلفه)^(١). وينقل ابن قيم لمزيد من التأكيد على قول الأبري روايات عدة من مصادر أهل السنة، وقد صرح بأن هذه الأحاديث على أربعة أصناف: منها الصحيح والحسن، ومنها الغريب والضعيف. وقد صحح وحسن عدداً من هذه الأحاديث واعتبرها مفيدة للاحتجاج والاستدلال.

٣ - يحيى بن محمد الحنبلي (المتوفى في القرن العاشر للهجرة)

يقول يحيى بن محمد الحنبلي في جواب على سؤال المؤمنين بأحد المتمهدين وعن المنكرين للمهدوية: [الحمد لله، اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك. لا شك في بطلان العقيدة المذكورة؛ لأنها تستلزم مخالفة ورد الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي والذي أخبر فيها بظهور الإمام المهدي في آخر الزمان، وذكر صفات الإمام المهدي وما يقع من الحوادث في زمان ظهوره. ومن علائم ظهور الإمام المهدي المهمة والتي لم يمكن لأحد القول بوقوعها، نزول عيسى من السماء، ووقوفه إلى جنب المهدي، وصلاته خلفه، وكذلك خروج الدجال وقتله... وقد أخبر رسول الله ﷺ بكفر من أنكر المهدي الموعود...].^(٢)

١ - المصدر السابق: ص ١٤٢ - ١٤٣.

٢ - نقلاً عن المتقي الهندي في البرهان في علامات صاحب الزمان: ج ٢، ص ٨٧٥ - ٨٧٦.

ج - آراء علماء الحنفية في المهدي

ترك عدد من العلماء والكتّاب الأحناف مؤلفات وأعمالاً قيّمة عن المهديّة والاعتقاد بمهدي آخر الزمان، وقد شابهت بعضها، آراء الشيعة في الاعتقاد بحياة المهدي عليه السلام إضافة إلى إيمانهم المبدئي بظهور الامام المهدي عليه السلام. ونستعرض فيما يأتي آراء عدد من علماء المذهب الحنفي:

١- ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٠ للهجرة)

لقد رُفد ابن الجوزي في مؤلفه الذائع الصيت (تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة) فصلاً خاصاً للإمام المهدي، تناول فيه الموضوعات والقضايا المتعلقة بهذا المبدأ المهم. ويقول ابن الجوزي في بداية الفصل هذا: [فصل في ذكر الحجة المهدي، وهو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا، وكنيته أبو عبدالله وأبو القاسم، وهو الخلف الحجة صاحب الزمان...].

ويورد الكاتب روايات من مصادر أهل السنة ترتبط بقضية الإمام المهدي، ثمّ يتطرق إلى رأي الشيعة حول حياة المهدي، ويذكر بعض أدلة مدرسة أهل البيت في هذا المجال^(١). ويبدو من كلامه في هذا السياق أنّه شاطر الشيعة بهذا الرأي واعتبره منطقياً ومقبولاً.

٢- ابن طولون الدمشقي (المتوفى سنة ٩٥٣ للهجرة):

عالم مرجع في الفقه والحديث والتاريخ، وله مؤلفات عديدة في الكثير من الموضوعات. ومن مؤلفاته كتاب (الأئمة الاثنا عشر) وقد خصّص فصلاً بـ «الحجة المهدي»، تناول فيه موضوع المهدي بالبحث والنقاش. وقد ذكر في هذا الفصل مجمل عقائد الشيعة وآراءهم حول ولادة المهدي

١ - تذكرة الخواص، لابن الجوزي (بيروت، مؤسسة أهل البيت): ص ٣٢٥.

وبقائه على قيد الحياة.

ويبدو أن ابن طولون يميل لمبتنيات الشيعة في هذا الشأن وإن لم يصرح بذلك علانية، حيث أوكل هذا التصريح لكتابه الآخر تحت عنوان: «الهدى إلى ما ورد في المهدي»، والظاهر أن الكتاب لم يسلم من غدر التاريخ، وضاع بين جنباته.

وأشاد ابن طولون في كتاب (الأئمة الاثنا عشر) وباحترام بالغ بأئمة أهل البيت الإثني عشر في هذه الأبيات:

عليك بالأئمة الاثني عشر	من آل بيت المصطفى خير البشر
أبو تراب حسن حسين	وبغض زين العابدين شين
محمد الباقر كم علم دري	والصادق ادع جعفرأ بين الوري
موسى هو الكاظم وابنه علي	لقبه بالرضا وقدره علا
محمد التقي قلبه معمور	علي النقي دره منشور
والعسكري الحسن المطهر	محمد والمهدي سوف يظهر

٣. عبدالوهاب الشعراني (المتوفى سنة ٩٧٣ للهجرة)

يذكر الشعراني في الباب السادس والخمسين من كتابه (اليواقيت والجواهر) علامات القيامة حسبما جاءت في كتب الحديث، ومن أشراتها خروج الإمام المهدي.

والمثير في آرائه أنه يعتقد - ومع العلم بحنفيته - كما تعتقد الشيعة أن الإمام المهدي هو: ابن الإمام الحسن العسكري، وبأنه لازال حياً يرزق، وسيبقى كذلك حتى ظهور عيسى بن مريم. وهذه هي عبارته بحذافيرها: [وهو (المهدي) من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده عليه السلام

١ - الأئمة الاثنا عشر، نقلاً عن الإمام المهدي عند أهل السنة، لفقير إسماعيل، ج ١، ص

ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم... [١١].

وبهذا لم يخبر الشعرااني بحتمية ظهور المهدي في آخر الزمان فحسب، بل يقرّ بولادته وحياته حتى موعد الظهور، وبهذا يقترب كثيراً من آراء الشيعة في هذا المجال.

٤ - أبو السرور الحنفي (المتوفى في القرن العاشر للهجرة)

كان أبو السرور مفتي الأحناف في مدينة مكة، وقد أجاب على استفتاء وجهه جماعة من مسلمي الهند إلى علماء مكة حول أحد المتمهدين ومن ينكر المهدي، قائلاً:

[إن اعتقاد هذه الطائفة فاسدٌ وباطلٌ وفارغ، وعليه يجب مكافحة هذه العقيدة الباطلة وأتباعها بشدة؛ ليخرج هذا الفكر الفاسد من أدمغتهم].
ويضيف: [إن هذه العقيدة تخالف نص الأحاديث الواردة الصحيحة والسنن الصريحة والمتواترة التي قصّت بها أخبار الرواة، وجميع هذه الأحاديث والسنن تقول: بأن المهدي الموعود يخرج في آخر الزمان برفقة عيسى، وسيقضي على الدجال بالاستعانة منه. ولظهوره علامات منها: خروج السفيناني، والخسوف والكسوف في شهر رمضان خلافاً للعادة الجارية]. [١٢].

وبهذا يظهر جلياً رؤية المذهب الحنفي لقضية الإمام المهدي، فإنهم يدعون بالقضية، ويعتبرونها من ضمن ما نقلته الروايات الصحيحة والمتواترة، وهي نقطة هامة تسجل لصالح علماء هذا المذهب الإسلامي.

١ - اليواقيت والجواهر، (طبعة بيروت، دار إحياء التراث العربي) ج ٢، ص ٥٦٢، الباب ٦٢.

٢ - نقلاً عن المتقي الهندي في (البرهان في علامات صاحب الزمان)، (طبعة مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ): ج ٢، ص ٨٧٤.

٥ - سليمان بن إبراهيم القندوزي (المتوفى سنة ١٢٩٤ للهجرة):

ولد القندوزي بمدينة بلخ، وقضى معظم فترة دراسته فيها، ثم انتقل إلى بخارى لإكمال الدراسة، وفيها مال نحو التصوف والعرفان، حتى أصبح أحد أعلام الصوفية، وقد اكتسب مقامات في المجال النقلي وفي مجال الطريقة الصوفية.

ألّف القندوزي كتاب (ينابيع المودة) الشهير في مناقب وفضائل أهل البيت، وأفرد فيه قسماً كبيراً للموضوعات الخاصة بالإمام المهدي، ذكر فيه الآيات التي نزلت عن هذا الموضوع وتفسيرها، والروايات ذات الصلة بالموضوع. كما نقل أحاديث الخلفاء الاثني عشر والتفاسير الموجودة حولها، والنصوص حول ولادته وأسماء علماء أهل السنة ممن صرحوا بولادته. وفي فصل آخر نقل القندوزي الكرامات والخوارق التي صدرت من الإمام المهدي، ومن زاره في فترة غيبته.^(١)

ويبدو من سياق مؤلفات القندوزي عن الإمام المهدي بأن آراءه لا تختلف مع آراء الشيعة في ولادة المهدي وحياته.

٦ - أبو البركات الألوسي (المتوفى سنة ١٣١٧ للهجرة):

وحذى أبو البركات الألوسي حذو بعض علماء أهل السنة الآخرين، حيث جعل - في مؤلفه (غاية المواعظ) وفي ذكره لأشراط القيامة - ظهور الإمام المهدي من أشراط هذا الحدث العظيم.

ويقول: [إن القول الأصح عند غالبية جمهور العلماء هو ظهور الإمام المهدي وخروجه].

١ - ينابيع المودة (قم، منشورات الرضي): ص ٥٣٦ - ٥٧٢.

وينقل الألووسي عن ابن حجر الهيتمي بأن الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِلشَّاعَةِ﴾^(١) نزلت في الإمام المهدي، وأن في مجيء المهدي أحاديث عديدة حسب قول الهيتمي. وبناءً على هذا يورد الألووسي عدداً من هذه الأحاديث؛ ليناقد بعدها سيرة الإمام المهدي في الحكم وما قاله كبار العلماء في هذا الموضوع. وبالرغم من هذا فيرفض الألووسي رأي الشيعة بحياة الإمام المهدي، وينكره دون أن يأتي بدليل لتعزيز حجته.^(٢)

د- آراء علماء المالكية في المهدي ﷺ

لقد أكد علماء المذهب المالكي كعلماء المذاهب الأخرى على الإيمان بظهور المهدي وخروجه، واعتبروه من ضمن المعتقدات الإسلامية. وتظهر هذه الحقيقة من نصوص ومؤلفات هؤلاء العلماء وفي مختلف الفترات الزمنية، وغصت كتبهم بالتصريح بها. وننقل فيما يلي جانباً موجزاً مما أورده أبرز علماء هذا المذهب الإسلامي:

١- القرطبي المالكي (المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة):

وهو من أبرز وأشهر علماء وكتاب أهل السنة والجماعة، وله مؤلفات علمية معروفة عدة، أهمها تفسير (الجامع لأحكام القرآن). وله كتاب تحت عنوان (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) تناول في فصول منه موضوع الإمام المهدي^(٣)، وتابعه ببيان عدة أحاديث روتها

١- الزخرف: ٦١.

٢- نقلاً عن الإمام المهدي عند أهل السنة، لفضيلة إيباني: ج ٢، ص ١٥٧ - ١٦١.

٣- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (طبعة بيروت، دار ابن زيد): ج ٢، ص ٧٨٥.

مصادر أهل السنة، وعلق عليها وزادها شرحاً وتفصيلاً عن المهدي الموعود.

كما اعتبر في تفسيره الجامع لأحكام القرآن وعند تناوله للآية ٣٣ من سورة التوبة وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١) بأن الآية وحسب رأيه، تنطبق على عهد الإمام المهدي وعصره.^(٢)

٢- ابن الصبّاغ المالكي (المتوفى سنة ٨٥٥ للهجرة):

كان ابن الصبّاغ من كبار المذهب المالكي في عصره، وله كتاب تحت عنوان «الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة». ويقول ابن الصبّاغ في بداية الكتاب: [وسميته بـ (الفصول المهمة في معرفة الأئمة) رضوان الله عليهم أجمعين، أجبت في ذلك سؤال الأعزّة من الأصحاب والخلّص من الأحباب، بعد أن جعلت ذلك لي عند الله ذخيرة ورجاء في التكفير...]^(٣).
والفصل الثاني عشر من الكتاب يختص بالإمام المهدي، سيرة ووصفاً مدعوماً بمواضيع مختلفة وأحاديث عدّة.

ويؤيد الكاتب بشري النبي بظهور المهدي، ويتحدّث عن نسبه العريق الممتد إلى الدوحة الهاشمية المباركة.

والملفت في مؤلفات هذا العالم السني أنّه - وكبعض علماء هذا المذهب - يعتقد بولادة المهدي وبأنّه لا زال حياً على قيد الحياة.^(٤)

١- التوبة: ٣٣.

٢- الجامع لأحكام القرآن (طبعة بيروت، دارالفكر): ج ٤، ص ٤٥.

٣- الفصول المهمة (طبعة بيروت، منشورات الأعلمي) ص ١٩.

٤- المصدر السابق: ص ٢٨٨.

٣ - محمد بن محمد بن الخطاب المالكي (المتوفى في القرن العاشر للهجرة):

وقد سئل هذا العالم أيضاً عن أحد المتمهدين وعمّن يُنكر المهدي، فأجاب: (إن عقيدة هؤلاء القوم عن هذا المتمهدي الميّت بأنه هو الذي سيظهر في آخر الزمان، باطلة وواهية بسبب وفرة الأحاديث الصحيحة الدالة على وجود المهدي وخروجه، والأحداث التي ستقع قرب ظهوره كخروج السفيناني، وخسفه مع جيشه بالبيداء، وكسوف الشمس في منتصف شهر رمضان، وخسوف القمر في أوله... وأيضاً بسبب الأحاديث الدالة على أنه - أي الإمام المهدي - يحكم الأرض، وأن الدجال يظهر في عهده، وعلامات أخرى لا تنطبق مع الشخص الميّت المشار إليه في السؤال).

٤ - الشيخ محمد الصبّان (المتوفى سنة ١٢٠٦ للهجرة):

لقد خصّص الشيخ محمد الصبّان فصلاً مستقلاً عن الإمام المهدي في كتابه (إسعاف الراغبين)، يبحث فيه عن نسب الإمام، ومكان ظهوره، والعلامات التي تسبق ظهوره المنتظر. وينقل الصبّان - إضافة إلى الروايات المختصة بالمهدي الموعود - أقوالاً مختلفة من كبار العلماء كمحي الدين ابن عربي والشعراني تؤيد وتعزز هذا الموضوع. ويبيد محي الدين بن عربي آراء متنوّعة عند الجمع بين الروايات التي تعتبر الإمام المهدي من ذرية الإمام الحسين وبين تلك التي تراه من أبناء الإمام الحسن المجتبي^(١).

٥ - محمد بن جعفر بن إدريس الكتّاني المالكي (المتوفى سنة ١٣٤٥ للهجرة)

وله كتاب (النظم المتناثر من الحديث المتواتر) جمع فيه ما تواتر من أحاديث، ومنها الأحاديث المتعلقة بالإمام المهدي، حيث يصرّ على تواترها

١ - حاشية مشارق الأنوار (طبعة مصر): ص ١١٤، نقلاً عن الإمام المهدي عند أهل السنة لفتية إيماني: ج ٢، ص ٢٨ -

مستنداً بذلك على ما قاله وكتبه أبرز وأشهر علماء أهل السنة. ويرى الكتّاني أنّ مجيء المهدي وظهوره من الضروريات والحتميات حسبما جاء في الحديث والوعود التي تكرّرت على لسان النبي الأكرم.^(١)

تواتر أحاديث المهدي وحجّيتها عند أهل السنة

١- الترمذي (المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة)

وهو من أصحاب الصحاح الستة، وعلّق على ثلاث أحاديث عن المهدي بعبارة (هذا حديث حسن وصحيح)^(٢) وحسن الرابع بقوله: (هذا حديث حسن).^(٣)

٢- أبو جعفر العقيلي (المتوفى سنة ٣٢٢ للهجرة)

يقول العقيلي في كتابه (الضعفاء الكبير) وعند ذكره لسيرة علي بن نفيل الحراني، حيث نقل منه حديثاً عن الإمام المهدي: (وفي المهدي أحاديث جياذ من غير هذا الوجه).^(٤)

٣- الحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥ للهجرة)

المحدّث السني المعروف وصاحب (المستدرک على الصحيحين)، قال بصحّة ستة أحاديث على الأقل فيما ذكره من أحاديث المهدي، إذ يقول: [هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرجاه].^(٥)

٤- البيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة)

يقول بعد تضعيفه لحديث: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم»:

١- النظم المتناثر من الحديث المتواتر (طبعة فاس): ص ١٤ - ١٤٤.

٢- محمد بن عيسى الترمذي، السنن، الأحاديث المرقمة ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ و ٢٢٣٣.

٣- المصدر السابق: الحديث رقم ٢٢٣٢.

٤- الضعفاء الكبير (الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتب العلمية): ج ٣، ص ٢٥٢ و ٢٥٣، رقم الحديث ١٢٥٧.

٥- المستدرک على الصحيحين: ج ٥، الأحاديث المرقمة ٨٤٨٥، ٨٤٨٦، ٨٣٧١، ٨٤٨٠ و ٨٥٧٨.

[والأحاديث على خروج المهدي، أصح إسناداً].^(١)

٥ - البخاري (المتوفى سنة ٥١٦ للهجرة)

ذكر في كتابه (مصابيح السنة) حديثاً عن الإمام المهدي في فصل الروايات الصحيحة.^(٢)

٦ - القرطبي المالكي (المتوفى سنة ٦٧١ للهجرة)

يقول بعد نقل حديث: «لا مهدي إلا عيسى»: [والأحاديث عن النبي في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث]، كما يقول أيضاً بعد نقله حديثاً حول المهدي من ابن ماجه بأن (إسناده صحيح).^(٣)

٧ - ابن منظور (المتوفى سنة ٧١١ للهجرة)

يقول ابن منظور: [والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي أصح إسناداً].^(٤)

٨ - ابن تيمية (المتوفى سنة ٧١١ للهجرة)

يقول ابن تيمية في كتاب منهاج السنة النبوية: [إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود، والترمذي،

١ - نقلاً عن ابن قيم الجوزية في المنار المنيف في الصحيح والضعيف (طبعة حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٣٩٠ ق): ص ١٤٣، الحديث رقم ٣٢٧.

٢ - مصابيح السنة: ج ٣، ص ٤٨٨، الحديث رقم ٤١٩٩.

٣ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (الطبعة الأولى، القاهرة): ص ٦١٧.

٤ - مختصر تاريخ دمشق (الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر): ج ٢٠، ص ١٥٣.

وأحمد، وغيرهم...].^(١)

٩ - الكنجي الشافعي (المتوفى في القرن السابع للهجرة)

يقول عند نقله لحديث أخرجه ابن ماجه حول الإمام المهدي - «المهدي من ولد فاطمة» - إن: [هذا حديث حسن صحيح، أخرجه ابن ماجه الحافظ في سننه].^(٢)

ويعلق الكنجي بعد نقل الحديث المشهور: «كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» بما يلي: [هذا حديث حسن صحيح، متفق على صحته من حديث محمد بن شهاب الزهري، رواه البخاري ومسلم في صحيحهما].^(٣) كما يضيف بعد ذكره لحديث: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين»، بأن: [هذا حديث ثابت حسن صحيح].^(٤) ويصحح ويحسن الكنجي الشافعي في عدّة مواقع الأحاديث المرتبطة بالمهدي.^(٥)

١٠ - ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١ للهجرة)

يصنّف ابن قيم الجوزية أحاديث المهدي على أربعة أقسام، وهي: الصحيح والحسن والغرائب والموضوعات.^٦ ويصرّح بصحّة قسم من هذه الأحاديث.

١ - منهاج السنّة النبوية (الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ق): ج ٤، ص ٢١١، نقلاً عن البستوي، المهدي المنتظر في ضوء الآثار والأحاديث الصحيحة: ج ١، ص ٥٠.

٢ - البيان في أخبار صاحب الزمان، ص ٣٠.

٣ - المصدر السابق: ص ٤٨، الحديث رقم ٢٦.

٤ - المصدر السابق: ص ٥٤، الحديث رقم ٣.

٥ - المصدر السابق، ومنه على سبيل المثال: ص ٦٦ و ٧٠ و ٨٠ و ٩٢.

٦ - المصدر السابق.

١١ - ابن كثير الدمشقي (المتوفى سنة ٧٧٤ للهجرة)

يقول ابن كثير في كتاب (النهاية في الفتن والملاحم) بعد ذكر حديث من سنن ابن ماجه عن الإمام المهدي: [تفرّد به ابن ماجه، وهذا إسناد قوي صحيح].^(١) وعن حديث آخر أورده في كتابه عن سنن الترمذي يكتب ابن كثير: [هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن النبي].^(٢)

١٢ - التفتازاني (المتوفى سنة ٧٩٣ للهجرة)

يقول في شرح المقاصد عند بحثه عن ملحقات باب الإمامة، ومنها خروج الإمام المهدي: «وقد وردت في هذا الباب أخبار صحاح».^(٣)

١٣ - نور الدين الهيثمي (المتوفى سنة ٨٠٧ للهجرة)

يذعن نور الدين الهيثمي وبعد تناوله لروايات المهدي بصحتها، ويقول مثلاً عن أحد هذه الأحاديث: [رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، رواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالها ثقات]^(٤). كما يعبر عن حديث آخر على النحو التالي: (رواه الطبراني في الأوسط ورجالهم رجال الصحيح)^(٥)، ويضيف معلقاً على حديث بعارة (ورجاله ثقات)^(٦).

١٤ - السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ للهجرة):

يذكر السيوطي في كتابه (الجامع الصغير) أحاديث مختلفة عن الإمام المهدي، ويصحح ثلاثة ويحسن اثنين.^(٧)

١ - النهاية في الفتن والملاحم: ص ٢٦.

٢ - نفس المصدر: ص ٢٧.

٣ - شرح المقاصد (الطبعة الأولى، قم، منشورات الرضى، ١٤٠٩ ق): ج ٥، ص ٣١٢.

٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ج ٧، ص ٤١٣ و ٤١٤.

٥ - نفس المصدر: ص ١١٥.

٦ - نفس المصدر: ص ١١٦.

٧ - اليواقيت والجواهر (بيروت، دار احياء التراث العربي): ج ٢، ص ٥٦١.

١٥ - عبدالوهاب الشعراني (المتوفى سنة ٩٧٣ للهجرة) :

يُعنون الشعراني المبحث الخامس والستين من كتابه بهذا العبارة: [في بيان أنّ جميع أشرط الساعة التي أخبرنا بها الشارع حقّ لأبّد أنّ تقع كلّها قبل قيام الساعة، وذلك كخروج المهدي...]"، ممّا يدلّ على وجهة نظر الكاتب إزاء حجّية أحاديث المهديّة.

١٦ - ابن حجر الهيتمي (المتوفى سنة ٩٧٤ للهجرة)

يردّ ابن حجر على حديث: «لا مهدي إلا عيسى» قائلاً: (وجزم غيره من الحفاظ بأنّ الأحاديث التي قبله أيّ الناصّة على أنّ المهدي من ولد فاطمة أصحّ إسناداً).^(١)

١٧ - الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠ للهجرة)

يقول الشوكاني بعد نقله حديثين عن الإمام المهدي: إنّ [رجالهم ثقات] ويقول عن حديثٍ آخر: [رجالهم رجال الصحيح].^(٢)

١٨ - الشيخ المحسن بن عباد (من المعاصرين)

يقول الشيخ: [إنّ أحاديث المهدي الكثيرة التي ألف فيها مؤلفون... تدلّ على حقيقة ثابتة بلا شك، هي حصول مقتضاها في آخر الزمان...].^(٣)

١٩ - الدكتور عبدالعظيم البستوي (من المعاصرين)

يقول الدكتور البستوي في كتابه القيمّ (المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة والضعيفة)، وبعد إخراجهم لسته وأربعين حديثاً صحيحاً وحسناً، وفي مجلّد كتابه الأوّل: [إنّ خلافة المهدي في آخر الزمان حقّ، ولا يمكن إنكارها؛ لثبوت هذه الأحاديث الصحيحة

١ - نقلاً عن الإذاعة لما كان وما يكون، لمحمد صديق حسن خان: ص ١٢٥.

٢ - الصواعق المحرقة، (الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة): ج ٢، ص ٤٧٦.

٣ - نفس المصدر السابق.

٤ - نقلاً عن فقيه إيباني في المهدي عند أهل السنة: ج ٢، ص ٤٣١.

والحسنة^(١)].^(٢)

تواتر أحاديث المهديّة

يجب القول بداية في هذا العنوان: إنّ الأحاديث المنقولة وفق تصنيف عام تكون على قسمين: خبر الآحاد وأحاديث متواترة. ويعني خبر الآحاد: خبر ينقل بواسطة شخص أو عدّة أشخاص، لا يمكن العلم بمضمونه لمجرد قولهم دون قرينة أو ضميمة.

وفي المقابل الحديث المتواتر يعني: حديث لا يدع مجالاً للشك بصحته من حيث تسلسل السند ووفرة الرواة من كافة الطبقات.^(٣) فالحديث المتواتر لا يحتاج إلى تدقيق وتتبع من حيث السند وإن عرض في وجه إسناده رجال ضعاف؛ لأنّه بقدر من القوّة لا يمكن تضعيفه من حيث السند.

وما نذكره آتياً عن علماء وفقهاء أهل السنّة والجماعة في موضوع الإمام المهدي، يندرج تحت عنوان (الأحاديث المتواترة). وإن لوحظ إحياناً في هذا المجال بعض الأحاديث الضعاف فإنّها لا تخل بمبدأ المهديّة بشكل عام.

وهذه نبذة من الأحاديث المتواترة التي أخرجها ورواها علماء أهل السنّة والمتعلّقة بالإمام المهدي المنتظر:

١ - عبد العليم البستوي في المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث الصحيحة: ج ١، ص ٣٥٥ و٣٥٦.

٢ - لقد أحصى بعض كُتّاب أهل السنّة، ما يقارب الـ ٦٧ من علماء وفقهاء هذا المذهب ممّن استندوا على أحاديث المهديّة وتلقّوها بالقبول. لمزيد من المعلومات راجع: د. محمّد أحمد إسماعيل المقدم، المهدي وفقه أشراف الساعة (طبعة الرياض، دار العالمية): ص ٦٦.

٣ - ابن صلاح في علوم الحديث (الطبعة الثالثة، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤ هـ): ص ٢٦٧، وجلال الدّين السيوطي في (تدريب الراوي) بيروت، دارالكتب العربي، ١٤٠٩ ق): ج ٢، ص ١٥٩، وأيضاً الشهيد الثاني في (الدراية في علم مصطلح الحديث) (النجف الأشرف، مطبعة النعمان): ص ١٢، وكاظم مدير شانه جي في (علم الحديث) (الطبعة ١٦، قم، جامعة المدرسين، ١٣٨١): ص ١٦٩.

١ - أبو الحسن محمد بن الحسين الأبري السجزي (المتوفى سنة ٣٦٣ للهجرة)
لللهجرة)

[وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ
بخروجه، وأنه من أهل بيته].

وقد شاطر الأبري في النقل والرأي عدد من فحول علماء أهل السنة
والجماعة من أمثال ابن قيم الجوزية^(١)، وابن حجر العسقلاني^(٢)، وابن حجر
الهيتمي^(٣).

٢ - جمال الدين يوسف المزي (المتوفى سنة ٧٤٢ للهجرة)

في كتابه (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) وضمن استعراضه لسيرة
محمد بن خالد الجندي ينقل حديث: «لا مهدي إلا عيسى» منه، ويقدم
بصحة الحديث وثقة الراوي بقوله: [فإنه غير معروف عند أهل الصناعة
من أهل العلم والنقل]، ويقارن ما نقله من حديث بما ينقله أبو الحسن
الأبري من أحاديث المهديّة؛ ليفند الحديث المنقول عن الجندي، وينحاز
لصالح الأبري^(٤).

٣ - ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة ٨٥٢ للهجرة)

يصرح ابن حجر بتواتر أحاديث المهديّة بقوله: [تواترت الأخبار بأنّ

١ - شمس الدين بن جوزية في المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ص ١٤٢.

٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري (بيروت، دار المعرفة): ج ٦، ص ٤٩٣.

٣ - ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة (الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧ ق): ج ٢، ص ٤٨٠.

٤ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال (الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣):

ج ٢٥، ص ١٤٦.

المهدي من هذه الأمة، وأن عيسى يصلي خلفه^(١).

٤ - شمس الدين السخاوي (المتوفى سنة ٩٠٢ للهجرة):

يقول الكتاني عن السخاوي:

[وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها - أحاديث المهدي -

متواترة]^(٢)

٥ - ابن حجر الهيتمي (المتوفى سنة ٩٧٤ هجرية):

يقول ابن حجر عن أحاديث المهديّة: بأنّ الأحاديث التي ذكر فيها اسم المهدي كثيرة ومتواترة^(٣)، وفي رده على سؤال عمّن يدّعي المهديّة ومّن ينكرها بأنّ هذه العقائد باطلة... بسبب مخالفتها مع صريح الأحاديث المستفيضة والمتواترة المنقولة عن رسول الله ﷺ بأنّ المهدي من أهل بيته.^(٤)

٦ - أحمد بن السرور بن الصبان الحنفي (المتوفى في القرن العاشر للهجرة):

أيضاً في إجابته عن أحد المدّعين بالمهديّة ومّن ينكرها، يقول: [أنّه يجب القضاء على هؤلاء القوم؛ لمعارضة معتقدهم مع السنّة الصريحة التي تبينها الروايات المتواترة]^(٥).

١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٤٩٤. نقل تواتر هذا الحديث من أبي الحسن الأبري وأبدي قبوله به على ما هو ظاهر.

٢ - نقلاً عن النظم المتناثر من الحديث المتواتر (الطبعة الثانية، بيروت، دارالكتيب، ١٤٠٧ ق): ص ٢٣٧.

٣ - الصواعق المحرقة: ج ٢، ص ٤٨٠. نقل تواتر هذا الحديث من أبي الحسن الأبري وأبدي قبوله به على ما هو ظاهر.

٤ - نقلاً عن المتقي الهندي في البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (بتحقيق جاسم المهلهل، الطبعة الأولى): ج ٢، ص ٨٦٧.

٥ - المصدر السابق، ص ٨٧١.

٧ - محمد بن رسول الحسيني البرزنجي (المتوفى سنة ١١٠٣ للهجرة) :

يقول البرزنجي في كتابه (الإشاعة في أشراط الساعة): [واعلم أنّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر]^(١).
ويضيف في مكانٍ آخر: [وقد علمت أنّ أحاديث المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة ÷ بلغت حدّ التواتر المعنوي، فلا معنى لإنكارها]^(٢).

٨ - الشيخ محمد السفاريني (المتوفى سنة ١١٨٨ للهجرة)

يقول السفاريني في مؤلفه (لوائح الأنوار البهية): [والصواب الذي عليه أهل الحق أنّ المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام] وقد كثرت الروايات بخروجه حتى بلغت حدّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عدّ من معتقداتهم]^(٣).

٩ - القاضي محمد بن علي الشوكاني (المتوفى سنة ١٢٥٠ للهجرة)

يقول الشوكاني: [والأحاديث الواردة في المهدي، التي أمكن الوقوف عليها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف والمنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحرّرة في الأصول...]^(٤).

١ - محمد البرزنجي، الإشاعة لأشراط الساعة، طبعة أولى، القاهرة، مطبعة مشهدي الحسيني، ١٣٧٠ ق، ص ٨٧.

٢ - المصدر السابق: ص ١١٢.

٣ - لوائح الأنوار البهية (الطبعة الأولى، مصر، ١٣٢٤ ق): ج ٢، ص ٨٠.

٤ - نقلاً عن السيد محمد صديق خان القنوبي في الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة المدني، ١٣٧٩ ق): ص ١١٤. وأيضاً بالنقل عن المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩ هـ): ج ٦، ص ٤٨٥، في شرح الحديث رقم ٢٢٣.

١٠ - مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي (المتوفى سنة ١٢٩١ للهجرة)
يتطرق الشبلنجي إلى الإمام المهدي في كتابه بذكر فوائد عن هذا الموضوع، ويقول في الفائدة الأولى: [تواترات الأخبار عن النبي أنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً] ويؤكد في الفائدة الثالثة: [تواترت الأخبار على أنه يعاون على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين بالشام]^(١).

١١ . صديق حسن خان القنوجي (المتوفى سنة ١٣٠٧ للهجرة):
يقول القنوجي: [والأحاديث الواردة فيه - المهدي - على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حدّ التواتر]^(٢).
ويصرّح في مكانٍ آخر: (لا شكّ في أنّ المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام، لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف إلا من لا يعتدّ بخلافه)^(٣).

١٢ . محمد بن جعفر الكتّاني المالكي (المتوفى سنة ١٣٤٥ للهجرة):
يقول الكتّاني: [والحاصل أنّ الأحاديث الواردة في المهدي متواترة...]^(٤).

١٣ . أبو الفيض الغماري الشافعي (المتوفى سنة ١٣٨٠ للهجرة):
يشير الغماري عند رده على كلام ابن خلدون إلى نقل هذه الأحاديث

١ - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ): ص ٢٦٢.
٢ - المصدر السابق.
٣ - الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: ص ١١٢.
٤ - المصدر السابق: ص ١٤٥.
٥ - السنن المنانثر من الحديث المتواتر (الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ): ص ٢٤١.

عن ثلاثين من الصحابة، ويذكر بإذعان علماء أهل السنة في تواتر هذه الروايات، ويؤكد قائلاً: [وقد كثر في الناس اليوم ممن يخفي عليه هذا التواتر ويجهله]^(١).

إن ما ورد في هذا الجانب، قسم مما تناقلته كتب ومؤلفات أهل السنة، واليسير مما صرحت به أفواه كبار علمائهم خلال القرون المتتالية والمتهادية. وهذا يكفي للبرهنة على أن الاعتقاد بالإمام المهدي من صميم التعاليم الدينية والمعتقدات الإسلامية، وليس موضوعاً مبنياً على حديث واهن، أو نقل ضعيف يظن البعض أنه بمقدورهم انهباء قواعده بمجرد تضعيف هذا الحديث وتفنيده ذلك الخبر.

وكيف يمكن لموضوع اهتمت به مصادر الفكر الإسلامي، ولفت انتباه علماء شتى المذاهب الإسلامية طيلة العهد الإسلامي وتاريخه العريق، وتناولوه بالنقاش والتحليل، واستعرضوه بمختلف الآراء ووجهات النظر، أن يكون مبنياً على وهم وعديماً من الاستناد لقواعد متينة؟!، ولو أمكن التشكيك والترديد في هذا الموضوع مع وجود هذا الكم الهائل من الأحاديث المتواترة والنقل المستفيض، فكيف بالمعتقدات الإسلامية الأخرى؟!، هل تسلم هي الأخرى من سهام التشكيك والرفض المسعورة؟!.

النتيجة:

يتضح مما أوردناه من وجهات نظر علماء أهل السنة بمختلف مذاهبهم ومؤلفاتهم حول المهديّة بأن الإيمان بظهور المهدي الموعود يشكل جزءاً من معتقدات هذه المذاهب، ولم يرصد أي تشكيك وترديد لهذا الموضوع من

١ - إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون (دمشق، مطبعة الترقوي، ١٣٤٧ هـ):

غالبية علمائهم، وأنّ هناك منهم من جعل هذا الاعتقاد من ضروريات الدين، كما انعكس في نصوصهم، وأُفتيَ بارتداد المنكر للمهدي، لو كان إنكاره هذا يؤدي إلى إنكار السنّة النبوية الشريفة. ومن الواضح والبيّن أن اختلاف كثير من هؤلاء العلماء مع علماء الشيعة وآرائهم في تفاصيل الموضوع ومواصفات الإمام المهدي، ولكن الإجماع حاصلٌ على المبدأ.

ولقد تبين من خلال المقال أنّ من بين علماء مذاهب أهل السنّة، من يؤيد الرأي الشيعي عن شخصية الإمام المهدي ويتفق معه حول ولادته وبقائه على قيد الحياة، كلّ هذه الفترة التي تتجاوز الألف وبضع المئات من الأعوام.

والخلاصة: أنّ الإيمان بوجود المنقذ والمنجي، اعتقاد إسلامي لا ينحصر بطائفة دون سواها، والإجماع الواقع على كليات الموضوع ناتج عن الأحاديث والروايات الواردة عن الحبيب المصطفى ﷺ. *والله أعلم*

فهرس المصادر:

١. ضحى الاسلام، أحمد أمين المصري، الجزء الثالث، مصر، مكتبة الأسرة.
٢. مقدّمة ابن خلدون، ابن خلدون، بيروت، دارالكتب، الطبعة الأولى.
٣. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي، ثامر العميدي، مركز الرسالة، قم.
٤. ذهنية مستشرقين، عبد الحسين فخار، الطبعة الثالثة، منشورات آفاق.
٥. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، النصيبي الشافعي، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسّسة أم القرى.
٦. البيان في أخبار صاحب الزمان، الكنجي الشافعي، الطبعة الأولى، بيروت، دار المحجّة البيضاء.
٧. النهاية في الفتن والملاحم، ابن كثير، الجزء الأوّل، طبعة القاهرة.
٨. شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، قم، منشورات الشريف الرضي.

٩. الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم القرآن والحديث والأصول والعقائد والتصوّف، جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني.
١٠. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتب.
١١. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، الجزء السادس عشر.
١٢. مرصد الاطلاع، البغدادي، الجزء الثالث، طبعة بيروت، دار المعرفة.
١٣. الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، ابن حجر الهيتمي، طبعة القاهرة.
١٤. البرهان في علامات مهدي آخر الزمان، المتقي الهندي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مكة المكرمة.
١٥. الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، الطبعة الثانية، مصر.
١٦. الإمام المهدي عند أهل السنة، مهدي فقيه إسماني، بطبعته الأولى والثانية.
١٧. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، شمس الدين ابن قيم الجوزية، طبعة حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية.
١٨. تذكرة الخواصّ، ابن الجوزي، بيروت، مؤسّسة أهل البيت عليه السلام.
١٩. اليواقيت والجواهر، الشعراني، الجزء الثاني، طبعة بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢٠. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، قم، منشورات الشريف الرضي.
٢١. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، الجزء الثاني، بيروت، دار أبي زيد.
٢٢. الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي)، القرطبي، الجزء الرابع، بيروت، دار الفكر.

٢٣. الفصول المهمّة في معرفة أحوال الائمة عليهم السلام، ابن الصباغ المالكي، بيروت، منشورات الأعلمي.

٢٤. النظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمّد بن جعفر بن إدريس الكتّاني، طبعة فاس.

مسؤوليات عصر الغيبة

محمد مهدي الآصفي

المقدمة

عصر الغيبة هو عصر اختفاء الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام عن الأنظار وهو المهدي من آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) المولود بسامراء. وعصر الغيبة ينشطر إلى شطرين: الغيبة الصغرى وتبدأ في سنة ٢٦٠هـ وينتهي سنة ٣٢٩هـ، وقد تداول أمر القيادة النائية للإمام المهدي عليه السلام في هذه الفترة سفراء أربعة يمثلون الامام عليه السلام وهم:

١ - أبو عمرو و عثمان بن سعيد العمري، تولّى السفارة عن الإمام عليه السلام بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام سنة ٢٦٠هـ.

٢ - محمد بن عثمان بن سعيد العمري، توفي سنة ٣٠٥هـ.

٣ - أبو القاسم حسين بن روح النوبختي، توفي سنة ٣٢٦هـ.

٤ - أبو الحسن علي بن محمد السمرى، توفي سنة ٣٢٩هـ.

وبوفاته (رضوان الله عليه) تنقطع دورة النيابة الخاصة، وامتدت هذه الفترة من سنة ٢٦٠هـ إلى ٣٢٩هـ.

وبعد هذه الفترة يبدأ عصر الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام. ولا نزال نحن في عصر الغيبة الكبرى.

وفي هذا العصر تتحوّل القيادة النائية الخاصة إلى القيادة النائية العامة، وأمر هذه القيادة للفقهاء العدول المتصدّين للقيادة.

يمتدّ عصر الغيبة من وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وولاية الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام إلى اليوم، وهو أطول عصور التاريخ الإسلامي.

ولابدّ من دراسة فقهية وثقافية لهذه الفترة، وإن لم يتيسر لنا الآن فرصة كافية لهذه الدراسة فلنا أن نتساءل عن مسؤولياتنا وواجباتنا في هذا العصر. وأنا في هذه المقالة بصدد الإجابة الإجمالية عن مسؤولياتنا وواجباتنا في عصر الغيبة.

القيادة والطاعة في عصر الغيبة

وأول شيء يجب علينا أن نتساءل عنه هو: هل أن غياب الامام عليه السلام واختفاؤه بمعنى غياب القيادة والطاعة والتعليقات القيادية في هذه الفترة أم لا؟، وهل تنقطع القيادة والطاعة للقيادة والتعليقات القيادية باختفاء الإمام أم لا؟، هذا سؤال مهم وله آثار واسعة في ثقافتنا وحياتنا السياسية والاجتماعية.

والجواب على هذا السؤال واضح لمن يعرف الطبيعة القيادية في هذا الدين وفي سائر رسالات الله تعالى.

الطبيعة القيادية في رسالات الله

تأملوا في سورة الشعراء تجدون أن دعوة الانبياء عليهم السلام تتلخص في كلمتين: التقوى والطاعة كما أن خطاب الانبياء عليهم السلام لأممهم في هاتين الكلمتين {فاتقوا الله وأطيعون} أي: (أطيعوني).

التقوى في علاقة الإنسان بالله تعالى والطاعة في علاقة الإنسان بالأنبياء

التقوى في الحلال والواجب والحرام، وهو الالتزام الكامل بحدود الله سبحانه وتعالى بشكل دقيق.

والطاعة في علاقة الناس بالانبياء عليهم السلام.

والطاعة هنا مقولة أخرى غير مقولة التقوى.

التقوى لله تعالى، والطاعة للأنبياء.

التقوى في الثوابت من حدود الله، في الصلاة والصوم والحج والزكاة، وفي العبادات والمعاملات، والطاعة في الشؤون والأحكام المتغيرة التي يأمر بها الانبياء ﷺ حسب ما يقتضيه الزمان والمكان.

تأملوا في هذه الآيات من سورة الشعراء:

{ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا }^(١).

{ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا }^(٢).

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ }^(٣).

إلى آخر الآيات المباركة التي تخص دعوة الانبياء ﷺ لأمتهم بالتقوى والطاعة.

الصيغة القيادية في الإسلام

عن طاعة رسول الله ﷺ وأولي الأمر من بعده، يقول تعالى: { أَطِيعُوا

١- الشعراء: ١٠٥ - ١١٠ .

٢- الشعراء: ١٢٣ - ١٣١ .

٣- الشعراء: ١٤١ - ١٥٢ .

اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿١١﴾ .

وتعدّد كلمة الطاعة في هذه الآية تشير إلى اختلاف نوع الطاعة. فالطاعة الأولى: وهي طاعة الله (أطيعوا الله) في الثوابت من حدود الله تعالى في الحلال والحرام والواجبات، وهي الثوابت الشرعية، وهي طاعة الله حتّى لو كان الأمر به من رسول الله ﷺ .

والطاعة الثانية: طاعة لرسول الله ﷺ ولأولي الأمر من بعده (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) طاعة في المتغيّرات السياسية والاجتماعية والعسكرية.

قدّم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجراً، فكان أوّل ما أقامه في المدينة بعد إقامة المسجد الولاية العامة والطاعة في السلم والحرب، وتقبّل المسلمون هذه الحقيقة بشكل طبيعي.

وتوفّي رسول الله ﷺ واختلف المسلمون في أمر خلافة رسول الله ﷺ إلى اتجاهين اثنين، لا يزالان قائمين، ولكنهم لم يختلفوا في وجوب تثبيت الولاية والسيادة والحاكمية والطاعة بعد رسول الله .

وتعتمد طائفة واسعة جداً من أحكام الله تعالى وحدوده في العبادات والمعاملات والقضاء والحدود والعقوبات الشرعية وتتوقف على قيام الدولة والسيادة والحاكمية في المجتمع، ولا يمكن تطبيقها من دون قيام سيادة وحاكمية شرعية في المجتمع كالحود الشرعية، وحسم النزاعات في القضاء والجهاد والدفاع . . . وأمثال ذلك.

ولا يمكن أن يقول فقيه بتعطيل أحكام الله وحدوده وشريعته في عصر الغيبة، وهو أطول عصور التاريخ الإسلامي.

وعليه فإنّ النتيجة التي نريد أن نستخلصها من هذا الشرح أنّ عصر الغيبة هو عصر اختفاء الإمام المهدي عليه السلام لأسباب يعلمها الله تعالى، وليس ذلك بمعنى غياب القيادة والطاعة.

والفقهاء العدول الأكفاء المتصدّون هم القيادة النائبة في هذا العصر. ولا تتعطل القيادة، ولا الطاعة، ولا التعليمات القيادية في عصر الغيبة، كما لا تتعطل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والدفاع، ومقاومة الحُكّام الظلمة، وتنفيذ أحكام الله تعالى وحدوده في هذا العصر.

تكاليف المؤمنين ومسؤولياتهم في عصر الغيبة وسوف نتحدّث في هذه المحاضرة إن شاء الله تعالى في ضوء هذه المقدمة عن تكاليف ومسؤوليات المؤمنين في عصر الغيبة، وهي كثيرة، نقتصر منها على خمس نقاط:

- ١ - المعرفة.
 - ٢ - الإعداد والتحضير لظهور الإمام.
 - ٣ - الدعاء للإمام عليه السلام ولنا بالفرج بظهوره.
 - ٤ - الطاعة للقيادة النائبة في عصر الغيبة.
 - ٥ - الثبات على موثيق الولاية.
- وإليك شرح موجز لهذه النقاط الخمسة:

١ - المعرفة

معرفة الامام عليه السلام أمر أساسي في هذه المرحلة، فهو عليه السلام حجة الله تعالى على عباده، وإمام العصر، ولا بدّ للمؤمنين من معرفة قائمة على أسس علمية متينة ومحكمة، وقناعة كاملة بحياة الامام عليه السلام وغيبته، واستعداد وتأهب كامل لنصرته والجهاد بين يديه.

وهذه المعرفة لا بدّ أن تقوم على أسس تعبدية في معظم أجزائها. وإليك توضيح هذه النقطة.

المعرفة التحليلية والتعبديّة

المعرفة في الإسلام على نحوين:

معرفة تحليلية عقلية، ومعرفة تعبديّة.

بمعنى أنّ هناك أحكاماً ومعادلات في الإسلام تقبل التحليل العلمي العقلاني بشكل واضح، وهناك أحكام ومعادلات لا نتلقاها إلا من خلال التعبد، ولا يمكن دراستها وفهمها من خلال دراسة علمية.

وفيما يأتي نضرب بعض الأمثلة على كلّ من هذين المسلكين للمعرفة. هناك طائفة واسعة من أحكام الشريعة والمعادلات والقضايا المعرفية في القرآن والسنة والفقهاء نستطيع أن ندركها بعمق من خلال التحليل العلمي.

مثل قوله تعالى: **{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}** ^(١).

فلا نتوقف ولا نتردد في فهم الحقيقة التي تقرها آية القصاص... وإنّ في قصاص القاتل والمجرم حياة وأمن وسلام للآخرين.

ويقول تعالى: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}** ^(٢).

إنّ الآية الكريمة تقرّر حقيقة مشهودة للعلم والعقل، وهي أنّ إرهاب العدو يحقق الأمن والسلام للمسلمين، وأنّ إعداد القوة أمر لا بدّ منه لإرهاب العدو.

وفي مقابل ذلك هناك طائفة من القضايا المعرفية والحقائق والمعادلات التي يقررها القرآن والسنة الشريفة لا يمكن فهمها إلا من خلال بصائر الوحي والتعبّد فقط.

يقول تعالى: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِمَّن حَيْثُ لَا**

١- البقرة: ١٧٩.

٢- الأنفال: ٦٠.

يَحْتَسِبُ ﴿١﴾ .

ونتساءل عن العلاقة المحسوسة بين التقوى والرزق وانفراج الأزمة، فلا نجد سبيلاً لفهم هذه الحقيقة والمعادلة إلا من خلال التعبد بكلمات الله تعالى في القرآن.

ويقول تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ﴿٢﴾ .

فتساءل: ما هي العلاقة بين التقوى وهطول الأمطار من السماء واخضرار الأرض؟، فلا نجد سبيلاً لمعرفة هذه المعادلة إلا من خلال بصائر الوحي بالتعبد بكلام الله تعالى.

ويقول تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ﴿٣﴾ .

ويقول تعالى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} ﴿٤﴾ .

فلا نجد علاقة محسوسة خاضعة للمعرفة الإنسانية بالوسائل المتيسرة لنا في المعرفة بين الدعاء والاستجابة، وبين الشكر والزيادة، ولا نجد مسلكاً علمياً أميناً للإيمان بهاتين الحقيقتين إلا من خلال بصائر الوحي بالتعبد بكلام الله تعالى.

الغيبة والظهور مسألة تعبدية

وإذا اتضح هذا التفريق بين مسلكي التحليل العلمي و«التعبد» لتحصيل المعرفة في الإسلام . . . نقول: إن قضية (الظهور) و(الغيبة) من

١ - الطلاق: ٢ و ٣ .

٢ - الأعراف: ٩٦ .

٣ - غافر: ٦٠ .

٤ - إبراهيم: ٧ .

المسائل التعبديّة، ومحاولة إخضاع هاتين القضيتين للتحليل العلمي تؤدّي إلى نتائج سلبية في نفوس المؤمنين...، ولا بدّ أن نأخذ هذه القضية وتلك من معين (التعبّد) بكلام الله وكلام رسوله وأهل بيته عليهم السلام.

الظهور والغيبة

إنّ قضية الإمام المهدي عليه السلام قضيتان وليست واحدة، وهما الظهور والغيبة.

أمّا قضية الظهور فهي موضع اتفاق عند جميع المسلمين سنة وشيعة، ولا يختلف فيها أحد، ويتفق المسلمون جميعاً على ظهور الإمام المهدي، وأنّ المهدي عليه السلام يظهر في آخر الزمان يملأ الأرض بالعدل والتوحيد بعد ما ملئت بالظلم والشرك، ويخضع الله تعالى له الأرض كلّها.

وهذه روايات متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يشكّ فيها أحد من المسلمين، ويتفقون أيضاً أنّه من ولد فاطمة (عليها السلام).

وقد ورد ذكر هذا الحدث الكوني العظيم في كتابين من الكتب السماوية: الزبور والقرآن، يقول تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} ^(١).

وأفهم من الآية الكريمة أنّ الكتب الإلهية التي تذكر هذه القضية ثلاثة: القرآن والزبور والتوراة، لأنّ القرآن يذكر الزبور بعد الذكر، والذكر التوراة.

أمّا الغيبة: ففي رواياتنا روايات متواترة بالغة حدّ التواتر في كلّ مراحل السند بولادة الإمام المهدي عليه السلام بسامراء وغيبته، وفي روايات أهل السنة

إشارات واضحة إلى غيبة الإمام المهدي، منها: روايات الأئمة أو الأمراء الإثني عشر في هذه الأمة التي تواترت فيها الروايات، وصحّت في صحاح الحديث كالبخاري ومسلم والترمذي.

ولا يمكن تطبيق هذه الروايات على أية حالة في التاريخ غير أئمة أهل البيت الإثني عشر عليهم السلام. ولولاهم لم يكن لهذه الرواية مصداق في التاريخ الإسلامي. وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله أن الأئمة من بعده اثني عشر إماماً. كما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

وهذه الرواية واضحة في أن لكلّ زمان وفي كلّ عصر إمام عدل حقّ، مَن مات ولم يعرفه ولم يبايعه مات ميتة جاهلية.

فمَن هو إمام زماننا الحقّ العدل، الذي يقول عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية»؟

وأمثال هذه الروايات وهي كثيرة تشير إشارات واضحة إلى وجود الإمام وحياته عليه السلام في عصرنا. والروايات العامة من أمثال هذه الروايات كثيرة أيضاً.

٢ - الإعداد والتحضير لظهور الإمام:

الانتظار قسمان:

أولاً: الانتظار بمعنى الرصد، كما ننتظر حلول شهر رمضان، وخسوف القمر وكسوف الشمس وأوقات الفريضة.

ثانياً: والانتظار بمعنى التحضير والإعداد، كانتظار المريض للشفاء، وانتظار الطالب للنجاح، وانتظار المهندس لإكمال البناء.

والفرق بينهما: أن القضايا التي ننتظرها من النوع الأول لا يمكن

تقديمها ولا تأخيرها، والقضايا التي نتظرها من النوع الثاني يمكن تقديمها وتأخيرها، وانتظار الامام عليه السلام من النوع الثاني من الانتظار. وذلك لأن ظهور الامام عليه السلام حدث كوني كبير في المساحات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والحضارية. ومثل هذا الحدث الكبير الذي نخبرنا به القرآن والسنة المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله لا بد أن يكون مشمولاً لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}، فلا يمكن أن يشذ حدث بهذا الحجم من سنة التغيير، وإذا كانت سنة التغيير نافذة على كل قوم (لا يغير ما بقوم) فكيف يشذ عنها هذا الانقلاب الكوني الشامل لكل الأرض ولكل الأقوام؟. إذن لا يتم هذا الانقلاب الكوني الشامل في حياة الناس ما لم يغير الناس أنفسهم، ويعدوا أنفسهم وأبناءهم وبناتهم وعوائلهم ومجتمعهم وشعوب الأرض لهذا الانقلاب الكوني الشامل.

ولهذا التغيير مصاديق كثيرة، منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها الدعوة إلى الله، ومنها تربية الجيل الناشئ، ومنها تركية النفوس، ومنها مكافحة الظالمين ومقاومتهم والتشهير بهم وإسقاطهم، ومنها إشاعة ثقافة الإسلام بين الناس، ومنها إعداد الشباب من هذه الأمة للقيام بمسؤولية التغيير الكبير، ومنها إنشاء وإقامة الكيانات السياسية الإسلامية على وجه الأرض، ومنها إقامة الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، ولتفقيه الناس وتثقيفهم بدينهم، ومنها الإنفاق، ومنها التربية، ومنها الكلمة الناصحة، ومنها الموقف، ومنها الصبر والمصابرة والصمود... إلخ.

وكل ذلك من عوامل التحضير والإعداد لهذه الثورة الكونية الشاملة.

وما لم يتم هذا الإعداد والتحضير لا يتم ظهور الامام عجته حسب ما نعرف من سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع. وعليه، فإننا يجب أن نبحث بدلاً عن علائم الظهور، عوامل الظهور، والتأكيد في ثقافة الانتظار، ويجب أن نتحول من علائم الظهور من الصحيحة، والخسف، والسفياي، والدجال، واليهاني، والحسني، إلى عوامل الظهور من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، وتزكية النفوس، والتربية، وإقامة المؤسسات الإسلامية، ومكافحة الظالمين، ومقاومة الاحتلال وغيرها.

وهو انقلاب ثقافي في ثقافة الانتظار، نرجو أن يحققها الشباب المؤمنون في انتظارهم للإمام #، فينقلون من بطون كتب (الملاحم والفتن) للبحث عن علائم الظهور، إلى ساحة الحياة الواسعة للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ومقاومة الاحتلال وأعدائهم من الظلمة الذين يحكمون بلاد المسلمين، وإعداد الشباب لهذه المقاومة، وإشاعة ثقافة الشهادة، والاستماتة، والتضحية، والصبر، والمقاومة، والثورة، والقوة، والطاعة، والاخلاص، والتقوى وما يتصل بذلك من شؤون العمل.

وإذا حولنا ثقافتنا بهذا الاتجاه في مسألة الانتظار فسوف نفهم الانتظار فهماً مختلفاً تماماً عن الفهم القائم والموجود في أوساطنا الإيانية.

وهذا الفهم الجديد هو: أن الامام عجته هو الذي ينتظر العمل والكفاح والكفاح والجهاد والإنفاق والبذل والتضحية والشهادة من شيعته وأنصاره ليأذن الله تعالى له بالظهور، ويتحول الانتظار من شيعة الامام عجته إلى الإمام، فيكون هو الذي ينتظرنا.

ولهذا الانتظار (انتظار الإمام لشيعته) خطاب، وهذا الخطاب هو الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ومقاومة الاحتلال وامتداداته من الحكام الظلمة في بلاد المسلمين... إلخ.

وعلى شيعته وأنصاره أن يستجيبوا لهذا الخطاب، ويلبوا دعوته،

وينهضوا بمسؤولية الانتظار في الظروف الأمنية والثقافية التي يحكمها الاستكبار العالمي وامتداداته في بلادنا.

وهذا هو معنى الإعداد والتحضير لظهور الامام عجل الله فرجه، والذي تحدثنا عنه خلال حديثنا عن (مسؤوليتنا في عصر الغيبة).

٣ - الطاعة

ثقافة الطاعة والولاية ثقافة عميقة في هذا الدين، ولها وجهان: الوجه الأول منهما: الولاية، وهو الخطّ النازل من الله ورسوله وأولياء الأمور في علاقتهم بالقاعدة الاجتماعية العريضة (الأمة) ومعنى الولاية هنا: السيادة والحاكمة.

والوجه الثاني: الطاعة، وهي في مقابل السيادة والحاكمة. وقد ذكر الله تعالى هذين الوجهين في آيتين من كتابه.

عن الوجه الأول يقول تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} ^(١).

وعن الوجه الثاني يقول تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} ^(٢).

والطاعة طاعتان: الطاعة الأولى: طاعة الله (أطيعوا الله)، وهذه الطاعة في الثواب الشرعية مثل العبادات والمعاملات، وهي طاعة لله حتى لو كانت التعليقات صادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

والطاعة الثانية: في المتغيرات الشرعية، وهي الأحكام الولاية (السلطانية) الصادرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأولي الأمر من بعده في الحرب والسلم والشؤون الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع في السراء والضراء. وهذه هي الطاعة الولاية الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأولياء

١ - المائدة: ٥٥ .

٢ - النساء: ٥٩ .

الأُمور من بعده بضرورة الشرع، وهذه الطاعة متصلة متواصلة في أُولى الأمر من بعد رسول الله ﷺ إلى آخر حلقة من حلقات أُولى الأمر المتمثلة في الإمام محمد بن الحسن العسكري (مهدي آل محمد ﷺ)، وهذه الطاعة هي التي تنتقل في عصر الغيبة إلى الفقهاء المتصدين للولاية في عصر الغيبة.

وتشير الآية الكريمة من سورة النساء / ٥٩ إلى هذه التعددية في الطاعة. يقول تعالى: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} وفي هذه الآية طاعتان طاعة لله، وطاعة لرسول الله ﷺ ولأولياء الأُمور من بعده. وهو ما ذكرناه من تعدد الطاعة في الفقه.

امتدادات الطاعة في الإسلام

وهذه الطاعة وتلك داخلية في عمق الثقافة الإسلامية. ومن دون الطاعة ينتفي الإسلام رأساً، فإن كلمة الإسلام بمعنى التسليم لله ورسوله. وهو معنى الطاعة. وللطاعة امتدادان في الفقه والعقيدة (الكلام).

ففي الفقه يبحث الفقهاء شؤون الولاية، والطاعة في باب ولاية الأمر، والحسبة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلاة الجمعة، والقضاء وغيرها من كتب الفقه وأبوابه.

وفي العقيدة (الكلام) يبحث المتكلمون عن الولاية وطاعة أُولى الأمر في بحث الإمامة.

وهناك تشابك واسع في الإسلام بين مسألة (الطاعة) وأبواب الفقه والكلام، بل والأخلاق أيضاً.

ولذلك قلنا: إن الطاعة تدخل في عمق الثقافة الإسلامية، ويعطيها الإسلام قيمة كبيرة جداً.

ولو تلونا آيات الطاعة في كتاب الله نجد أن الطاعة تحتل موقع الصدارة

في الثقافة الإسلامية.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن رسول الله: «ما نظر الله عزّ وجلّ إلى وليّ له، يجهد نفسه بالطاعة، ولإمامه بالنصيحة إلا كان معنا في الرفيق الأعلى»^(١).
وعن محمد بن الفضيل قال: سألته عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّ وجلّ فقال: «أفضل ما يتقرّب به العباد إلى الله عزّ وجلّ طاعة الله، وطاعة الرسول، وطاعة أولي الأمر»^(٢).
وروى الشيخ المفيد (قده) في الأمالي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله: «اسمعوا وأطيعوا لمن ولاءه الله، فإنه نظام الإسلام»^(٣).

توحيد الطاعة

وتدخل الطاعة في الإسلام في حقل التوحيد محضاً، وكُلّ طاعة تخرج عن محور التوحيد طاعة غير شرعية، وذلك لأن الأصل في هذا الدين إن الطاعة لله تعالى وحده.

قال تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} ^(٤).

إن الكون كلّه قد أسلم لله طائِعاً، إمّا طوعاً أو كرهاً.
ويقول تعالى: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} ^(٥).

وهذه الآية حاصرة للحكم والسيادة في الله تعالى، فلا حكم ولا سيادة

١ - الكافي: ج ١ ص ٤٠٤، كتاب الحجّة، باب ما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالنصيحة، ح ٣.

٢ - الكافي: ج ١ ص ١٨٧، باب فرض طاعة الأئمة، ح ١٢.

٣ - أمالي المفيد: المجلس الثاني.

٤ - آل عمران: ٨٣.

٥ - يوسف: ٤٠.

في هذا الكون لغير الله، إلا أن يقع في امتداد ولاية الله وسيادته، وإذا كانت الولاية والسيادة والحاكمية لله تعالى وحده، فإن الطاعة والانقياد لا تكون إلا لله وفي امتداد طاعة الله، وطاعة رسول الله ﷺ وأولياء الأمر من بعده، ووكلائهم تقع في امتداد هذه الطاعة، وليس في عرضها، ولا تتقاطع معها بالضرورة.

إذن، الطاعة المشروعة هي الطاعة التي تتصل بسبب وثيق صريح بطاعة الله، وأمّا الطاعة المبتورة عن طاعة الله فهي طاعة غير مشروعة. وما يراه الناس ويتخذونه أساساً للطاعة في (الديمقراطيات الحديثة) بناءً على نظرية (العقد الاجتماعي) التي أشادها روسو، فلا أساس لها ولا قيمة لها في الإسلام، لأنها تبتز الطاعة عن الله، والقرآن صريح واضح: إنّ الطاعة كلّها لله تعالى، وكلّ طاعة لا تقع في هذا الامتداد فهي طاعة غير مشروعة.

عن ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الله عليه السلام: «وصل الله طاعة وليّ أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله»^(١).

ويقصد أبو عبد الله عليه السلام بـ (ولاة الأمر) الأئمة الإثني عشر من آل البيت عليه السلام.

القيادة النائية في عصر الغيبة:

وفي عصر الغيبة الكبرى وهو عصرنا الذي نعيش فيه تكون الطاعة للقيادة النائية، وهم الفقهاء العدول الأكفاء المتصدّون لولاية الأمر في هذا العصر.

١ - الكافي: كتاب الحجّة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح ٦.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن اهل البيت عليهم السلام في النيابة العامة للفقهاء العدول المتصدّين، ولسنا الآن بصدد الدخول في هذا البحث. فهو بحث يطول ولا يمكننا الدخول فيه في هذا المقال، وقد بحثت عنه في كتاب ولاية الأمر... إلّا أنني أذكر في هذا المقال بعض الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في ذلك.

منها: مقبولة عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام وفيها: «مَنْ كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنّما استخفّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله»^(١).

ومنها: التوقيع الذي يرويه محمّد بن يعقوب الكليني عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألت محمّد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام فيه:

«وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم»^(٢).

ورواه الشيخ الطوسي في الغيبة قال: أخبرني جماعة عن جعفر بن محمّد بن قولويه وأبي غالب الزراري وغيرهما، عن محمّد بن يعقوب عن إسحاق بن يعقوب... وأورد الرواية.

١ - وسائل الشيعة: ج ١٨ ص ٩٨ الباب ١١ من أبواب صفات القاضي، ح ١.

٢ - كمال الدين للصدوق: ج ٢ ص ٤٨٣. من المحتمل أن يكون إسحاق بن يعقوب هو أخو محمّد بن يعقوب صاحب الكافي (رضي الله عنه).

ولاية الفقهاء في عصر الغيبة

وبغض النظر عن الروايات المتقدمة وغيرها والتي يطول البحث عنها فقهيّاً إذا أردنا أن ندخل فيه . . لا يمكن أن نقبل بتعطيل أحكام الله تعالى وحدوده وتعطيل السيادة والحاكمية والنظام السيادي في حياة المسلمين في عصر الغيبة بضرورة العقل وضرورة الشرع . . ولا نتوقف عند هذه النقطة ولا نتردد فيها.

وإذا يتردد الأمر بين قبول الأنظمة الجائرة الظالمة التي تحكم العالم الإسلامي اليوم وإسباغ الشرعية عليها بما تعمل من ظلم وفساد في الأرض، أو المعارضة والمقاومة والدعوة والعمل لإقامة حكومة شرعية لا تتردد في الخيار الثاني. ونجزم بأن الله تعالى لا يرضى بالفوضى الاجتماعية والسياسية في حياة الناس من غير نظام ولا حكومة، ولا يرضى بالرضوخ والركون إلى نظام سياسي فاسد ظالم يتعدى حدود الله ويعتدي على عباد الله.

فمن غير الجائز أن نقبل بتعطيل أحكام الله وحدوده وتعطيل النظام والسيادة في حياة المسلمين، ومن غير الجائز أن نذهب إلى إسباغ الشرعية للأنظمة الظالمة الحاكمة في العالم الإسلامي وقبول سيادتها وحاكمتها والانقياد لها طوعاً.

فلا يبقى لنا من خيار إلا أن ندعو إلى إقامة حكومة إسلامية، قائمة على أساس الإسلام وحدوده وأحكامه، ومعنية بإقامة النظم والعدل والسيادة والحاكمية الشرعية في المسلمين، وهذا هو الخيار الوحيد الذي لا بد لنا أن نتقبله في عصر الغيبة.

والقدر المتيقن من شرعية هذه السيادة والحاكمية الإسلامية التي انتهينا إليها من خلال الخيارات الساقطة هي أن يقوم ويتصدى لأمر ولاية الفقيه

العادل الكفو، وهي نفس النتيجة التي انتهينا إليها من خلال الروايات.

الطاعة في عصر الغيبة

وعليه فإننا نصل إلى النتيجة التالية من خلال البحث المتقدم في الطاعة، وهي أن الطاعة في عصر الغيبة للفقهاء العدول الأكفاء المتصدّين للأمر، وطاعتهم من طاعة الإمام المهدي القائم من آل محمد عليه السلام كما وجدنا في الروايات المتقدمة.

وقد حرص أهل البيت عليهم السلام في تعميق حالة الطاعة في نفوس المؤمنين، وتقوم المؤسسة الفقهيّة الشيعيّة في مجتمعات الشيعة بهذا الدور منذ عصر الغيبة إلى اليوم، وتتولّى السلطات الثلاثة بصورة عملية، بغضّ النظر عن التنظير الفقهي لهذه المسألة، فهي تتولّى سلطة الإفتاء وسلطة القضاء وسلطة الولاية (السلطانية).

وفي عصرنا قامت الجمهورية الإسلامية بقيادة فقيه الأئمة الإمام الخميني (قده) على هذا الأساس الشرعي المتين، وتصدّى لولاية الأمر كما تصدّى من بعده خليفته الإمام الخامني (حفظه الله) لموقع الولاية والسيادة والحاكمية.

٤ - الدعاء

الدعاء من أسباب الفرج

من أسباب الفرج والظهور القوية والمؤثّرة الدعاء، وليس من ريب وشكّ إن الله تعالى يقرب بالدعاء ظهور الامام عليه السلام ويفرج بظهوره عليه السلام عن المؤمنين والمسلمين نكباتهم وأزماتهم ومصائبهم، ويجمع به شملهم، ويعزّز به نصرهم.

فقد أمرنا الله تعالى بالدعاء وواعدنا بالإجابة وهو صادق الوعد، يقول
تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ^(١).

إن الدعاء مفتاح الرحمة والفرج، لا شك في ذلك.
عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الدعاء مفتاح
الرحمة» ^(٢).

مفاتيح خزائن رحمة الله:

وفي وصية لأمر المؤمنين عليهم السلام إلى ابنه الإمام الحسن عليه السلام: «ثم جعل في
يدك مفاتيح خزائنه، بما أذن فيه من مسألته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء
أبواب خزائنه» ^(٣).

إن خزائن رحمة الله واسعة لا نفاذ لها، ولا يرجع العبد خائباً عنها، ولكن
مصيبة الإنسان أنه لا يتعرف على مفاتيح هذه الخزائن، ولو أنه تعرّف على
مفاتيح خزائن الرحمة من مصادر المعرفة لوجد خيراً كثيراً في دنياه وآخرته.
وقد ورد في تفسير قوله تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ
هَا} ^(٤).

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه: «الدعاء» ^(٥). أي أن الله تعالى يفتح للناس
خزائن رحمته بالدعاء.

الدعاء والعمل:

ولكن من شروط إجابة الدعاء العمل، فلو أن الإنسان دعا ولم يسلك

١ - غافر: ٦٠.

٢ - بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٣٠٠.

٣ - بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٩٩.

٤ - فاطر: ٢.

٥ - بحار الأنوار: ج ٩٣ ص ٢٩٩.

المسالك العملية التي جعلها الله تعالى للناس في حاجاتهم لا يرزق الإجابة، فلا يستجاب دعاء مريض يمتنع عن مراجعة الطبيب والأخذ بالعلاج، ولا يستجاب دعاء مَنْ يطلب الرزق ولا يذهب إلى السوق، ولا يتصدى للرزق في منازلها، ولا يستجاب دعاء الطالب الذي يطلب النجاح والتوفيق في الدراسة من غير جهد ولا سهر ولا حضور في قاعات الدرس.

ذلك أن الله تعالى سنن في الكون وفي المجتمع والتاريخ، ولا تجري الأمور في الكون والمجتمع والتاريخ إلا من خلال هذه السنن. . . والذي يستجيب الدعاء هو الذي جعل هذه السنن في الكون والمجتمع والتاريخ. . . فلا يصحّ ولا ينفع الدعاء إذا كان صاحب الدعاء يطلب الإجابة خارج دائرة سنن الله تعالى.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة تُردّ عليهم دعوتهم: رجل جلس في بيته، وقال: يا ربّ ارزقني، فيقال له: ألم أجعل لك السبيل إلى طلب الرزق؟»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر». وقد يتساءل أحد: إذا كانت السنن الإلهية هي الحاكمة في الكون والتاريخ والمجتمع كما هو كذلك، فلماذا الدعاء؟، وما دور الدعاء بعد ذلك؟، فنقول في الجواب: إنّ الله تعالى خلق هذه السنن ولم يأذن لأحد باختراقها وتجاوزها، ولكنه تعالى هو المهيمن عليها دائماً، وهو الباسط القابض المحيي المميت، الرافع الواضع، النافع الضار، وأزمة الكون والمجتمع والتاريخ كلّها بيد قدرته، وتحت إرادته وهيمنة سلطانه.

ولسنا نقول ما يقول اليهود: {يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ} ^(٢)، بل نقول ما يقوله

١- وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب الدعاء، باب ٥٠، ح ٣.

٢- المائدة: ٦٤.

القرآن: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} ^(١). إن الله إذا شاء أن يسلب التوفيق من عبده فلا يتوفق في أمره، وإذا شاء أن يمنحه التوفيق فلا أحد بقادر على أن يسلبه الرزق، وإذا شاء أن يقدر عليه رزقه فلا أحد يستطيع أن يوسع عليه رزقه، والدعاء لله القابض الباسط المعطي المانع النافع الضار.

وليس بين الدعاء والعمل تقاطع وتخالف، بل هما يتكاملان، فلا الدعاء يُغني عن العمل، ولا العمل يُغني عن الدعاء.

بين الإعداد والتحضير والدعاء

ولقد قلنا قبل قليل في مسؤولياتنا في عصر الغيبة: إن من أعظم هذه المسؤوليات الإعداد والتحضير لظهور الامام عليه السلام وثورته الكونية الكبرى، وذلك بالجهاد والمقاومة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر-ثقافة القرآن والإسلام، والتزكية، والإصلاح، والتعبئة الإنسانية، وتربية الجيل الصاعد، وإعداده إعداداً إسلامياً قوياً، وإقامة المؤسسات الثقافية والتربوية والتعليمية والتعبوية، وإصلاح الأسرة، وإقامة العلاقات الاجتماعية على أسس إسلامية صحيحة، وتعبئة الأمة تعبئة سياسية وثقافية وحركية... إلخ.

والآن إذ نتحدث عن الدعاء لظهور الامام عليه السلام وقيامه وثورته الكونية في سلسلة مسؤولياتنا في عصر الغيبة، لا نقصد بذلك أن الدعاء يغني عن التحضير والإعداد لظهور الإمام.. وهذا خطأ كبير يقع فيه كثير من الناس للأسف، حيث يتصورون أن الدعاء للفرج والظهور يُغني عن العمل للتحضير والإعداد، كما لا يصحّ العكس أيضاً، فلا يغني العمل والتحضير والإعداد عن الدعاء للإمام بالظهور والفرج..

إنّ التحضير والإعداد لا يغني عن الدعاء، والدعاء للظهور والفرج لا يغني عن التحضير والإعداد، وهما يتكاملان في تقريب الظهور وتعجيله بالتأكيد.

وقد كان الانبياء عليهم السلام يدخلون الحروب الضارية تتساقط فيها الرؤوس والأيدي والأرجل ثم يدعون الله تعالى {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} ^(١).

ولقد قدم رسول الله إلى (بدر) وأعد أصحابه لقتال المشركين من قريش، ولم يزل ليلته كلها كما يقول علي بن أبي طالب عليه السلام قائماً على قدميه يدعو الله تعالى بالنصر ويتضرع ويقول: «اللَّهُمَّ إِن شئت أن لا تعبد لا تعبد».

والدعاء بظهور الامام عليه السلام وقيامه وثورته الكونية، التي وعد به رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر الزمان لا يخرج عن دائرة سنن الله تعالى، ولا بد فيه أن يقترن الدعاء بالعمل، فلا يغني الدعاء عن العمل ولا العمل عن الدعاء.

الدعاء للإمام المهدي عليه السلام:

الدعاء للإمام المهدي عليه السلام من أفضل الدعاء وأشرفه وأقربه إلى الإجابة، وأكثره ثواباً عند الله تعالى، وذلك أنّ هذا الدعاء لخاتم الأوصياء وإمام العصر وحيّة الله على خلقه، وولي أمور المسلمين جميعاً، والقائم بالأمر الذي يبسط الله تعالى له السلطان، ويتقم به من الظالمين، وينصره على الطغاة الجبارين،

وكذلك في نفس الوقت دعاء للفرج لعامة المسلمين من نكباتهم، ومصائبهم التي تحلّ بهم.

فإنّ الدعاء للإمام عليه السلام بالظهور والنصر والعزة. . دعاء للمسلمين عامة

بالفرج العاجل القريب، والخروج من الأزمات والمصائب التي تحلّ بهم من قبل أنظمة الاستكبار العالمي وعملائهم الذين يحكمون العالم الإسلامي تحت حمايتهم ودعمهم لهم.

ولا شك أنّ هذا الدعاء دعاء في أمور مصيرية كبرى للإسلام وللعالم الإسلامي جميعاً، وهو من أشرف الدعاء وأفضله وأثوبه عند الله وأقربه إلى الإجابة من الله تعالى.

نماذج من الأدعية الماثورة للإمام عليه السلام:

ومن أبرز المطالب في الدعاء للإمام المهدي عليه السلام الدعاء لمستقبل البشرية، أن يرفع الله الظلم عن المستضعفين بظهوره وقيامه وتزول به شوكة المستكبرين، ويحقّ الله الحقّ، ويبطل الباطل بيده، ويميت به الباطل، ويحيي به الحق، ويقصم به الجبارين، ويرفع به المستضعفين، ويحكم العدل، ويسقط الظلم، ويسود به دين الله في الأرض، ويسود به التوحيد والعدل على وجه الأرض، وإليكم هذا النصّ الذي يرويه السيّد ابن طاووس في كتاب جمال الأسبوع عن الإمام الرضا عليه السلام في الدعاء للحجّة عليه السلام:

«اللهم اجعله القائم المنتظر، والإمام الذي به تنتصر - (لدينك)، وأيده بنصر عزيز، وافتح له فتحاً قريباً، وورثه مشارق الأرض ومغاربها التي باركت فيها، وأحي به سنة نبيك صلواتك عليه وآله، حتّى لا يستخفي بشيءٍ من الحقّ، مخافة أحد من الخلق، وقوّ ناصره، واخذل خاذله.

اللهم واقتل به جبابرة الكفر وعمده ودعائمه والقوّم به، واقصم به رؤوس الضلالة وشارعة البدعة وممّية السنة، وأذل به الجبارين وأبرّ به الكاذبين والمنافقين وجميع الملحدين.

اللهم وطهر به بلادك، واشف منهم صدور عبادك، وأعزّ به المؤمنين، وأحي به سنن المرسلين ودارس حكم النبيّين، وجدّد به ما محي من دينك،

وَبُدِّلَ مِنْ حَكْمِكَ، حَتَّى تَعِيدَ دِينَكَ بِهِ، وَعَلَى يَدَيْهِ غَضًّا جَدِيدًا صَحِيحًا
مَحْضًا، لَا عَوْجَ فِيهِ وَلَا بَدْعَةَ مَعَهُ، حَتَّى تَنْبِرَ بَعْدَهُ ظَلَمَ الْجُورِ، وَتَطْفِئَ بِهِ
نِيرَانَ الْكُفْرِ، وَتُظْهِرَ بِهِم مَعَاقِدَ الْحَقِّ وَمَجْهُولَ الْعَدْلِ».

وفي دعاء الافتتاح: «اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى وَليِّ أَمْرِكَ الْقَائِمِ الْمُؤَمَّلِ، وَالْعَدْلِ
الْمُنْتَظَرِ، وَحُفِّهِ بِمَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ الدَّاعِيَ إِلَى كِتَابِكَ، وَالْقَائِمَ بِدِينِكَ، اسْتَخْلِفْهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفْتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ، مَكِّنْ لَهُ دِينَهُ الَّذِي ارْتَضَيْتَهُ لَهُ، أَبْدِلْهُ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِ أَمْنًا يَعْبُدُكَ لَا يُشْرِكُ بِكَ شَيْئًا، اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ وَأَعِزِّزْ بِهِ، وَأَنْصُرْهُ وَأَنْتَصِرْ
بِهِ، وَأَنْصُرْهُ نَصْرًا عَزِيزًا، وَأَفْتَحْ لَهُ فَتْحًا يَسِيرًا، وَاجْعَلْ لَهُ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
نَصِيرًا، اللَّهُمَّ أَظْهِرْ بِهِ دِينَكَ، وَسُنَّةَ نَبِيِّكَ، حَتَّى لَا يَسْتَخْفِيَ بِشَيْءٍ مِنَ
الْحَقِّ، مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ».

اللَّهُمَّ إِنَّا نَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي دَوْلَةِ كَرِيمَةٍ تُعِزُّ بِهَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا
النِّفَاقَ وَأَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنَا فِيهَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى طَاعَتِكَ، وَالْقَادَةِ إِلَى سَبِيلِكَ،
وَتَرْزُقُنَا بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

ومن الأدعية المعروفة الدعاء الذي يألفه المؤمنون للإمام عليه السلام في
اجتماعاتهم ومجالسهم، وبعد الصلوات يرفعونه إلى الله تعالى بصورة
جماعية، وهو:

«اللَّهُمَّ كُنْ لَوْلِيِّكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ
السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ
أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا».

ومن نماذج الأدعية ما ورد في دعاء العهد المعروف الذي يألف المؤمنون

قراءته:

«اللَّهُمَّ ارِنِي الطَّلْعَةَ الرَّشِيدَةَ، وَالغُرَّةَ الْحَمِيدَةَ، وَعَجِّلْ فَرَجَهُ وَسَهِّلْ مَخْرَجَهُ، وَأَوْسِعْ مِنْهَجَهُ وَاسْلُكْ بِي مَحَجَّتَهُ، وَأَنْفِذْ أَمْرَهُ وَأَشْدُدْ أَرْزَهُ، وَاعْمُرِ اللَّهُمَّ بِهِ بِلَادَكَ، وَأَحْيِ بِهِ عِبَادَكَ.

فَاطْهَرِ اللَّهُمَّ لَنَا وَلِيَّتِكَ وَابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكَ الْمُسَمَّى بِاسْمِ رَسُولِكَ حَتَّى لَا يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ إِلَّا مَرَّقَهُ، وَيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُحَقِّقَهُ، وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مَفْزَعًا لِمَظْلُومِ عِبَادِكَ، وَنَاصِرًا لِمَنْ لَا يَجِدُ لَهُ نَاصِرًا غَيْرَكَ، وَمُجَدِّدًا لِمَا عَطَلَ مِنْ أَحْكَامِ كِتَابِكَ، وَمُشِيدًا لِمَا وَرَدَ مِنْ أَعْلَامِ دِينِكَ وَسُنَنِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ مِمَّنْ حَصَّنَتْهُ مِنْ بَأْسِ الْمُعْتَدِينَ، اللَّهُمَّ وَسِّرْ نَبِيَّكَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرُؤْيَيْتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى دَعْوَتِهِ، وَارْحَمِ اسْتِكَانَتَنَا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ اكْشِفْ هَذِهِ الْغُمَّةَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِحُضُورِهِ، وَعَجِّلْ لَنَا ظُهُورَهُ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

الندبة:

وَمَا يَلْحَقُ بِالِدَعَاءِ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّدْبَةُ لَهُ فِي غِيَابِهِ وَفِرَاقِهِ. . وقد وردت نصوص كثيرة في (الندبة) أشهرها دعاء الندبة المعروف الذي يرفعه المؤمنون إلى الله كل يوم جمعة، يندبون به إمام العصر المهدي الهادي عليه السلام، ويدعون الله بظهوره وقيامه، وإليك بعض الفقرات من هذه الندبة الشجية التي يرفعها المؤمنون إلى الله تعالى كل أسبوع:

«أَيْنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِثْرَةِ الْهَادِيَةِ؟

أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دَابِرِ الظُّلْمَةِ؟

أَيْنَ الْمُتَنْظَرُ لِإِقَامَةِ الْأُمَّتِ وَالْعِوَجِ؟

أَيْنَ الْمُرْتَجَى لِإِزَالَةِ الْجُورِ وَالْعُدْوَانِ؟

أَيْنَ الْمُدَّخَرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ؟

أَيْنَ الْمُتَخَيَّرُ لِإِعَادَةِ الْمِلَّةِ وَالشَّرِيعَةِ؟

أَيْنَ الْمُؤَمَّلُ لِأَحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ؟
 أَيْنَ مُحْيِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَأَهْلِيهِ؟
 أَيْنَ قَاصِمُ شَوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ؟
 أَيْنَ هَادِمُ أبنِيَةِ الشَّرِكِ وَالنِّفَاقِ؟
 أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ وَالطُّغْيَانِ؟
 أَيْنَ حَاصِدُ فُرُوعِ الغَيِّ وَالشَّقَاقِ (النِّفَاقِ)؟
 أَيْنَ طَامِسُ آثَارِ الزَّيْغِ وَالأَهْوَاءِ؟
 أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ العِنَادِ وَالتَّضْلِيلِ وَالإِلْحَادِ؟
 أَيْنَ صَاحِبُ يَوْمِ الفَتْحِ وَنَاشِرُ رَايَةِ الهُدَى؟
 أَيْنَ مُؤَلَّفُ شَمْلِ الصَّلَاحِ وَالرِّضَا؟
 أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ (دَمَاءِ) الأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الأَنْبِيَاءِ؟
 أَيْنَ الطَّالِبُ بِدَمِ المَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءِ؟
 أَيْنَ المُضْطَرُّ الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا؟
 أَيْنَ صَدْرُ الخُلَاقِ ذُو البِرِّ وَالتَّقْوَى؟
 أَيْنَ ابْنُ النَّبِيِّ المُصْطَفَى، وَابْنُ عَلِيٍّ المُرْتَضَى، وَابْنُ خَدِيجَةَ الغَرَّاءِ، وَابْنُ
 فَاطِمَةَ الكُبْرَى؟

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي لَكَ الوِقَاءُ وَالحِمَى».

ونقتصر بهذا المقدار من الأدعية ولمن أراد التفصيل أن يرجع إلى كتب
 الأدعية والزيارات المفصلة.

٥ - الثبات على موثيق الولاية

ولاية أهل البيت

أهل البيت عليهم السلام هم أولياء أمور المسلمين، والإمام المهدي عليه السلام خاتم

الأولياء، والولاية أصل أصيل في علاقتنا باهل البيت عليهم السلام.
 روى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده، عن أبي جعفر الثمالي عن أبي
 جعفر الباقر عليه السلام قال: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة،
 والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيءٍ كما نودي بالولاية»^(١).
 والولاية مفهوم إسلامي يكثر تردده في القرآن والحديث، ولها مساحة
 واسعة في الثقافة الإسلامية، وداخلة في عمق حياتنا الثقافية والعقائدية
 والاجتماعية، وهي بمعنى العلاقة الوثيقة أو (العلاقة العضوية) ونقصد
 بالعلاقة العضوية (علاقة العضو بالأعضاء الأخرى في الكائن الحي).

البعد العمودي والأفقي للولاية

وللولاية بُعدان: البعد العمودي والبعد الأفقي.
 والبعد العمودي هي العلاقة النازلة من الله ورسوله وأولياء أمور
 المسلمين إلى القاعدة العريضة للأمة، وهي قاعدة الهرم الاجتماعي، ويتقوم
 خطّ الولاية النازل من الله ورسوله وأولي أمر المسلمين بالسيادة والحاكمية
 والقيمومة، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
 يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢).
 والمقصود بالذين (آمنوا الذين يقيمون الصلاة) علي بن ابي طالب عليه السلام
 كما ورد في العديد من تفاسير أهل السنة والشيعة ومدوناتهم الروائية، يبلغ
 حدّ التواتر، ولا سبيل للتشكيك في ذلك.
 وقد جعل الله تعالى ولايته عليه السلام في امتداد ولاية رسول الله، كما جعل
 لرسول الله صلى الله عليه وآله الولاية في امتداد ولايته تبارك وتعالى، وهذا هو الخطّ النازل
 من الولاية في البعد العمودي.

١- بحار الأنوار: ج ٦٨ ص ٣٢٩ نقلاً عن أصول الكافي: ج ٢ ص ١٨. وأيضاً في بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٣٢ نقلاً عن
 أصول الكافي: ج ٣ ص ٢١.

وأما الخطّ التصاعدي من الولاية في البعد العمودي في علاقة الأمة المسلمة بالله ورسوله وأولي الأمر من بعده، فهي تتقوم بالطاعة والنصرة والمودة، وهي التي نقصدها من موثيق الولاية، وإلى هذا الخطّ الصاعد من الولاية تشير الآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. حيث أمر الله تعالى بطاعته تعالى وطاعة رسوله في امتداد طاعتهم وطاعة أولي الأمر في امتداد طاعة رسول الله ﷺ.

وسوف نعود إلى الحديث عن هذه النقطة إن شاء الله في هذا المقال. وهذا هو البعد العمودي من الولاية في العلاقة بين الله ورسوله وأولي الأمر والأمة المسلمة، وبالعكس في علاقة الأمة المسلمة بالله ورسوله وأولي الأمر.

وقوامها من الطرفين السيادة والحاكمية من جانب، والطاعة وما تتطلبه الطاعة من جانبٍ آخر.

وأما الولاية في البعد الأفقي، فهي العلاقة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض بالتناصر، والتعاون، والتحابب، والتكافل، والتناصح، والتفاهم، والتصالح، والتكامل، والتآزر، والتآخي... إلخ.

وهذه علاقة واسعة جداً تربط المؤمنين بعضهم ببعض في ساحة الحياة الدنيا أينما كانوا، لا تحجزهم بعضهم عن بعض الحدود الإقليمية والقومية، وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢). ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٣).

١- التوبة: ٧١.

٢- الحجرات: ١٠.

٣- الأنفال: ٧٢.

مواثيق الولاية

ونقصد نحن بهذا العنوان الخطّ الصاعد من الولاية في البعد العمودي. أعني بذلك علاقة الأمة بالله ورسوله وأولي الأمر من بعده، وهو الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وتتضمن هذه الولاية طائفة من النقاط الأساسية والجوهرية في علاقة الأمة بأولي الأمر . . . وقد سمينا هذه النقاط بـ (مشتقات الولاية).

لأننا إذا حللنا الولاية إلى مكوناتها الأولية وجدناها تتكون من هذه المجموعة من العناصر التي هي مواثيق الولاية، مثل: الطاعة، والمودة، والسلام، والنصيحة، والافتداء، والتبعية في الثقافة وفي الموقف، والنصر، والثأر، والمشاركة في الأحزان والأفراح، والولاء لأوليائهم والبراءة من أعدائهم.

والولاية بمثابة الميثاق والعهد بين الأمة المسلمة وأولياء الأمور . . . وهذا الميثاق يتضمن طائفة واسعة من التعهدات والالتزامات التي ذكرنا بعضها قبل قليل، وهي (مواثيق الولاية).

وقبول الولاية يساوي الالتزام والتعهد بهذه المواثيق، ونصوص الزيارات الواردة لأهل البيت عليهم السلام أولياء أمور المسلمين تتضمن بشكل واضح ومقصود هذه المواثيق، كما سوف نستعرض طائفة منها إن شاء الله.

وزيارة أهل البيت عليهم السلام تعبير عن تجديد الالتزام بهذه المواثيق ومبايعتهم عليها، وتجديد البيعة، وتأكيداتها، وتدلل على ذلك وتؤكد نصوص الزيارات المتضمنة لهذه المواثيق.

وإليك طائفة من مواثيق الولاية، نستعرضها من خلال نصوص القرآن والحديث^١

١ - تحدثنا عن هذه المواثيق في كتاب شيعة أهل البيت عليهم السلام ونعيد هنا مع بعض التغيير.

١ - البراءة

البراءة: هي الوجه الآخر للولاية، ولا تكتمل الولاية إلا بالبراءة من أعداء الله وأعداء رسول الله ﷺ وأولياء أمور المسلمين، ومن دون البراءة تبقى الولاية حالة نصفية غير كاملة ما لم يلتحق بها الوجه الآخر لها، وهي البراءة.

قال رجل لأمر المؤمنين عليه السلام: «إني أحبُّك وأحبُّ فلاناً» وسمي بعض أعدائه، وهذه هي الحالة النصفية التي تحدثنا عنها، ولا تكتمل ما لم يلحق بها النصف الآخر.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أما الآن فأنت أعور (رؤية الاعور رؤية نصفية) فإما أن تعمى (أي تفقد الولاية كذلك، كما فقدت البراءة) وإما أن تبصر»^(١)، فيجمع الله تعالى لك بين الولاية والبراءة.

وفي الزيارة الجامعة: «أشهد الله وأشهدكم أنني مؤمن بكم وبما آمنتم به كافر بعدوكم (رافض لهم) وبما كفرتم به (رافض لما ترفضونه)، مستبصر بشأنكم، وبضلالة من خالفكم، موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم معاد لهم».

وكما نتقرب إلى الله تعالى بمواليتهم، كذلك نتقرب إلى الله بالبراءة من أعدائهم.

وفي زيارة عاشوراء: «إني أتقرب إلى الله وإلى رسوله بمولاتك، وبالبراءة ممن قاتلك ونصب لك الحرب، وبالبراءة ممن أسس أساس ذلك وبنى عليه».

إن الولاء ليس دائماً في حالة سلم وعافية، وإنما يتولد ويتكون غالباً في

حالة الصراع والمواجهة، بل لا يخلو من حالة المواجهة والصراع. وعليه فلا بد أن ينضم إليه الجناح الآخر للولاء، وهو البراءة، ومن دون ذلك لا يكتمل الولاء في ساحات الصراع والمواجهة.

إن الإمام المهدي عليه السلام إمام التوحيد والعدل ويحكم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى نهجه وهديه، وعليه فإن أئمة الشرك والظلم وطغاة الأرض والمنحرفين عن نهج رسول الله صلى الله عليه وآله من الطغاة والجبابرة كلهم أعداؤه يناصبونه العداوة، ولا يكتمل ولا أنصاره ومواليه إذا كانت أيديهم في أيدي الظالمين والطغاة والجبابرة وأئمة الكفر والشرك، وما لم يفارقهم ولم يباينهم لا يكتمل ولاؤهم.

٢ - التوافق في السلم والحرب

العلاقة مع الامام عليه السلام قائمة على أساس التوافق معه عليه السلام ومع أوليائه في السلم والحرب. ففي زيارة الجامعة ورد هذا البند من بنود الميثاق: «سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم».

وقد أخرج الترمذي في صحيحه عن زيد بن أرقم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم»^(١).

إن ساحة الولاء ساحة حرب وصراع، ومعتك الولاء من أشرس أنواع الحروب وأكثرها ضراوة، لأنه حرب مستعرة في ساحات حضارية وثقافية

١ - رواه الترمذي في الصحيح، كتاب المناقب، باب فضل بنت محمد عليها السلام: ج ٢ ص ٣١٩، ط ١٢٩٢، وأخرجه ابن ماجة في سننه، المقدمة باب ١١ ص ١٤٥، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک علی الصحیحین: ص ١٣ الرقم ١٤٩ كتاب معرفة الصحابة «مبغض أهل البيت عليهم السلام يدخل النار ولو صام وصلى». والمعجم الكبير للطبراني: ج ٣ ص ٤٠ وج ٥ ص ١٨٤ والمعجم الأوسط للطبراني: ج ٥ ص ١٨٢ وأحكام القرآن للجصاص: ص ٥٧١ وص ٥٠٨ وتاريخ دمشق لابن عساکر: ج ١٣ ص ٢١٩ وج ١٤ ص ١٤٤ وأسد الغابة: ج ٥ ص ٥٢٣ وتهذيب الكمال للمزي: ج ١٣ ص ١١٣.

واسعة، ولا تنتهي إلا بانتهاء أحد الطرفين.
وأوضح ما يكون ذلك في عصرنا وفي عصر الظهور، فقد تباينت الخطوط وتخالفت وتقاطعت، ولا يمكن أن يجمع بين هذه المتقاطعة، فإذا اختار الخط الذي أمر الله به ورسوله، فلا بد أن يتقاطع مع سائر الخطوط.
وهذا هو معنى التوافق معهم عليه السلام في السلام والحرب، ويذهب النص الذي روينا من زيارة الجامعة إلى مرحلة من التوافق فوق هذه المرحلة، وهي التوافق مع مَنْ سالمهم في السلم، ومع مَنْ حاربهم في الحرب، وهي مرحلة امتدادية طولية بالنسبة إلى المرحلة السابقة وهي التوافق في السلم والحرب.

والتوافق في السلم والحرب معهم، والتوافق مع أوليائهم من أعظم موثيق الولاية في زمن الغيبة وزمن الظهور.

٣ و٤ - النصر والثار

وهما من متطلّبات الولاية وموآثيقها. يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(١) .. وحسب هذه الآية، فإن الولاية تنتفي بانتفاء النصر {أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}.

وقد ورد في خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله عندما نصب أمير المؤمنين علياً عليه السلام ولياً للمسلمين، وفرض عليهم من جانب الله ولايته يوم الغدير: «اللهم وال من والاه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

وهذا النصر من موثيق الولاء، ولا يتم الولاء من دون النصر. وقد كان الإمام الحسين عليه السلام يستنصر من يلقاه في طريقه من الحجاز إلى العراق وفي العراق، فإذا اعتذر نصحه أن يبتعد عن ساحة الطفّ لئلا يسمع واعيته (استغاثته واستنصاره) فمن سمع واعيته ولم ينصره أكبه الله على وجهه في النار.

والنصر في علاقتنا بالإمام المهدي عليه السلام واحد من أهم موثيق الولاية، سواء في ذلك عصر الغيبة أو الظهور، وليس لأحد أن يستثني عصر الغيبة من هذا الأصل الهام من موثيق الولاء.

فإن الطغاة والجبابرة وأنظمة الاستكبار العالمي في الغرب وعملائهم في المنطقة هم أعداء المسيرة الربانية التي يقودها ويسلكها الإمام (عجل الله فرجه وأعز نصره).

ونصرة الإمام بالضرورة لا تتم في ظل التوافق والتعاون والتفاهم مع هذه القوى الاستكبارية وأئمة الشرك والظلم في الأرض، وقد ورد في زيارة الجامعة: «ونصري لكم مُعدّة». ومعنى الإعداد الجاهزية الكاملة للنصر كلما يتطلب الأمر.

والنصر يمتد من عصر الغيبة إلى عصر الظهور، ويُعد من أبرز موثيق الولاء في عصر الظهور.

وقد تحدث المعركة فيغيب الإنسان عن المعركة، كما لو كان في جيل لاحق لساحة الصدام والصراع، كالذين غابوا عن ساحة المعركة في كربلاء عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام وكانت نيّاتهم وأهواؤهم مع الحسين عليه السلام، هؤلاء لا يسقط عنهم النصر بالكلية، وإنما يتحوّل عندهم النصر إلى (الثأر)، ولا زمان للثأر قبل أن ينتهي العدو بشكل كامل.

فمن غاب عن نصرة الحسين عليه السلام بكربلاء يتحوّل النصر على ذمته إلى حركة الثأر.

وهاتان (النصر والثأر) حركتان متعاقبتان على امتداد عصور الصراع والمواجهة بين الحق والباطل، وأئمة الهدى والضلال حتى ظهور القائم عليه السلام، فهو خاتمة الثائرين، وبظهوره وثورته الكونية الكبرى ينتهي الشرك والظلم على وجه الأرض، كما قال رسول الله، وبانتهاء حضور الشرك والظلم على وجه الأرض تنتهي حركة الثأر.

وأما قبل ذلك في عصر الغيبة والظهور فإن حركة النصر والثار تغطيان مساحة التاريخ كلّها.

وقد ورد في زيارة عاشوراء وهي من النصوص المهمة التي تسلط الأضواء على طائفة مهمة من موثيق الولاء. ورد في هذه الزيارة: «فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد ﷺ».

وفي موضع آخر من هذا النص: «وأسأله أن يبلغني المقام المحمود لكم عند الله، وأن يرزقني طلب ثاركم مع إمام هدى ظاهر ناطق بالحق منكم». والإمام المنصور من آل محمد وإمام الهدى منهم، هو المهدي القائم المنتظر من آل محمد (عليهم الصلاة والسلام)، الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ كما يروي ذلك الفريقان الكيران في الإسلام الشيعة وأهل السنة. وبناءً على هذا الشرح فإن (النصر) و(الثار) من أهم موثيق الولاية في عصر الغيبة وعصر الظهور معاً.

هـ و٦ - السلام والتسوية :

يتكرر منا السلام للأنبياء وأوصيائهم وأهل البيت ﷺ وخاتمهم وقائمهم وللصالحين من عباد الله.

«السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صِفْوَةَ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحِ نَبِيِّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ».

وفي زيارة الجامعة: «السَّلَامُ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَصْفِيَائِهِ، السَّلَامُ عَلَى أَمْنَاءِ اللَّهِ وَأَحْبَائِهِ، السَّلَامُ عَلَى أَنْصَارِ اللَّهِ وَخُلَفَائِهِ، السَّلَامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى مَسَاكِينِ ذِكْرِ اللَّهِ...» إلخ.

والسلام يتضمّن معاني جميلة من موثيق الولاء، فهو من الناحية الإيجابية بمعنى المحبة، والمودة، والتعاون، والتضامن، والطاعة، والموافقة،

ومن الناحية السلبية بمعنى نفي المخالفة والمقاطعة والكيد والمكر والمنابذة والإيذاء والمعاكسة والشقاق.

وخصلة السلام بناءً على هذا الشرح الإيجابي والسلبي تحدّد العلاقة مع أولياء الأمور والولي القائم بالأمر بشكل واضح.

وللسلم في علاقتنا بأولياء أمور المسلمين امتداد لا بدّ أن نأخذ به، ولا يجوز التفريط فيه، وهو حالة السلم مع أوليائهم ومن سالمهم، كما أنّ العكس أيضاً يدخل في هذا الامتداد، وهو حالة الحرب لمن حاربهم.

وهذان امتدادان واجبان في السلم والحرب ومن موثيق الولاية. وقد جاء ذلك في الخطاب الولائي الصريح في زيارة الجامعة «سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم، وولي لمن والاكم، وعدو لمن عاداكم».

وفي الخطّ الصاعد لهذه العلاقة نقرأ حديث رسول الله ﷺ كما يروي الترمذي في الصحيح عن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم». وقد تقدّم طرق الحديث.

والعنصر الآخر من موثيق الولاية: (النصيحة) لأولياء أمور المسلمين. روى الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع بمنى في مسجد الخيف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم:

١- إخلاص العمل لله.

٢- والنصيحة لأئمة المسلمين.

٣- واللزوم لجماعتهم.

فإنّ دعوتهم محيطّة بهم، والمسلمون إخوة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم

أدناهم، وهم يد على من سواهم^(١).
 وهذه ثلاث نقاط مضيئة في العلاقة بالله تعالى والإمام والأمة.
 الإخلاص في العلاقة بالله، والنصيحة في العلاقة بالإمام، والحضور في
 الجماعة المؤمنة في العلاقة بالأمة.
 والنصيحة للإمام علاقة متميزة تتميز بالصدق، والشفافية، والوضوح
 والأمان والأمانة والتسديد والتأييد وتقديم الرأي والمشورة الناصحة. هذا
 من الناحية الإيجابية.
 ومن الناحية السلبية: نفي الغش والكذب والخيانة والنفاق والمكر
 والكيد في التعامل مع أولياء الأمور.

٧ - التعاطف في الحزن والفرح

المشاركة في الحزن والفرح أمانة الصدق والحب، والحب من أعظم
 موثيق الولاء وعناصره التي لا تفارقه.
 يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ»^(٢).
 ولذلك فإن المشاركة العاطفية في الأحزان والأفراح تحوّل صاحبها إلى
 عضو من أعضاء هذه الأسرة ومن مكوناتها الإنسانية. وتعبير الإمام
 الصادق عليه السلام بهذا الشأن دقيق:

«شيعتنا منّا، يسوؤهم ما يسوؤنا ويسرّهم ما يسرّنا»^(٣).
 إن الولاء يلحق صاحبه بهذه الأسرة المباركة، وهو معنى كلمة (منّا) الواردة
 في هذه الرواية، وهي نفس الكلمة التي عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله في إلحاق سلمان
 المحمّدي (رضوان الله عليه) بهذه الأسرة «سلمان منّا أهل البيت».

١ - بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٦٨ .

٢ - الخصال للشيخ الصدوق: ص ٢١، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري: ص ٤١٦، مستدرک الوسائل للمحدّث
 النوري: ج ١٢ ص ٢٢٧ .

٣ - أمالي الطوسي: ج ١ ص ٣٠٥ .

وأمانة هذا الانتفاء الأُسري هي «يسوؤهم ما يسوؤنا، ويسرهم ما يسرنا».

وفي رواية صحيحة عن ريان بن شبيب رضي الله عنه خال المعتصم العباسي، عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال له: «يا بن شبيب، إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العُلى في الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا. فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة»^(١).

٨- الطاعة

قد تحدّثنا عن الطاعة بتفصيل في النقطة الثالثة من نقاط تكاليف عصر-الغيبة، وهنا نتحدّث عنها بإيجاز بعنوان: ميثاق الولاية في عصر-الحضور والغيبة. . إنَّ (الطاعة) و(المودّة) ركنان في ميثاق الولاية، ولا تنعقد موثيق الولاية من دونها.

والطاعة قوام هذا الدّين ومن دونها لا يبقى شيء من هذا الدّين البتّة، فلا يمكن ولا يصحّ أن نستثني عصر-أمن العصور من هذه الركيزة الأساسية من ركائز الإسلام وأركانه.

ولا يمكن أن يعطلّ الإسلام الطاعة من حياة المسلمين في ثوابت الشريعة كالفروض والحدود والواجبات السلطانية مثل إقامة الحدود الشرعية، والأمر بالجهاد والدفاع، وفي متغيّرات الأحكام، وهي الأحكام الولاية (السلطانية) التي يختلّ نظام الحياة الاجتماعية من دونها، والتي تدخل في منطقة الفراغ التي تركها الإسلام للحاكم.

إنّ غيبة الامام عليه السلام ليس بمعنى غياب القيادة، والفقهاء المتصدّون للولاية والقيادة في عصر الغيبة ينوبون عن الامام عليه السلام في الولاية والقيادة،

وهم القيادة النائبة بالنيابة العامة، وتجب طاعتهم كما تجب طاعة الإمام في عصر الحضور.

وطاعة القيادة النائبة في عصر الغيبة من طاعة الامام عليه السلام، وطاعته من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله من طاعة الله تعالى.

وقد جاء في الزيارة الجامعة: «مَنْ أطاعكم فقد أطاع الله، وَمَنْ عصاكم فقد عصى الله».

وَمِنْ مشاهد هذه الطاعة: التسليم والإتباع، وقد جاء في الخطابات الولائية في زيارة الجامعة في تأكيد ميثاق الطاعة والتسليم: «مسلم في معكم، وقلبي لكم مسلم، ورأيي لكم تبع».

٩ - الإتباع والالتزام

الإتباع والالتزام لمنهج اهل البيت عليهم السلام في منهج العبادة والعبودية والذكر والشكر والطاعة والإيمان بالغيب، والتصديق وفي الحياة والحركة، وفي العلاقات الاجتماعية، وفي التصورات والرؤى، ومناهج السلوك والحركة والعمل، وفي الآداب والأخلاق والأعراف الاجتماعية والتقاليد، وفي العلاقات الأسرية مثل علاقة الأبوة والبنوة والزوجية والأخوة، وأمثال ذلك.

وهي نقاط كثيرة تغطي مساحة واسعة من حياة الإنسان ويجمعها عنوان ثقافة العلاقة التي هي أيضاً شطر من ثقافة الإنسان.

إنّ منهج اهل البيت عليهم السلام في كلّ ذلك هو منهج القرآن والسنة النبوية، وقد ورث اهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله سنته وحديثه، وحفظوها وكانوا خزائنها الأمانة، توارثوها كابراً عن كابر، كما ورد في حديث الثقلين الذي تواترت روايته من الفريقين من المسلمين ونحن نرثها منهم ونلتزمهم فيها، وهذا الإتباع والالتزام من موثيق الولاية.

في زيارة الجامعة: «فَالرَّاعِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ، وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ - فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ، وَمِنْكُمْ وَلَكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعِدْنُهُ».

وفي الصلوات الشعبانية: «المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق»، ونحن نعتقد أن التزامهم والتمسك بهم في كل ذلك أمان للمسلمين من النار ومن الاختلاف.

وقد قال رسول الله: «أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف»^(١).

١٠ - الصبر على البأساء والضراء

إن فتنة آخر الزمان فتنة عارمة، لا تشبهها فتنة، وإن قادة هذه الفتنة وأولياءها يستخدمون في هذه الفتنة كل ما وصل إليه العقل الإنساني من فن وإبداع في تحكيم هذه الفتنة، ودعمها وإسنادها وتثبيتها وتوسيع مساحتها.

وتتحرك في مساحة هذه الفتنة أنظمة استكبارية تملك المال، والإعلام والقوة، والسلاح، وتفرض هيمنتها على مشارق الأرض ومغاربها، وتملك من إمكانات النفوذ والتأثير والسلطة ما لم يملكه الإنسان في كل مراحل التاريخ، من شبكات الإعلام الفضائية والنفوذ في شبكات الاتصال العالمية، والقدرات العسكرية الهائلة، وتستخدم هذه الأنظمة كل هذه الإمكانيات والقدرات في إفساد الإنسان واستضعافه وتعويمه وتخريبه.

وهذه هي محنة المؤمنين الثابتين على الإيمان بالله في عصر الغيبة جيلاً بعد جيل.

وموقف الناس من هذه الفتنة العسيرة العارمة على ثلاثة أنحاء:

١ - رواه الحاكم في المستدرک: ج ٢ ص ٣٤٣ وصححه على شرط مسلم، ورواه المتقي في الكنز: ج ٦ ص ٢١٦، والهيثمي في المجمع: ج ٩ ص ١٨، والخطيب في تاريخ بغداد: ج ١٢ ص ١٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ج ٦ ص ٣٠٦، والسيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: {وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم} البقرة: ٥٨. وغيرهم من حفاظ الحديث النبوي.

النحو الأول: فمن الناس مَنْ ينجرف مع الفتنة وتستهلكه وتستغرقه ويتحوّل هو إلى جزء من هذه الفتنة، وهؤلاء هم الذين يسقطون في الفتنة.

النحو الثاني: ومن الناس مَنْ لا تجرفه الفتنة في عصر الغيبة ولكنها تعزله وتجرده عن سلاح المقاومة، وتهمشه بالكامل من ساحة الحياة، وتشله، وتسلبه الأمل والنشاط، ويغلبه اليأس والتعب، وبالتالي تُفقدُه المقاومة وهو أفضل من الحالة الأولى، ولكنها على كلّ حال حالة ضعف.

النحو الثالث: وطائفة ثالثة من الناس لم تجرفهم الفتنة معها ولم تستهلكهم ولم تسقطهم كما تفعل مع الفئة الأولى، ولم تعزلهم وتجردهم عن المقاومة وتهمشهم كما تفعل مع الفئة الثانية، ولكنها تزيدهم مقاومة وصبراً، ويشبتون في وسط ساحة الفتنة للفتنة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقاومون الفتنة ويتصدّون لها، وما تزيدهم الفتنة وانحراف الناس عن صراط الله المستقيم وشرعه وهديه إلاّ إيماناً وثباتاً على الهدى.

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١).

هؤلاء يزيدهم اشتداد الفتنة واتّساع رقعتها وانحسار الناس عن الهدى صلابة وقوّة وإصراراً في المضي على صراط الله المستقيم، والاستعانة بالله في الطريق الشاقّ الصعب.

يصف أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مواجهة الفتنة في مكة والمدينة: «ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم^(٢)، وصبراً على مضمض^(٣) الألم، وجدداً في جهاد العدو. ولقد كان الرجل والآخر من عدونا

١- آل عمران: ١٧٣.

٢- اللقم - بالتحريك - : معظم الطريق.

٣- مضمض الألم: لدغته وبرحاءه.

يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي الآخر كأس المنون. فمرة لنا، ومرة لعدونا منا. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت^(١)، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام^(٢)».

ثم يخاطب عليه السلام جيشه الذين ضعفوا ووهنوا في صفين: «ولعمري لو كنا نأتي ما آتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضر - للإسلام عود. وأيم الله، لتحتلبنّها دماً، ولتبعنّها ندماً^(٣)».

والأمر في عصر الغيبة لا يختلف عنه في صدر الإسلام، فإن سنن الله تعالى في المجتمع والتاريخ لا تبدل ولا تتغير، فإذا وجدنا في مجتمعنا وأمتنا أمثال أولئك الذين يصفهم أمير المؤمنين عليه السلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مواجهة الفتنة، ومقاومتها والتصدي لها، والتزام جانب الحق، مهما كان الثمن، ووجد الله تعالى فينا صدق العزيمة والصبر والقوة، وإيثار الآخرة على الدنيا، والدفاع عن الإسلام، لتوطن الأرض لظهوره الامام عليه السلام، إذن في ظهوره وقيامه، فإن سنن الله تعالى في عصر - الحضور هي سننه في عصر الغيبة.

يقول تعالى: {وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا^(٤)}. {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا^(٥)}.
 وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا^(٥).

ولئن كان المؤمنون يواجهون الاستكبار العالمي وأئمة الكفر والضلال وجنودهم في عصر الظهور وجهاً لوجه، ويتحملون حرّ النار والحديد، وتسقط منهم الرؤوس والأيدي والأرجل تحت قيادة الامام عليه السلام، فإن عصر الغيبة يُعدّ ويحضر الأرض ويوطنها لظهور الإمام، ولا يقل عن عصر

١ - الكبت: الذل.

٢ - نهج البلاغة، قسم الخطب ١ / ١٠٥، الخطبة رقم ٥٦.

٣ - نهج البلاغة، الخطبة رقم ٥٦.

٤ - الإسراء: ٧٧.

٥ - فاطر: ٤٣.

الحضور في البأساء والضراء، وما يجب على المؤمنين أن يبذلوه في سبيل الله من الأنفس والأموال والبنين والأزواج في عصر الظهور يجب عليهم في عصر الغيبة، وهذه التضحية تُعدُّ الأرض لظهور الإمام، وقيام دولته الكونية الكبرى.

الثبات على المواثيق في عصر الغيبة

وبعد فهذه طائفة من مواثيق الولاء يجب على المؤمنين الثبات عليها في عصر الغيبة، ومهما صبر المؤمنون وثبتوا على هذه المواثيق فإنهم يقربون بذلك ظهور الإمام عليه السلام وثورته الكونية الكبرى، وقيام دولته العالمية، وإذا تقاعس الناس عن ذلك وتواكلوا، فإنَّ الفرج يتأخر عليهم، وتطول عليهم الفتنة الكبرى التي طالت الحرث والنسل.

وقد استبدلنا الله بغيرنا - لا سمح الله - إذا لم يجد الله تعالى فينا صدق النية والعزيمة والصبر والمقاومة وتحمل البأساء والضراء.

وليس معنى الإمداد الغيبي الإلهي العظيم لنصرة الامام عليه السلام في صراعه مع أئمة الكفر والظلم والشرك، إنَّ ظهور الإمام عليه السلام وثورته يخرج عن دائرة سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع.

وسنة الله في التاريخ والمجتمع هي قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} ^(١).

إنَّ شرائح من مجتمعنا يقرؤون ما ورد في كتب الملاحم والفتن من الإمداد الإلهي الغيبي العظيم للإمام عليه السلام في ثورته الكونية وقيامه ونهضته، فيتصورون أنَّ قيام الإمام وثورته خارجة عن دائرة سنن الله تعالى، وأنَّ لها وقتاً معلوماً بالزمان، وليس بأعمال الناس وأفعالهم، لا يتقدّمه ظهور الإمام ولا يتأخر عنه، وهو خطأ كبير، والتباس في فهم سنن الله.

فإن الإمداد الغيبي الإلهي العظيم لعبده ووليه القائم المنتظر حق لا شك فيه، وهو من ضمن سننه تعالى، كما أن سنة التغيير {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} سنة إلهية عامة، ولا تقاطع ولا تخالف بين هذه السنة وتلك، بل هما متكاملتان.

إن سنة التغيير سنة تعليلية حتمية، لا تتعطل إطلاقاً، ويعلق القرآن الكريم النصر الإلهي والتغييرات الكبرى في حياة الأمم على أفعالهم وإرادتهم. فهم يقربون النصر ويبعدونه ويرفضونه ويطلبونه. وظهور الامام عليه السلام، ليس بدعاً من أحداث التاريخ والمجتمع.

الانتظار الواعي ومسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية

السيد محمد الشوكي

الفصل الأول: الانتظار الواعي

المقدمة:

لقد أكد الإسلام على مسألة الانتظار كثيراً، وذلك لما تتميز به من أهمية فائقة، وأثار كبيرة على شخصية الفرد والمجتمع المسلم. ونعني بالانتظار: انتظار الفرج الإلهي عندما تشتد المحن، وتضيق السبل بالإنسان. وذلك لأن الانتظار يعطي الإنسان حيوية خاصة، ويغمر قلبه بالأمل، ويغسل عنه أدران اليأس والإحباط.

فالحياة الدنيا مليئة بالمكدرات والمنغصات والشدائد. وهذه هي طبيعة الحياة الدنيا، إذ أنها لم تُخلق للراحة والاستقرار، وإنما خُلقت للابتلاء والاختبار، وهما يستلزمان هذا القدر من المصائب والمحن، حتى يتميز الخبيث من الطيب. وما دام أن الإنسان لم يسر على جادة الشريعة ويحبس نفسه عن ذات الله، ولم يتوفر له المجتمع الصالح الفاضل والحكومة العادلة الكاملة فإنه سوف يبقى يعاني ويعاني من مشاكل الحياة الدنيا. فكثير من المحن والمشاكل التي تلمّ بالمرء إنما هي ناتجة عن ذلك. وفي بعض الأحيان يطبق البلاء صفحته على الإنسان، ويسدّ عليه طريق الخلاص، بحيث يبدو أنه لا منقذ له من ورطته، ولا مخلص له من حيرته، فيستسلم لليأس والقنوط، ويصاب بالإحباط، فتشلّ جميع حركته.

وما لم يؤمن الإنسان بقوة غيبية قادرة وقاهرة تستطيع تخليصه من المشاكل المحيطة به، سيظلّ حبس هذا اليأس والقنوط. وحينئذٍ سينعكس

ذلك سلبياً على حركته في الحياة، فتتعطل كل طاقاته ونشاطه، وينتهي إلى الضياع في حياته الدينية والدينية. أما إذا آمن بالغيب، وأدرك بأن هناك قوة هي فوق القوى، وقدرة لا متناهية تسيطر على الكون وتتحكم فيه، وأمرها إذا أرادت شيئاً أن تقول له: كن فيكون، أو كلمح بالبصر، وقد وعدته العون، وعاهدته على المساعدة، فإنه حينئذ لا يستسلم لأموج اليأس العاتية، وإنما يظل مرابطاً صابراً، منتظراً للممدد الإلهي، والعون الرباني. وهذه هي القيمة الكبرى لانتظار الفرج.

من هنا نجد أن الإنسان المؤمن لا يقنط ولا ييأس مهما ادهمت الخطوب واعصوب الأمر، كالجبل الشامخ الذي تمر عليه الرياح والأعاصير دون أن تنال من صلابته وشموخه، أو كالوعد كلما ازداد عليه الضرب ازداد ثباتاً في الأرض. وما ذلك إلا لثقتة بالله وانتظاراً لفرجه. بخلاف الكافر الذي ينهار بمجرد أن تسدّ بوجهه الطرق الطبيعية فيستسلم للقنوط، ويتبعثر بعواصف اليأس، وكثيراً ما ينهي حياته بالانتحار، وذلك لأنه ليس لديه طريق آخر ينتظره غير العوامل المادية.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهٗ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١). فالإنسان الكافر هو الذي يصاب باليأس والقنوط. أما المؤمن فروحه دائماً مطمئنة، إذ أن الإيمان هو الذي يبعث في نفس الإنسان السكينة والإطمئنان حتى في أخرج اللحظات: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

من هنا نلاحظ أهمية الانتظار وفضيلته التي تحدت بها الأخبار. حيث قد وردت في مدح الانتظار عشرات الروايات الشريفة.

١ - يوسف: ٨٧.

٢ - الرعد: ٢٨.

فعن النبي الأكرم: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»^(١).
 وعنه أيضاً: «انتظار الفرج عبادة»^(٢).
 وهكذا يسأله بعض الأشخاص عن أحب الأعمال إلى الله؟، فقال ﷺ:
 «انتظار الفرج»^(٣).
 و عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «انتظار الفرج من أعظم الأعمال»^(٤).
 وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله انتظار الفرج»^(٥).
 و عن الإمام الرضا عليه السلام: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول العبد الصالح: وارتقبوا إني معكم رقيب»^(٦).
 ونلمس من هذه الروايات الشريفة ومن غيرها أهمية الانتظار في الإسلام، وكونه من أفضل وأعظم وأحب الأعمال إلى الله. وما ذلك إلا لأنه يعطي الإنسان القدرة كي يستمر في العمل، ولولاه لانشلت حركته، وترك الأعمال جانباً واستسلم لليأس، وأيضاً لأنه يحكي مقدار إيمان الإنسان بربه، ومدى ثقته بخالقه.

انتظار الإمام المهدي

يحظى انتظار الإمام المهدي عليه السلام بفضل وأهمية أكبر من غيره كما تحدّثنا الروايات الشريفة. أي أن الانتظار في عصر الغيبة له امتياز خاص.

١ - بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٢٢.

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر السابق.

٤ - منتخب الأثر: ص ٢٤٤.

٥ - المصدر السابق: ص ٤٩٨.

٦ - بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٣٨٠.

نقرأ مثلاً في الحديث الشريف عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «ما ضرَّ من مات منتظراً لأمرنا إلا يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره»^(١). أي إنَّ الذي يموت منتظراً كَمَن يموت شهيداً في معسكر القائم عليه السلام.
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «واعلموا أنَّ المنتظر لهذا الأمر له مثل أجر الصائم القائم»^(٢).

وعنه أيضاً: «مَن مات وهو منتظر لهذا الأمر كَمَن هو مع القائم في فسطاطه. ثم مكث هنيئة، ثم قال: لا بل كَمَن قارع معه بسيفه. ثم قال: لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله»^(٣).

وبعض الأحاديث تجعل انتظار أمرهم (وهو ما يعبر به عادة من ظهور الإمام المهدي عليه السلام) من أساسيات الدين.

في الحديث عن أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله هل تعرف مودتي لكم وانقطاعي إليكم، وموالياتي إياكم؟، فقال: نعم. فقلت: فإني أسألك مسألة تجيبني فيها، فإني مكفوف البصر، قليل المشي، ولا أستطيع زيارتكم كل حين؟، قال: هات حاجتك.
فقلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله عز وجلّ به أنت أهل بيتك، لأدين الله عز وجلّ به.

قال: إن أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة. والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي تدين الله عز وجلّ به: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لوليّنا، والبراءة من عدونا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والاجتهاد والورع»^(٤).

١ - الكافي: ج ٨ ص ٣٧.

٢ - المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٢٢.

٣ - منتخب الأثر: ص ٤٩٨.

٤ - الكافي: ج ٢ ص ٢٢.

وعن أبي خالد الكابلي، عن الإمام زين العابدين عليه السلام في حديثه عن القائم عليه السلام: «يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته، والقائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كلّ زمان، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف. أولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً، قال: انتظار الفرّج أعظم من الفرّج»^(١).

من هذه الروايات الشريفة نلمس أنّ لانتظار الإمام المهدي عليه السلام فضيلة خاصّة، تميّزه عن سائر أفراد الانتظار الأخرى، وأنّ المنتظرين للإمام المهدي عليه السلام هم أفضل من المنتظرين الآخرين.

وفلسفة ذلك ترجع إلى أنّ الانتظار في عصر الغيبة الكبرى يعبر عن المستوى الإيماني الكبير للإنسان المنتظر للإمام المهدي عليه السلام. فإيمان الناس في عصر الغيبة له امتياز خاص يميّزه عن الإيمان في عصر الظهور. إذ أنّ الإيمان في عصر الظهور يكون أيسر على الناس، لوجود النبي والوحي المبين والأئمة الهداة الميامين (سلام الله عليهم أجمعين)، الذين يتصلون بالناس، ويرشدونهم، ويقيمون لهم الدلائل على صدقهم.

أمّا الناس في عصر الظهور فهم إنّما يؤمنون حبر على بياض كما في الرواية الشريفة عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال النبي لعلي عليه السلام: «يا علي، واعلم أنّ أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان لم يلحقوا النبي، وحجب عنهم الحجّة فأمنوا بسواد في بياض»^(٢).

وهكذا روى عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله: «سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين

١ - بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٣٨٧.

٢ - المصدر السابق: ج ٥٢ ص ١٢٥.

منكم». قالوا: يا رسول الله، نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن؟!، فقال: «أنكم لو تحملون ما حملوا لم تصبروا صبرهم»^(١).

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: «اللهم لقني إخواني مرتين. فقال له من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟

فقال: لا. إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني. لقد عرفنيهم الله بأسمائهم، وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم. لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء أو كالقابض على جمر الغضا. أولئك مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»^(٢).

فإيمان الإنسان في عصر الغيبة ليس بالأمر اليسير. وذلك إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار بعد الناس عن الأئمة المعصومين، وعن عصر التشريع، واختلاف الروايات، وعدم الإطمئنان إلى صحتها جميعاً، وتعرضهم لضغوط فكرية متمثلة بتيارات الإلحاد، والعلمانية، التي راحت تشكك بكلّ المتبنيات الدينية والثوابت الرسالية، وتمارس عملها بجو من الحرية، مستفيدة من تقنيات العصر الحديث التي لا يمكن تحجيمها أو السيطرة عليها.

وأخرى سياسية متمثلة في محاربة حكّام الجور للمؤمنين الملتزمين بإيمانهم، ومحاربة رموز الوعي في المجتمع الإسلامي، ومحاربتهم لكلّ ما هو إسلامي بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وضغوط أخلاقية متمثلة بدواعي الفساد المتناثرة في أرجاء المجتمع، والتي وصلت إلى حدّ من الابتذال،

١ - الغيبة للطوسي: ص ٤٥٦.

٢ - بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٢٤.

بحيث راحت تطارد الإنسان في البيت والشارع والمدرسة وفي كل مكان. وهي ضغوط وإغراءات لا يمكن لأحد أن يقف أمامها، إلا من أوتي بصيرة في الدين، وروحاً من اليقين، وإرادة لا تلين.

أمام كل ذلك عندما يبقى الإنسان مؤمناً بالله ورسالاته ونبيّه، وما جاء به وبإمامه، ويبلغ إيمانه درجة عليا بحيث يؤمن بوجود الإمام، الذي سيعيد الإسلام إلى ساحة الحياة، بعد يأسٍ طويل، ويعتقد بكونه حياً كل هذه القرون المتهادية، وبكونه غائباً لا يمكن لأحد أن يصل إليه، كل ذلك يجعل من الإنسان المنتظر إنساناً مثالياً رائعاً. خصوصاً مع كل التشكيكات التي تصدر من هنا وهناك، والتي تستهزئ بالذين يؤمنون بالمهدي وبولادته وغيبته وحياته كل هذه السنين. وكلما ازداد الزمان ولم يظهر الإمام المهدي ﷺ ازداد تشكيك الناس به، وتكذيبهم لأمره.

ففي أجواء التكذيب والتشكيك والتضليل المدروس والاستهزاء والإنكار، وطول المدة، وتراجع المتراجعين، وأمام كل الضغوط الفكرية والنفسية والجسمية التي يتعرض لها المؤمنون، من الصعب حينئذ أن يحافظ الإنسان في هذه الأجواء على استقامته، ويبقى منتظراً لإمامه، ويتجاوز كل دواعي السقوط معتمداً على انتظار الفرج. فإذا ظل رغم هذه الضغوط المتعددة مستقيماً ثابتاً فإنه ولا شك رجل عظيم يستحق كل أوسمة الفخر والثناء التي ذكرتها الروايات الشريفة. وهذا ما أشارت إليه الروايات الشريفة.

فعن الفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إياكم والتنويه. أما والله ليغيبن إمامكم سنيماً من دهركم، ولتمحصن حتى يقال: مات، قتل هلك، بأيّ واد سلك. ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفؤن كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في

قلبه الإيمان، وأيده بروح منه»^(١).

وعن زرارة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ للغلام غيبة قبل أن يقوم... وهو المنتظر الذي يشكّ في ولادته. منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: إنّه ولد قبل موت أبيه بستين، وهو المنتظر. غير أنّ الله عزّ وجلّ يحب أن يمتحن الشيعة. فعند ذلك يرتاب المبطلون...»^(٢).

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «منا اثنا عشر مهدياً. أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي. وهو الإمام القائم؛ يحيي به الله الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ على الدّين كلّه ولو كره المشركون. له غيبة يرتدّ فيها أقوام ويثبت على الدّين فيها آخرون. فيودّون، ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. أما إنّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله»^(٣).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتدّ فيها أقوام ويثبت فيها آخرون. ثمّ قال: طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبّنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم. قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، وطوبى لهم. هم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة»^(٤).

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «... له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون ويستهزئ به الجاحدون، ويكذب فيها الوقيتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون»^(٥).

وعن ابن عباس، عن الرسول الأكرم: «والذي بعثني بالحقّ بشيراً

١ - الكافي: ج ١ ص ٣٣٦.

٢ - المصدر السابق: ص ٣٣٧.

٣ - بحار الأنوار: ج ٥١ ص ١٣٣.

٤ - المصدر السابق: ص ١٥٢.

٥ - المصدر السابق: ص ١٥٨.

ونذيراً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر^(١).
فهناك الكثير من الناس سوف يسقطون في الامتحان، ويبقى القليل
منهم على إيمانه وانتظاره.

سوف يمرّ علينا في الأخبار المصائب والمحن التي ستحلّ بالعصبة
المؤمنّة، حتى يتمنّى المتمنّي الموت صباحاً ومساءً، ممّا تؤدّي بالنفوس إلى
الإستسلام لتيار اليأس، وتمسح منها كلّ ومضة أمل. فمع هذه الظروف
العصيبة التي لم يشهد لها المؤمنون مثيلاً في تاريخهم الطويل، ويبقى الإنسان
منتظراً للفرج حقاً، إنّ انتظاره هذا الذي يكشف عن صبره وصلابته هو
موضع تقدير.

ومما يزيد من أهمية انتظار الإمام المهدي عليه السلام كما يرى السيّد محمّد
الصدر (قده) هو كونه مشاركة في المشروع الإلهي الكبير الذي أعدّه للبشريّة
على يدي القائم عليه السلام.

«ونستطيع بكلّ وضوح أن نعرف لماذا أصبح هذا الانتظار أساساً من
أسس الدّين... لأنّه مشاركة في الغرض الأساسي لإيجاد البشريّة. ذلك
الغرض الذي شارك فيه ركب الأنبياء والشهداء والصّالحين وحسن أولئك
رفيقاً. إذن، فهذه الأخبار لا يمكن أن يكون لها معنى
إلا المشاركة في هذا الهدف الكبير^(٢)».

وسنعرف بعد قليل أنّ الانتظار الواعي له دور كبير في التمهيد للدولة
العالمية المباركة.

فخلاصة الأمر: إنّ الروايات الشريفة جعلت كلّ هذه الفضيلة لانتظار
الإمام المهدي عليه السلام، وميزته في مكانته عن سائر أفراد الانتظار، لأجل أنّ

١ - اليقين لابن طاووس: ص ٤٩٥.

٢ - تاريخ الغيبة الكبرى، السيّد محمّد الصدر: ٤٣٠.

الانتظار في زمن الغيبة يكشف أولاً عن مستوى الإيمان واليقين في نفوس المنتظرين من خلال إصرارهم على انتظار الإمام المهدي عليه السلام رغم كلِّ دواعي السقوط المتقدمة. ويكشف ثانياً عن مقدار الصبر والصلابة والاستقامة التي يتمتع بها المنتظرون في مقابل المصائب التي لم يمرَّ بها الناس قبل الغيبة قبل آخر الزمان. ولأنَّه مشاركة في أكبر مشروع وهدف إلهي على طول التاريخ.

الانتظار الواعي

قد يسيء البعض فهم الانتظار، فيحسبه نوعاً من السكون والخمول، وترك الأمور لسبيل حالها، والجلوس في البيوت، والدعاء بتعجيل الفرج. فيعطي الانتظار دوراً تعظيماً سلبياً في الحياة. كالمريض الذي يأخذ بعض المهذئات لتخفيف آلامه ومتاعبه. فهو يتخذ الانتظار كسلوك لما يعانيه في الحياة من متاعب ومصاعب. دون أن يتحدّى المشاكل، ويسعى لحلّها، منطلقاً من الأمل الذي يبثّه الانتظار في نفسه. وهذا فهم خاطئ ومتخلف للانتظار.

المفروض بالانتظار أن يكون حالة إيجابية. أي يكون دافعاً ومحفزاً نحو العمل والحركة والنشاط. لأنَّه يجدد الأمل في النفوس، ويزيل عنها غبار اليأس والإحباط، الذي يشلّها عن الكدح والحركة في الحياة الدنيا. فلو فرضنا أن غريقاً التهمته أمواج البحر. تارة ينظر يميناً وشمالاً، ويحدق في الأفق فلا يرى أحداً يهبّ لنجدته، ويسعى لإنقاذه، فحينئذٍ يستولي عليه اليأس، ويحتمل في نفسه الشعور بعدم جدوى مقاومته ومصارعته للأمواج، فيستسلم لها، لتأخذه في طياته إلى غير رجعة.

وتارة أخرى يلمح أملاً يلوح له في الأفق، ويرى قارب نجاة قد علم

بحاله، وهو يسعى للحاق به وإنقاذ نفسه، فحينئذٍ سوف يدافع الموت، ويصارع الأمواج العاتية، ويقاوم إلى آخر نفس، ولن يستسلم. هذا هو الفرق بين الانتظار السلبي، والانتظار الإيجابي.

الانتظار الواعي: هو أن نسعى ونتحرك نحو اليوم الموعود، لا أن نقعد ومنتظر حركته نحونا. فإننا كلما تحركنا نحو اليوم الموعود أو شكنا أن نقرب منه.

ودعني أضرب مثالا آخر لذلك:

لو أرخى الليل سدوله، وحلّ الظلام البهيم، وانقطع التيار الكهربائي، فغطّانا الظلام بأبراده الدامسة، هل نجلس في الظلام، ونعطلّ كل أعمالنا، منتظرين رجوع التيار الكهربائي، الذي قد يستر انقطاعه لفترة طويلة، لرداءة الأنواء الجوية. أم نوقد شمعة، أو فتيلاً، لينير لنا بعض الظلمة التي نعيش فيها، وإن لم يكن بقوة المصباح الكهربائي. لا شك أن الإنسان العاقل هو الذي يختار الخيار الثاني دون تردد.

إذن، في فترة الغيبة وانتظار الإمام المهدي عليه السلام، علينا أن لا نعطلّ حركتنا، ونجلس في بيوتنا مع كل المشاكل التي تحيط بنا من كل جانب ومكان. فحتى الانتظار العادي يستلزم نوعاً من التهيئة والإعداد. فلو انتظرنا ضيفاً كريماً سيحلّ علينا فإننا سوف نهيبّ الأمور ونعدّ البيت، ونهيبّ له مستلزمات الراحة وكلّ ما يحتاجه الضيف.

ولو كنّا ننتظر حضور بعض المفتشين ولا نعلم متى يأتون، إن كانوا سيأتون، فلا بدّ لنا أن نكون دائماً مستعدّين حتى لا نفاجأ بهم. هذا في أمورنا العادية فكيف بنا ونحن ننتظر مجيء المنقذ الإلهي الكبير، أليس حريّاً بنا أن نعدّ أنفسنا وما حولنا لاستقباله. أليس علينا أن نقوم بالتمهيد للإمام المهدي عليه السلام، الذي هو من أهم مسؤولياتنا في عصر الغيبة.

الفصل الثاني : مسؤوليتنا تجاه الدولة العالمية

ربما يقول البعض إنّ الإمام المهدي عليه السلام، ودولته الكريمة غيب من غيب الله، وسرّ من أسرار الله، وليس لنا فيها أيّ تأثير، وليس هناك دخل للظروف الموضوعية في غيبته أو ظهوره.

وصحيح أنّ الإمام المهدي عليه السلام من غيب الله، كما ورد في الأحاديث الشريفة. ولكن الحقّ أننا لو تأملنا جيداً في الهدف الكبير؛ الذي من أجله خطّط الله تبارك وتعالى لقضية الإمام المهدي عليه السلام، وقرأنا الروايات الشريفة الواردة في هذا المجال قراءة تحليلية متأنية، لا تضح لنا أنّ للظرف الموضوعي، وللعنصر البشري مساهمة كبيرة في غيبة الإمام المهدي عليه السلام وظهوره على حدّ سواء، وهذا لا يتنافى مع غيبية القضية المهدية. إذ أنّ كثيراً من الأمور الغيبية المرتبطة بحياة الناس، يكون للجهد البشري دور فاعل في تحقيقها ووقوعها، وتغيير مسارها واتجاهاتها. كالرزق على سبيل المثال، الذي لا يعلمه الإنسان، ويكون لجهد ونشاطه دخل فيه. فتحقق الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام، وظهوره المبارك، مرتبط بالظرف الخارجي إلى حدّ ما، بل إلى حدّ كبير. ويمكن لنا أن نلمس تأثير الظرف الموضوعي في قضية الإمام المهدي عليه السلام في أمرين، أذكرهما:

الأوّل: في السبب الموجب لغيبته، فإنّه وإن كان ذلك لحكمة يعلمها الله تبارك وتعالى، إلاّ أننا نرى في الروايات الشريفة أنّ للظرف الموضوعي دخل في ذلك. ففقدان الأمن، وفقدان القاعدة الشعبية الكاملة التي يمكن أن يعتمد الإمام على حمايتها كان السبب وراء غيبته، كما تذكر بعض الروايات.

ففي الحديث عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (إنّ للغلام غيبة قبل

أن يقوم. قال: قلت: ولم؟ قال: يخاف. وأوماً على بطنه^(١).
 الثاني: التأثير السلبي لبعض المحسوبين على الإمام عليه السلام وخطه المبارك.
 فبعض المحسوبين على الإمام عليه السلام سوف يتصرفون فيما قبل الظهور
 بصورة سلبية، تترك أثرها السلبي على حركة الإمام عليه السلام، كما في الحديث
 عن الصادق عليه السلام: «إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل المشرق والمغرب،
 أتدري لم ذلك؟، قال: لا. قال: للذي يلقي الناس من أهل بيته قبل
 خروجه»^(٢).

فحركتنا في عصر الغيبة سواء كانت إيجابية أو سلبية سوف تترك تأثيرها
 الكبير على حركة الإمام المهدي عليه السلام. وعليه، فلا بد أن نسلك السبل التي
 تقربنا إلى اليوم الموعود، ونمهد لذلك اليوم العظيم بكل ما أوتينا من حول
 وقوة.

أفكار خاطئة:

وقد شاع عند طائفة من جهلاء الناس: إن علينا أن نملا الأرض ظلماً
 وجوراً، ونجعلها تفيض بالفساد والانحراف، حتى نعجل في ظهور
 صاحب الزمان عليه السلام.

وذلك استناداً إلى الروايات التي دلت على أن من علائم الظهور هو
 امتلاء الأرض بالفساد والجور، وهي روايات كثيرة:
 ففي الحديث المشهور عن رسول الله: «يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما
 ملئت ظلماً وجوراً»^(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يظهر المهدي إلا على خوف شديد،

١- الكافي: ج ١ ص ٣٣٧.

٢- بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٦٣.

٣- المصدر السابق.

وزلزال، وفتنة تصيب الناس وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتت في دينهم، وتغير في حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً من عظم ما يرى من كلب الناس، وأكل بعضهم بعضاً. فخروجه إذا خرج يكون عند اليأس والقنوط من أن يرى فرجاً»^(١).

وعنه أيضاً عليه السلام: «إذا تشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وركبت ذوات الفروج السروج، وأمات الناس الصلوات، وأتبعوا الشهوات، واستخفوا بالدماء، وتعاملوا بالربا، وتظاهروا بالزنا، وشيدوا البناء، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشاش، وأتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، وقطعوا الأرحام، وظنوا الطعام، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، والأمراء فجرة، والأمناء خونة، والأعوان ظلمة، والقراء فسقة، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وبدا الفجور؛ وقبلت شهادة الزور، وشرب الخمر، وركبت الذكور الذكور...»^(٢).

فهؤلاء يقولون: بعد الضيق يكون الفرج، وبعد المحاق يولد الهلال، فلنملاً الأرض ظلماً وفساداً، حتى نعجل في مجيء الفرج. وإذا حرم علينا أن نرتكب الحرام، فلنكن سلبين تجاه ارتكابه من قبل الآخرين، ولنسكت عنه حتى يسود. ولا يعلمون أنهم حينما يتحرجون من ارتكاب الحرام، ويسكتون عن الذين يمارسونه، فقد ارتكبوا إثماً مبيناً. إذ أن السكوت عن الحرام وتشجيعه على الانتشار كارتكابه. لأنه تعطيل لقوام الفرائض، أي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي لا تقوم الفرائض إلا بها، وهذه الفريضة الكبيرة عامة ومستمرة، ولا مخصص لها في عصر الغيبة.

١ - عقد الدرر للمقدسي: ص ٩٧.

٢ - منتخب الأثر لصافي الكلبيكاني: ص ٥٤٠.

وهذا اللون من التفكير هو الذي فسح المجال للفساد كي ينتشر ويتمدد في حياة البشرية. ولو أُعطيت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقها، وطبقت في المجتمعات، ولو بنسبة تطبيق الفرائض الأخرى فيها لما وصل حالنا اليوم إلى المستوى من التدنّي والانحطاط.

أَمِنَ الشَّرَّ بِأَسْنَا فِتْمَادِي وَسَكْتْنَا عَنِ الْفَسَادِ فَسَادَا
وفي الحقيقة هذا اللون من التفكير ناتج عن حالة من الضعف، والإحباط تجاه مشاكل الحياة، ونوع من التبرير المبطن لهذا الضعف، وشرعه للهروب من المسؤولية في المجتمع، التي تتطلب ثمناً باهظاً، لا يتحمّله أمثال هؤلاء.

نحن من خلال ذلك لا نُحسِنُ إلى قضية الإمام المهدي عليه السلام، بل على العكس من ذلك نُسيءُ إليها. لأننا سوف نُثقلُ كاهل الإمام عليه السلام، ونُضاعف من حمله. لأننا سوف نحمله مهمّة إصلاح هؤلاء الذين أفسدناهم، أو سمحنا بفسادهم. على عكس ما لو أصلحنا نصف العالم مثلاً، أو ثلثه، فإننا حينئذٍ رفعنا نصف الحمل عن كاهل الإمام عليه السلام، أو ثلثه.

وأما الروايات التي تحدّثت عن الظلم والجور والفساد في آخر الزمان، فإنها تتحدّث عنها كعلامات لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وعن واقع يعيشه الناس يومئذٍ، ويصلون إليه بسوء اختيارهم، لا تتحدّث عنها على أنّها شروط لا بدّ من السعي لتحقيقها، حتى نعبّل ظهور الإمام عليه السلام.

التمهيد على مستوى الذات

الدولة العالمية للإمام المهدي عليه السلام بخصوصياتها الفريدة، وبحجمها الكبير، لا يمكن أن تنجز بيسرٍ وسهولة، مع كل التأييد الإلهي الذي

سيكون لها. وإنما تحتاج إلى جهود مضمّنية في إنجازها وتحقيقها. وإلى رجال افضاذ في علمهم ووعيتهم، وصبرهم، وشجاعتهم، كما نوهت به الروايات الشريفة.

وهذا النوع من الرجال لا يمكن أن يوجدوا، ما لم يمرّوا بدورة تمحيصية عنيفة. يغربلون فيها، حتّى يخرج بالغربال خلق كثير. وحتى يذهب الزبد ويبقى الذهب الخالص.

ومن المعروف أنّ البلاء يصنع الإنسان. والرجل القوي في إيمانه ووعيه وصبره لا يصنع بالرخاء. فابن الرخاء كالزهرة اللطيفة، التي اعتمدت على رعاية صاحب البستان، واعتادت على الظلال والرغد والري. وبمجرد أن تلقى في الصحراء حيث العطش الشديد، والشمس المحرقة، والرياح العاصفة، تذبذب وتذوي وتموت.

وأما النبتة البرية، التي تنشأ في حوض الصحراء، حيث العطش الشديد، والحر القاتل، والرياح العاصفة، فإنّها تقاوم الأنواء الجوية السيئة، وتتغلب على الحرّ والعطش والرياح لو حدها، ودون معونة أحد من الناس. وتكون مستعدة لأتس الظروف. إلى هذا المعنى يشير الإمام علي عليه السلام بقوله: «ألا وإنّ الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرقّ جلوداً. والنباتات البرية أقوى وقوداً، وأبطأ خموداً»^(١).

ومما نلاحظه في روايات آخر الزمان، أن بلاءه وتمحيصه أشدّ من كلّ الفترات التي عاشها الإنسان في التاريخ. وما ذلك إلا لهدف الكبير الذي يقف وراءه. فالهدف الكبير يتطلّب ثمناً كبيراً.

جاء في الحديث عن أبي الحسن عليه السلام: «أما والله لا يكون الذي تمدون إليه أعينكم حتى تميّزوا، وتمحصوا، حتّى لا يبقى منكم إلا الأندر. ثم تلا قوله

تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾^(١) «(٢)». وفي غيبة الشيخ الطوسي، عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجكم؟، فقال: «هيهات هيهات. لا يكون فرجنا حتى تغربلوا، يقوها ثلاثاً؛ حتى يذهب الله الكدر ويبقي الصفو»^(٣).

فلا يكون الفرّج حتّى يمرّ المؤمنون بدورة تمحيصية عظيمة، يسقط فيها أناس كثيرون، ويفشلون في الامتحان، ولا ينجح فيها إلا الأندر، الذي سيحمل راية العدل مع الإمام المهدي عليه السلام. وكلّما تحققت هذه القاعدة الشعبية الصلبة، وهذه الثلّة المؤمنة، كلّما كان زمن الظهور قريباً.

فعلينا أن نخلق هذه القاعدة، ونحاول أن نقوي إيماننا أمام الأفكار المنحرفة، ونقوم أخلاقنا أمام التيارات الفاسدة، ونرسخ تقواننا أمام كلّ دواعي السقوط. خصوصاً في زماننا الحاضر، الذي أصبح الفساد فيه قانونياً، وموضة حضارية، ومبتدلاً أشدّ الابتدال، بحيث يراه الإنسان في كلّ مكان: في البيت والشارع والمدرسة والإدارة، وفي كلّ أرجاء الحياة المعاصرة. علينا أن نكون أقوياء أمام كلّ الفتن والمصاعب، فلا نتراجع أو نخضع أو ننكسر، حتى نخرج من كلّ تلك الابتلاءات فائزين ظافرين، وأقوياء صامدين، فنستعدّ للتمهيد لدولة الإمام المهدي عليه السلام على مستوى عام، بعد أن ننتهي من إصلاح أنفسنا. فإننا لو لم نصلح أنفسنا لا نستطيع أن نصلح الآخرين أن نصلح الآخرين. وقد حدّدت لنا الروايات الشريفة جزءاً من وظائفنا الفردية في عصر ما قبل الظهور. وإليك بعض الروايات التي تحدّثت عن ذلك:

عن عبد الحميد الواسطي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله،

١ - التوبة: ١٦.

٢ - كتاب الغيبة للطوسي: ص ٣٣٧.

٣ - المصدر السابق: ص ٣٣٩.

والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر، حتى أوشك الرجل منا يسأل في يديه؟!، فقال: «يا عبد الحميد، أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل له مخرجاً. رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا. قال: قلت: فإن مُتَّ قبل أن أدرك القائم؟، قال: القائل منكن إن أدركت القائم من آل محمد نصرته كالمقارع معه بسيفه والشهيد معه له شهادتان»^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله: «طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي، وهو مقتد به قبل قيامه، يتولى وليه، ويتبرأ من عدوه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله...»^(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من عرف هذا لأمر ثم مات قبل أن يقوم القائم عليه السلام كان له مثل أجر من قتل معه»^(٣).

وعنه أيضاً عليه السلام: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتق الله عبد عند غيبته وليتمسك بدينه»^(٤).

وعنه أيضاً عليه السلام: «من سر أن يكون من أصحاب القائم، فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر...»^(٥).

وعن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام: «اعرف إمامك فإنك إن عرفته لم يضرَّك تقدّم هذا الأمر أو تأخر»^(٦).

وعن زرارة، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ للقائم غيبة... قلت: فإن أدركت ذلك الزمان فأبى شيء أعمل؟ قال: يازرارة، إن أدركت ذلك الزمان فالزم هذا الدعاء: اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم

١ - بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٢٦.

٢ - المصدر السابق: ص ١٣٠.

٣ - الغيبة للطوسي: ص ٤٦١.

٤ - الغيبة للنعماني: ص ١٦٩.

٥ - المصدر السابق: ص ٢٠٠.

٦ - المصدر السابق: ص ٢٢٩.

أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجّتك...»^(١).

وفي التوقيع الشريف الذي خرج للشيخ المفيد (قده): «فليعمل كلّ امرئ منكم بما يقربه من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة، ولا ينجيه من عقاب ندم علي حوبة»^(٢).

من هذه الروايات الشريفة وغيرها من الروايات الأخرى نستفيد مجموعة من وظائف المنتظرين:

١ - معرفة إمام الزمان والأئمة المعصومين عليهم السلام بصورة عامة. باعتبار أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

٢ - الولاء لأهل الحق والبراءة من الظالمين. لأنه الخطّ الإسلامي الصحيح، والضمان الأكيد لاستقامة الإنسان.

٣ - الاقتداء بالإمام المهدي وبآبائه الطاهرين. الذين يمثلون الإسلام مجسّداً على أرض الواقع، وعكس الصورة الحسنة عن أتباع أهل البيت.

٤ - إحياء أمرهم بشتى الوسائل والسبل. لأنّ أمرهم هو أمر الإسلام. ولأننا من خلال إحياء أمرهم نحافظ على ذكرهم وفكرهم، وعلى علاقتنا وارتباطنا بهم.

٥ - التقوى والورع عن محارم الله تبارك وتعالى.

٦ - حبس النفس على الله عزّ وجلّ وعلى أهل البيت عليهم السلام.

٧ - التحلّي بالأخلاق الإسلامية الحسنة.

٨ - التقرب إلى صاحب الزمان عليه السلام، وكسب محبته ورضاه، والابتعاد

١ - الغيبة، للطوسي: ٣٣٤

٢ - الاحتجاج، الطبرسي: ٤٩٨/٢

عن كل ما يُبعدنا عنه.

٩- الدعاء والاتصال الدائم بالله تبارك وتعالى.

١٠ - انتظار القائم عليه السلام، وتوطين النفس على نصرته والجهاد بين يديه بصدق وإخلاص.

١١ - الصبر والتحمل للخروج من الامتحان الكبير بنجاح فائق، يؤهل الفرد لكي يكون من أصحاب القائم عليه السلام.

التمهيد على مستوى عام:

وذلك من خلال كسب الناس لقضية الإمام المهدي عليه السلام، وتهيئة الأرضية العامة لظهوره المبارك. ويتم ذلك عبر عدة قنوات.

فعلينا قبل كل شيء أن نعمق الإيمان بقضية الإمام المهدي عليه السلام في نفوس المسلمين، ونجعلها حاضرة في واقعهم، ونمدّهم بالثقافة المهدية.

فقضية الإمام المهدي عليه السلام غير واضحة عند كثير من الناس. الكثير من الناس لا يعلم بأن قضية الإمام المهدي عليه السلام من القضايا الثابتة، التي لا ريب فيها في الإسلام، وأن الأحاديث قد تظافت فيها إلى حد كبير. فقد يظنون أنها مسألة هامشية وردت بها بعض الأخبار، فلا ينبغي أن تتوفر على جانب كبير من اهتمامهم.

والكثير من الناس لا يعرفون شخصية الإمام المهدي عليه السلام بدقة، ولم يطلعوا على تفاصيل حركته المباركة، وأهدافها وخصائصها ومنجزاتها. بل البعض يملكون صورة مشوهة عن الإمام المهدي عليه السلام، ويتصور أنه داعية حرب، وسفك للدماء. علينا أن نوضح لهم أن قضية الإمام المهدي عليه السلام قضية إسلامية أصيلة، وردت فيها الكثير من الروايات الشريفة من طرق الفريقين، السنة والشيعة، وأنه لا مجال للتشكيك فيها بأي حال من الأحوال.

وأن هذه المسألة متفق عليها حتى في الأديان الأخرى، التي بشرت على

لسان أنبيائها بظهور مصلح كبير يظهر في آخر الزمان، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً. ويقيم دولة الحق، التي سينعم الناس بظلمها نعمة لم ينعموها في طوال التاريخ البشري، حيث سيسود الأمن بدل الخوف، والرخاء بدل الحرمان، والعدل بدل الظلم، والحبُّ بدل البغض والكرهية، ويكون المجتمع فيها مجتمعاً ملائكياً بكلِّ ما للكلمة من معنى.

و لا بدّ أن نربّي الناس على ذلك حتّى يترسّخ في عقولهم وقلوبهم، وخصوصاً النشء الجديد. علينا أن نربّي أولادنا في البيت، وفي المدرسة، وفي التلفاز، وفي المسجد على ذلك. ونزرع في قلوبهم حُبَّ المهدي عليه السلام بالأساليب التربويّة التي تناسب معهم، حتّى يشبّون على هذا الأمل الجميل، ويبقون مشدودين إليه طيلة حياتهم.

بالإضافة إلى ذلك لا بدّ أن نبين للناس وظيفة الانتظار، ومسؤوليتهم تجاه الإمام المهدي عليه السلام. ونثقفهم على ذلك، بحيث تكون قضية المنتظر عليه السلام حاضرة عندهم، مُعاشة في واقعهم اليومي. ونوفّر جميع العوامل التي من شأنها أن تجعل هذه القضية حيّة وحاضرة في حياة الناس.

وأما على مستوى غير المسلمين من المجتمعات الأخرى فالمسؤوليّة تكون مضاعفة علي عاتقنا. إذ علينا أولاً أن ندعو الناس للإسلام، الذي يمثل الأطروحة التي سيطبّقها الإمام المهدي عليه السلام عند ظهوره. وهذا ركن من أركان التمهيد للإمام عليه السلام. لأنّ العالم عندما يطلع على الإسلام الأصيل، وتعاليمه القيّمة، التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتحقّق لهم سعادة الدنيا والآخرة، ويقتنعون بأنّ الإسلام دين الله الخالد الحي، الذي يواكب الزمان، ويقدر على حلّ مشاكل الإنسانية المستعصية، بل هو الوحيد القادر على حلّها، سوف ينجذبون إلى ذلك المصلح الذي سيطبّق هذه الأطروحة السماوية على أرض الواقع، ويحقّق من خلالها سعادة الإنسان المنشودة.

وأما لو كان العكس من ذلك، وامتلك الناس صورة مختلفة عن الإسلام. كما هو الحال اليوم. حيث ينظر العالم إلى الإسلام على أنه خطر عظيم يهدد وجودهم وأمنهم وسعادتهم. وذلك من خلال سوء تصرف بعض المسلمين، الذين يعكسون صورة مشوهة عن الإسلام، أو من خلال الغزو الثقافي المحموم، الذي تقوم به وسائل الإعلام الغربية عن قصد، لتشويه صورة الإسلام في نفوس الناس، بعد أن برز في العصر-الراهن كقوة صاعدة تهدد مشاريعها الاستعمارية، ومصالحها اللامشروعة في العالم. إذا كان الحال هذا، فإن الناس سوف لن تنجذب لهذا القائد الذي يريد أن يطبق الإسلام، ويقضي على سعادتهم به. بل سوف تسمثر من ذكر اسمه.

وظيفتنا أن نعكس الصورة الصحيحة والسليمة للإسلام في عيون العالم، ونبين لهم زيف ما يرسمه المغرضون عنه، مستفيدين من وسائل الاتصال المتطورة في العصر الراهن، والتي لا تعترف بالحدود والقيود، ومن الظرف المقيت الذي يعيشه العالم، واليأس الكبير الذي ينتابه من المذاهب الأرضية الظالمة، ومن عطش الناس للإسلام الذي نلاحظه في مناطق عديدة من العالم.

ثم نبين لهم أن هذا الدين العظيم سوف يطبق بكلّ تعاليمه القيمة في الأرض، وسوف ينعم الناس في ظله، وعلى يدي قائده بالسعادة التي كانوا يتصورونها. وبذلك نكون قد مهّدنا الأرضية اللازمة لالتفاف الناس حوله. فإنه ليس من المنطقي أن يأتي الإمام عليه السلام ليقتل أكثر العالم.

ويمكن أن أخص ذلك عبر مجموعة نقاط:

إطلاع الناس على قضية الإمام المهدي عليه السلام، وتبنيهم إلى عظمتها وأصالتها في الإسلام.

تعريفهم بشخصيته الكريمة، وخصائصه، وصفاته ومجمل شؤونه.

إعطاؤهم الثقافة المهدية الصحيحة، وتوفير الفهم الصحيح لهم عن الإمام المهدي عليه السلام، وعن دولته الكريمة وخصائصها ومنجزاتها. المحافظة على إيمان الناس من التزلزل، وردع المشككين والمستهزئين بالإمام المهدي عليه السلام ودحض أباطيلهم بالحجة والبرهان. المحافظة على حيوية القضية المهدية، وحضورها في واقع الناس، حتى لا تكون قضية هامشية منسية، وذلك عبر البرامج المختلفة، والمدرسة التي تُقام لأجل ذلك.

تربية الجيل الجديد، على حبّ المهدي وولائه ومعرفته، بحيث نخلق جيلاً مهدياً كاملاً، مسلحاً بالوعي والعلم والبصيرة والدين، يتحمّل أعباء المسؤولية الملقاة عليه.

الدعوة إلى الإسلام، وتقديم الصورة الصحيحة عن الدين الذي سيطبقه المهدي عليه السلام، والذي سيحكم العالم، في زمانه، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة التي يقدمها البعض عن الإسلام، والتي تكون سبباً لنفرة الناس منه.

تداول قضية المهدي عليه السلام، وعدم جعلها قضية إسلامية، أو شيعية محصورة. وإنما لأبد من إعطائها بُعداً عالمياً، وجعلها همّاً عالمياً يعيشه الجميع. وذلك من خلال البحث عن المشتركات في قضية المنجى العالمي بين الأديان والمذاهب من خلال المؤتمرات العالمية التي تُقام لأجل ذلك.

و للأسف، فإننا إلى الآن لم نقم بما ينبغي في هذا المسير المبارك. لم نعقد إلى الآن ولا حتى مؤتمراً إسلامياً عاماً تُناقش فيه قضية الإمام المهدي عليه السلام. وأنا في الواقع أتمنى أن يعقد مؤتمر عالمي سنوي تُناقش فيه قضية الإمام المهدي عليه السلام من أبعادها وزواياها المختلفة. ويُدعى إليه علماء ومفكرون وباحثون من مختلف دول العالم، ومن المسلمين وغير المسلمين. وأن يُعكس ذلك إلى العالم؛ لتأخذ قضية الإمام المهدي عليه السلام بُعداً عالمياً، وتكون حاضرة في أذهان الناس. وهذا قليل في حقه عليه السلام، فإنّ قضيته تستحق ما هو

أكبر من ذلك بكثير. مما يؤسف له أن قضية الإمام المهدي ﷺ ظلت محصورة في إطار الاحتفالات والمناسبات، والأشعار... ولم تأخذ حظها الواجب من اهتمامنا.

نعم شاهدنا في الآونة الأخيرة مشاريع مباركة قامت بها بعض المؤسسات المعنية بقضية الإمام المهدي ﷺ، نرجو لها التوفيق في هذا المسير المبارك.

على المستوى السياسي:

بعدما قدّمنا من ضرورة التمهيد لدولة الإمام المهدي ﷺ يصبح من الضروري حينئذٍ قيام دولة إسلامية، تقوم بتحشيد الطاقات، ورسم البرامج للتمهيد للنهضة المهدية المباركة، وتربّي الناس على ذلك. فإن البرامج التي قدّمناها للتمهيد قد تُنجز بجهود فردية، إلا أن ثمرتها تكون أقلّ عطاءً ممّا لو قامت بها دولة إسلامية مقتدرة. فالدولة تملك من الإمكانيات والآليات ما لا يملكه الأفراد، من مدارس وجامعات ومؤسّسات ومراكز إعلامية، ممّا يجعل من دورها في التمهيد دوراً بالغ الأهمية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإمام المهدي ﷺ يحتاج في انطلاقة الأولى إلى قاعدة جماهيرية ومالية وعسكرية يتكئ عليها. يحتاج إلى جيش أكثر من أصحابه الثلاث مائة وبضعة عشر، وإلى أموال، ووسائل نقل، وآليات عسكرية، وأجهزة إعلامية، وغير ذلك من الأمور التي تحتاجها كلّ حركة ثورية كانت وتكون. ممّا يحدو من الممهّدين لدولته الكريمة أن يبذلوا كلّ جهودهم، ويجنّدوا كلّ طاقتهم لقيام مثل هكذا دولة.

وعندما نرجع للروايات الشريفة نجد أنّها تتضمّن التأكيد على ذلك بصورة واسعة. وتنبئ بقيام حركة مباركة قبل ظهور الإمام المهدي ﷺ، توطئ له الأمر. وهذه الحركة هي حركة ثورية سياسية كما يظهر من

الروايات الشريفة.

ففي الرواية عن رسول الله ﷺ: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا. وإنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد، حتى ترفع رايات سود من المشرق، فيسألون الحق فلا يعطونه، ثم يسألون الحق فلا يعطونه، ثم يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون. فمن أدركها منكم أو من أعقابكم، فليأت امام أهل بيتي، ولو حبواً على الثلج، فإنها رايات هدى، يدفعونها إلى رجلٍ من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي...»^(١).
وعنه أيضاً ﷺ: «يخرج قوم من المشرق يوطئون للمهدي سلطاناً»^(٢).

هذه الروايات وأمثالها تذكر بوضوح؛ أن هناك أمة من الناس سوف يقومون بحركة إسلامية مباركة؛ يدعون إلى تطبيق الحق والهدى، ويسعون إلى تحقيق أهدافهم من خلال المطالبة السلمية، ويصرّون على ذلك، ويحرصون على أن يتوصلوا إلى أهدافهم بلا عنف وإراقة للدماء - كما يظهر من تأكيد مطالبتهم في الرواية ثلاث مرات - فلا يُستجاب لهم. عند ذلك يضطّرون إلى التوسّل بالأسلوب العسكري، فيقاتلون وينتصرون، ويستتبّ لهم الأمر، حتى يظهر الإمام المهدي ﷺ، فيحتضنون حركته المباركة ويؤيدونها، ويسلمون الأمر إليه. وأمرتنا الرواية الشريفة بمناصرة هؤلاء، والوقوف إلى جنبهم، حتى في أشق الظروف وأعسر الحالات.

وقد ثار جدل قديم حول مشروعية قيام الدولة في عصر الغيبة. فذهب بعض العلماء إلى عدم مشروعية قيام الدولة في عصر الغيبة لبعض الروايات التي تأمر بالانتظار وتنتهي عن أي حركة سياسية قبل الظهور، وتعتبر كلّ راية ترفع فيها هي راية ضلال، كما ورد في لسان بعض

١ - المستدرک للحاکم النیسابوری: ج ٥ ص ٦٥٧، کنز العمال، للمتقی الهندي: ج ١٤ ص ٢٦٧، الغيبة للنعماني: ص ٢٧٣.

٢ - سنن ابن ماجه: ج ٤ ص ٤١٤.

الروايات. ولأنهم كانوا يرون أنّ الحكم لا يكون لغير المعصوم باعتبار أنّ الإمامة هي شأن من شؤون المعصومين عليه السلام. وقد شلّ هذا اللون من التفكير الحركة السياسية الشيعية لفرات طويلة، وأدى إلى ركود الفكر السياسي في مدرستهم، وعدم تطوره، ونموه ببطء شديد.

وفي المقابل يرى كثير من العلماء أنّ الروايات الشريفة الواردة بهذا الشأن لا يُستفاد منها عدم مشروعية القيام، والسعي لإنشاء دولة إسلامية، وإنّما هي محكومة لظروف تاريخية خاصّة، مرّ بها الشيعة في تاريخهم القديم. وأنّ ضرورة قيام الدولة هي نظرية إسلامية أصيلة، لها عمقها الكبير في النظرية الإسلامية، ولا يمكن تجاوزها بحال من الأحوال.

و استمرّ هذا الجدل طويلاً، وبصيغ مختلفة. ولكنّه على الظاهر حُسمَ لصالح الطائفة الثانية، خصوصاً بعد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني، والتي تبنت الإسلام كدستور للبلاد، ونظرية (ولاية الفقيه) كنظرية شيعية في الحكم. ولا أريدُ الخوض في تفاصيل ذلك في هذه السطور القليلة، ومن أراد الإطلاع على ذلك فليُراجع ما كُتِبَ في ذلك من بحوث.

مصادر البحث:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الاحتجاج، للشيخ الطبرسي.
- ٣- بحار الأنوار، للعلامة المجلسي.
- ٤- تاريخ الغيبة الكبرى، للسيد الصدر.
- ٥- عقد الدرر، للمقدسي.
- ٦- الغيبة، للشيخ الطوسي.

- ٧ - الغيبة، للشيخ النعماني.
- ٨ - سنن ابن ماجة.
- ٩ - الكافي، للشيخ الكليني.
- ١٠ - كنز العمال، للمتقي الهندي.
- ١١ - مجلة المستقبل العربي.
- ١٢ - المستدرک، للحاكم النيسابوري.
- ١٣ - منتخب الأثر، للصافي الكلپايگاني.
- ١٤ - نهج البلاغة، للشريف الرضي.

الانتظار... ومنهجية البناء الحضاري

السيد محمد علي الحلو

المقدمة:

يتناول البحث أهمية الانتظار على مستوى البناء الحضاري الذي ينشده الإنسان، إذ بإمكان المجتمع البشري أن يتكامل إذا ما استطاع أن يحدد أهداف وجوده، وما هو غرض سعيه على هذه الأرض، وكيف يتم الوصول إلى هدفه بعد ذلك؟ .

في فلسفة الانتظار تظهر إرادة الفرد ونموّه وتكامله، وفي فلسفة الانتظار يتم كذلك بناء المجتمع وتكامله، ومن خلال ذلك يتم البناء الحضاري المنشود الذي سعى إليه الإسلام، وسعى إلى أن يتلقى الفرد المسلم إمكانية رشده ونضوجه، فالإمكانية التربوية لدى فلسفة الانتظار تكمن في مختلف الأصعدة التي ينشدها المرء وبالتالي المجتمع الرشيد، ومن ثمّ الحضارة المتكاملة الرشيدة.

في فلسفة الانتظار يُمكن للفرد أن يكتشف شخصيته وذاته، وذلك بعد أن يكتشف مدى إرادته وعزمه وكبريائه في مواجهة الصعاب، بل في بناء ذاته وبالتالي بناء مجتمعه الرشيد.

فالروايات الشريفة تتبنى الإشارة إلى هذا التكامل الرشيد وكيفية توظيف فلسفة الانتظار إلى بناء حضاري ناجح، وليس الانتظار كما يفهمه السذج والبسطاء بأنه حالة سلبية يُراد من خلالها تقاعس الفرد عن عمله وبناء كيانه آملاً في الانتظار لليوم الموعود، بل الانتظار هو: الحالة التكاملية

التي يبلغها الفرد، فإيجابيات الانتظار تكمن في تفهّمنا لهذه الفلسفة ومعرفتها.

هذا كما أنّ العقل يُشارك في توضيح فلسفة الانتظار على أساس ما جاء به الإسلام وحثّ عليه الأئمة الاطهار عليهم السلام، لذا فسيكون للبناء العقلي دورٌ مهم في هذا البحث، وهناك بحوثٌ أخرى تظهر في طيّات البحث بأذن الله تعالى.

حضارة جماعة الانتظار:

أضحت مسألة الانتظار مسألة مهمة لدى المدارس الإسلامية جميعاً، فالمدارس الإسلامية - عدا الإمامية - تنظرُ إلى مسألة الانتظار على أنّها حالة سلبية يعيشها الفرد، فهي حالة سكون وانطواء على النفس، بل هي حالة تجميد الطاقات بحجّة انتظار الموعود، وهذه النظرة وليدة تراكمات ظروف معرفية خاصّة إضافة إلى حالة عدم الوعي والقصور في فلسفة الغيبة المهدية المباركة.

فالظروف السياسيّة التي مرّت بها الأمة الإسلامية خلقت لديها حالة عكوف على رؤية مهدويّة خاصّة تبتعد عن واقع الأحاديث التي رواها الفريقان، فالأحاديث تؤكّد على وجوب ظهور المهدي، ومن ثمّ فإنّ الشواهد تؤكّد كذلك على إمكانية حياته وبقائه لمدة طويلة، والإقرار بوجود المسيح عليه السلام الذي سيكون ظهيراً للمهدي في نهضته وادّخاره لهذه المهمة الإلهية، والتسليم للخضر بحياته وبقائه هذه السنين المتطاولة، يوجب قبول اطروحة المهدي وكونه حياً يعيش بين أوساط الأمة حتّى يأذن الله له بالظهور.

كلّ هذه المسائل تُطرح على الذهنية الإسلامية العامّة وينتظر منها الإجابة عن سبب إمكانية قبول بقاء عيسى حياً، والتردد في إمكانية بقاء الإمام المهدي حياً كذلك، أليس مهمة السيّدين واحدة؛ وهي إقامة الدولة المهديّة الكبرى؟، أليس التسليم بأن بقاء عيسى عليه السلام مذخوراً لمهمة الإمام المهدي عليه السلام؟، ما الفرق بين الحالتين خصوصاً أنّهما يشتركان في هدفٍ واحد؟.

هذه التساؤلات لها إجاباتها ارتكازاً في غضون العقليّة السنيّة وإمكانية قبولها كأمرٍ منطقيّ تفرضه براهينها ودلائلها، فلماذا يتخلف المنطق السنيّ عن قبول مثل هذه المسلّمات على المستوى العمليّ إذن؟.

وللإجابة على ذلك: فإنّ الإحاطة بالسير التاريخي وانسيابية المعلومة التاريخيّة في خضمّ هذه المباحث يُعطي الإجابة الجديدة في هذا المجال، وبما أنّ البحث مبنيٌّ على الاختصار، فلا يمكننا بعد ذلك الغور في أعماق المعطيات التاريخيّة التي لا بدّ أن تشارك في تكوين فكرة أوليّة - على الأقل - في هذا المجال - ومع هذا فسوف لا نغفل عن التعرّض إلى شيءٍ مقتضٍ يساهم في بحثنا هذا.

من المعلوم أنّ الظروف التاريخيّة التي زامت فترة الغيبة أضفت واقعاً آخر على فلسفة الغيبة إلاّ أنّه واقع يتعلّق بمصلحة الأنظمة السياسيّة وليس في ذات الغيبة وحقيقتها، لأنّ المشتركات بين الفريقين يعترىها الحاكم السياسي وغيره، ويعترف بها كأمرٍ واقع لا يمكن رفضه، إلاّ أنّه يسعى إلى إلغاء القضية المهديّة، أو على الأقلّ التقليل من شأنها، لذا سعى جاهداً في إخفاء معالم هذه المسألة، وتعامل معها على أساسٍ أمّتي حذر، وفكريّ يضمن مصالحه كذلك.

من هنا حاولت الأنظمة الأموية والعباسيّة بالتعامل مع الدعاوى المهديّة الكاذبة بكلّ جدية.

فالنظام الأموي سعى إلى إيجاد علاقةٍ ما مع عمر بن عبد العزيز ومع الأحاديث المهدية، وادّعى أن عمر بن عبد العزيز هو المهدي الذي ملأها عدلاً وقسطاً بعد ما مُلئت ظلماً وجوراً، وركّزت جهودها على تصوير عدالته وتقواه وزهده، وبموته فقد مات المهدي وانتهى دوره بعد ذلك، وهكذا أثبتت مدوّناتهم التاريخية قصص ودعاوى عدالة عمر بن عبد العزيز إلا أنها تلقى اهتماماً على مستوى الأمة التي قرأت أحاديث المهدي بكل وعي، وتيقنت من حتمية ظهوره وإقامة دولته الإلهية؛ ليملأها عدلاً وقسطاً.

أما النظام العباسي: فقد أضفى على حركة محمد النفس الزكية دعوى المهدية، وادّعت أن محمد النفس الزكية هو المهدي المنتظر، وادّعى ذلك إبان حركته، وحاولت تحريف أحاديث المهدي وروت عن النبي ﷺ أن المهدي اسمه اسمي وبديل كنيته كنيتي، ذيلت الحديث هكذا، واسم أبيه اسم أبي، أي صار الحديث المروي بين الفريقين المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، في حين عند متابعة حركة النفس الزكية لم نجد دليلاً واضحاً يساعد على هذه الدعوى وأن محمد لم يُدع المهدوية كما صورته وسائل النظام العباسي وأبثته في ذهنية بعضهم.

وبهذا تعامل النظام العباسي مع حركة المهدي على أنها حركة محمد النفس الزكية، الذي قُتل في واقعة دير الجماجم، وبهذا حاولت إنهاء مسألة المهدي، وإغلاق ملف المهدية من «أذهان» الأمة، وتعاملت معها على أنها مسألة تاريخية انتهت في حينها. إلا أن ذلك لم يُقنع الأمة وهي أمام هذا السيل من الأحاديث الصحيحة في مسألة الظهور.

نعم أمكن إقناع العقلية السلفية بهذه المحاولات غير الجادة على المستوى العلمي ومستوى الواقع العملي، بل حتى أن النظام أخفى عدم قناعته بهذه المحاولات الفاشلة، وأظهر قلقه حيال المسألة المهدية بعدما

تعامل مع الإمام الحسن العسكري عليه السلام على أنه المولود منه المهدي فعلاً، لذا بعد شهادته أُلقي القبض على نسائه للبحث عن الوليد الموعود أو الحمل الجديد اعترافاً مفعماً بحتمية ظهور المهدي عليه السلام، وبذلك فإن ما أقدم عليه النظام الأموي والنظام العباسي كذلك هو محاولة إلغاء المسألة المهديّة في أذهان العامة، وكونها قضية تاريخية انتهت بانتهاؤها، لذا لم تُعدّ لمسألة الانتظار أهمية على مستوى المذاهب الإسلامية الأخرى ولم تتعامل معها بجديّة كونها قضية تاريخية، وبذلك فإن مسألة الانتظار صارت من «مختصات» الفكر الإمامي الذي تعامل مع الأئمة عليهم السلام على أساس الروايات الصحاح التي أقرها الفريقان، وصار الانتظار واقعاً عملياً يتعامل معه أتباع أهل البيت عليهم السلام.

ما هو الانتظار؟

الانتظار بمفهومه الذي تؤكده الروايات الواردة عن النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام هو حالة ترقّب يصاحبه عمل يمارسه المنتظر لاستقبال اليوم الموعود؛ وهذا العمل مجمعه مصطلح واحد ليكون من أظهر مصاديقه وهو التقوى، فالانتظار إذن هو عمل المنتظر بتقوى عملية يحققها واقعه المعاش. من هنا أمكننا أن نجد مفاهيم متعدّدة تحقق هذه التقوى على مستواها العملي، وهذا يعني أن الانتظار هو آلية لبناء الفرد وتكامله، وكذا بناء المجتمع المتكامل حينئذٍ، وبذلك سيكون الانتظار منهجيةً للبناء الحضاري المنشود الذي لم تحقّقه أي فلسفية وضعية، أو عقيدة دينية خارجة عن إطار ولاء أهل البيت عليهم السلام والانتساب إليهم.

منهجية البناء الحضاري:

إذا كانت الحضارة هي مجموعة ثقافات الأفراد للمجتمع الواحد، ومن ثمَّ هي حصيلة ثقافات ذلك المجتمع، وإذا كانت الثقافة بمعناها الأعم هي السلوك «الراقي» الذي يختاره الفرد، ومن ثمَّ ذلك المجتمع، فإنَّ ثقافتنا الإسلامية تنشأ من حسن سلوك الفرد الذي يتحقق بطاعته لله تعالى، وذلك من خلال انتهاج التعاليم الشرعية المأمور بها الفرد، وهذه بمجموعها تسمى التقوى الذاتية من خلالها تتحقق رزمة الالتزام الشرعي لذلك الفرد، ومعلومٌ أنَّ هذه التقوى التي حثَّ عليها الأئمة الأطهار عليهم السلام تُعدُّ إحدى أهم آليات الانتظار.

ففي الكافي بسنده عن أبي الجارود، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يا بن رسول الله، هل تعرف مودتي لكم وانقطاعي إليكم، وموالياتي إياكم؟ قال: فقال: نعم، قال: فقلت: فإني أسألك مسألة تجيبني فيها، فإني مكفوف البصر قليل المشي، ولا أستطيع زيارتكم كلَّ حين، قال: هات حاجتك، قلت: أخبرني بدينك الذي تدين الله تعالى به أنت وأهل بيتك لأدين الله تعالى به، قال: إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة، والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي تدين الله تعالى به، شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، والولاية لولينا، والبراءة من أعدائنا والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا والاجتهاد والورع^(١).

على أن أئمة أهل البيت عليهم السلام حدّدوا تكليف أتباعهم وما يجب أن يعملوه إبان غيبة إمامهم، وما هي حدود مسؤولية كلِّ واحدٍ منهم اتّجاه نفسه واتّجاه الآخرين، أي تحديد التكافل الاجتماعي الذي من خلاله يُتاح

١ - منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر للصافي الكلبي يگاني: ص ٣١، تفسير الصافي: ص ٤٩٨.

للمكلف أن يتكامل وللمجتمع الإسلامي أن يرقى إلى مرتبة الكمال والبناء.

روى المجلسي بسند صحيح عن جابر قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي ونحن جماعة بعدما قضينا نسكنا فودّعناه، وقلنا له: أوصنا يا بن رسول الله، فقال: (ليُعين قوياتكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الفأس على أعناقنا. وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه في القرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده، وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا، فإذا كنتم كما أوصيناكم ولم تعدوا إلى غيره، فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً، ومن أدرك قائمنا فقتل معه، كان له أجر شهيدين، ومن قُتل بين يديه عدواً لنا كان له أجر عشرين شهيداً).^١

والرواية بذلك تحدّد المعالم العامة للسلوكية الشيعية إبان الغيبة، ووظيفة المكلف عند الانتظار، فقد حدّد الإمام عليه السلام سلوكية المكلف على المستوى العملي وعلى المستوى العلمي الفكري.

أولاً: المستوى العملي

فقد حدّدت الرواية التكليف على المستوى العملي للفرد بالأمر التالي:
 ١- إعانة القوي للضعيف، وذلك يتحقّق بإنشاء الجمعيات الخاصّة مثلاً، والتي معنيّة بمتابعة أمور المحتاجين أو ذوي العاهات مثلاً، وذلك بإنشاء مراكز صحية تتكفل حاجاتهم، ومعالجة البطالة مثلاً كما في إنشاء

مراكز تشغيلية تستقطب الأيدي العاملة العاطلة عن العمل، وتوفير فرص العمل لهؤلاء، وبذلك يتحقق قوله عليه السلام: «ليعين قويكم ضعيفكم».

٢ - في قوله عليه السلام: «ليعطف غنيكم على فقيركم». وذلك بتفعيل حالات التكافل الاجتماعي بين الأفراد، كأن يقوم أصحاب رؤوس الأموال بإنشاء مراكز اقتصادية، تدرّ أرباحها على الطبقات الفقيرة، وإنشاء مراكز القروض الخاصّة المتكفّلة بسدّ حاجات هذه الطبقات، وتأسيس بنوك خاصّة تتكفل باقتصاديات هذه الطبقات، وتوجيه أنشطة أعمال البنوك لصالح هذه القطاعات العاطلة وذات الدخل المتدني.

٣ - في قوله عليه السلام: «لينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه» وهي دعوة لإيجاد سبل تطوّر الإمكانات الفرديّة والاجتماعيّة، وذلك بفتح مراكز معلوماتية - استشارية تُقدّم معلوماتها للأفراد، واستشاراتها لإنشاء برامج اجتماعية وتطويرها على ضوء الظروف المعاشية، بل والمستقبلية كذلك، ومن جهتها فإنّ لهذه المراكز أهمّيتها الخاصّة في تقديم المعلومات العامّة للأفراد وللهيئات الخيرية المرتبطة بخارج حدود الوطن الإسلامي، وما يتعلّق بخارج حدود المجتمع الشيعي وعلاقاته مع المجتمعات الأخرى وما يتتاب هذه المجتمعات من أقطارٍ كامنة. هذه مصاديق عدّة لنصيحة الرجل أخاه، نعم هناك أبرز مصداق وأظهره في هذا المجال هو أن ينصح الرجل أخاه بما يعينه في أموره الدينية والدنيوية.

٤ - وفي قوله عليه السلام: «واكتموا أسرارنا» محاولة سلوكيّة أوصى بها أهل البيت عليهم السلام شيعتهم بالتحلّي بها وانتهاجها، فالظروف السياسيّة القاهرة التي عاشها شيعة أهل البيت عليهم السلام، ومحاولات أعدائهم في تصفية وجودهم، وملاحقة تحرّكاتهم ورصدها يؤدّي بكثير من خطط الإصلاح والتقدّم التي ينتهجها شيعة أهل البيت عليهم السلام، وكتمان الأسرار إشارة إلى انتهاج الدقّة والحذر في إنجاز الأعمال، وهذه الدقّة وتوخي الحذر في السلوك العملي

إشارة إلى سلامة النظام في تنفيذ أي مشروع مدللاً على صحته وعافيته ومن ثمَّ نجاحه، هذا على مستوى الجماعة والتنظيم.

أمَّا على المستوى الفردي فينبغي لكلِّ فردٍ أن يتحلَّى بكتهان السر- وهو فرع الكياسة التي ينبغي أن تكون من صفات المؤمن، كما أنَّها حالة من حالات الصبر والتروي في اتخاذ أيِّ قرار من شأنه أن يعرِّض جماعة أتباع اهل البيت عليهم السلام إلى الهلاك مثلاً، وذلك يكشف أسرارهم، ومحاولة الاختراق المعادي الذي يترصده أعداء اهل البيت عليهم السلام وبذلك تكون حالات تكشف الأسرار هي إحدى محاولات الأعداء لإحباط خطط الجماعة الشيعية إبان الانتظار، وبذلك سيكون كشف الأسرار إحدى عوائق التقدّم والبناء والتكامل للفرد أو لجماعة الانتظار.

ثانياً: المستوى العلمي الفكري

حيث قدّمت الرواية أطروحة للعمل على المستوى الفكري الذي من شأنه تحديد مصير جماعة الانتظار، ويؤسّس من خلاله المنحى العلمي الذي يمكن أن يسلكه أحدهم أو تنتهجه جماعتهم وذلك من خلال أمور:

١ - قوله عليه السلام: «وانظروا أمرنا وما جاءكم عنّا، فإن وجدتموه في القرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه».

إنّ انسيابية المعلومات الواردة عن أئمة اهل البيت عليهم السلام تستلزم موافقتها لما جاء في القرآن الكريم، فإن وافقته فيجب الأخذ به، وإن خالفته فيجب تركه، أي أنّ القرآن الكريم هو دليل على الصّحة والسلامة لما ورد عنهم عليهم السلام، فالشخصية الفكرية والثقافية لجماعة الانتظار تؤسّسها معطيات القرآن الكريم، وملازمتها للقرآن دلالة على أنّ حضارة جماعة الانتظار

تتوافق مع القرآن الكريم ولا تخالفها مطلقاً، أي أن القرآن الكريم هو دستور حضارتهم فلا يتخلف عنه أبداً.

وهذه إحدى مصاديق قول رسول الله: «إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض».

لذا فإن الرواية ناظرة إلى هذه الملازمة العملية والفكرية معاً، وعدم تخلف العترة عن القرآن يعكسها أتباع أهل البيت عليهم السلام وهم جماعة الانتظار الذين سيكونون أظهر مصاديق هذه الملازمة بين القرآن والعترة الطاهرة.

٢- وفي قوله عليه السلام: «وإن اشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده، وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا».

هذه معلّمة أخرى حدّدها أهل البيت عليهم السلام في كيفية تلقي المعلومات، ومحاولة استمرارية ارتباط أهل البيت عليهم السلام بأتباعهم، فهم يوصون شيعتهم بأن التوقف والاحتياط في مسألة ما دليل نجاح صياغة أية فكرة على المستوى التنظيري، أو تحرك على المستوى العملي، وذلك فيما لو دار الأمر بين احتمالات قضية وردت عنهم، ولم يجدوا مرجحاً لهذه الاحتمالات المعروضة، فعليهم التوقف أو الاحتياط فيما إذا اقتضى الأمر إلى ذلك حذراً من ارتكاب المخالفة الشرعية، وبذلك فإن عمل جماعة الانتظار وتحركاتهم سيكون ضمن إطار إسلامي صحيح بعيداً عن اجتهادات الأفراد والجماعات، وهذا سرّ نجاحهم وتكاملهم، فصياغة الفكرة أو المشروع أو البرنامج المقترح يخضع إلى تقنين يفرضه أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين أخذوا علومهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله تعالى وهو بيان لقوله: «حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا».

هذه هي انسيابية المعلومات بين أهل البيت عليهم السلام وبين شيعتهم، وهكذا يكون التلقي عنهم في غضون فترة الانتظار، حيث برمجة انسيابية المعلومات

أمرٌ ضروري في بناء حضارتهم، واستلهام أسسها عن أئمتهم الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

الإستقرار النفسي لجماعة الانتظار

لعلّ أهم ما يميّز أتباع أهل البيت عليهم السلام المتطلّعون لانتظار اليوم الموعود هو حالة الإستقرار النفسي الذي يميّزهم عن غيرهم، وهذا الإستقرار ناشئ عن حالة الإطمئنان المنبعثة من التطلّع إلى مستقبل مشرق ترتسم صورته في ذهنية المنتظر - بالكسر - من خلال فلسفة الانتظار التي يدين بها إلى الله تعالى، فحالات الاحتياط الناشئة من ظروفٍ سياسية تُحيط بأتباع أهل البيت عليهم السلام لم تُعد ذات أثرٍ على مستقبل وجودهم، بل وحتى على ما يتطلّع إليه هؤلاء الأتباع من بناء هيكلية المجتمع والاقتصادية والسياسية كذلك، وهذا راجعٌ إلى ما تحمله فلسفة الانتظار من آمالٍ تعقدها النفسية الشيعة على قيام دولة المنتظر - بالفتح - فعلى المستوى الفردي يشعر الفرد وهو يعيش حالة الانتظار بالأمل الكبير في تحقّق أهدافه تحت ظلّ الدولة المهدية المباركة، فالاحتياطات النفسية لأسبابٍ متعدّدة يمكن للفرد أن يتقلّدها بما يعقده من آمالٍ على تلك الدولة القادمة التي تبسط العدل والسلام في ربوع هذه الأرض المقهورة، فإذا لم يتحقّق هدفه عاجلاً فإنّ مستقبله في الآجل سينجزه ذلك الإمام الموعود، وبذلك فإنّ هذا الفرد سيكون في حالة أملٍ دائمٍ وترقّبٍ متفائلٍ يصنع من خلاله غده السعيد، وبذلك فإنّ الإستقرار النفسي الذي يعيشه المنتظر هي إحدى خصوصياته، وهذا الإستقرار سيكون سبباً في الإبداع ومن ثمّ التكامل الذاتي.

أمّا على المستوى الجماعي، فإنّ جماعة الانتظار تطمحُ إلى تحقيق برامجها في ضوء الآمال المعقودة على ترقّب الدولة المهدية، وهذه الجماعة تستشعر

معايشة قائدها معها في كل الأحوال، وتقطع أن نجاح ما نصبوا إليه يكون مرهوناً بتسديد هذا القائد الإلهي ورضاه، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)، قال الصادق عليه السلام: «والمؤمنون هم الأئمة»^(٢). وهذا ما يناسبه سياق الآية.

ومن غريب ما فسّرت به بعض المذاهب الإسلامية: أن المقصود من قوله تعالى: «والمؤمنون» هم جماعة المؤمنين، وهذا من غريب ما وقع به هؤلاء دفعاً لمحدور الاعتراف بفضائل الأئمة الاطهار عليهم السلام التي يقررها القرآن الكريم وتقتضيه شؤون خلافة الله في أرضه - في بحثٍ ليس هنا محلّ ذكره - على أن الخطاب في الآية للمؤمنين فكيف يكون بعد ذلك قول الحكيم حكيماً حينما يكون المخاطب المكلف هو نفس الشاهد على عمله، وما إلى غير ذلك من خروقات الرؤية السياسيّة التي تتدخل في التفسير القرآني والحديث النبوي من أجل «استحصال» حالات التأييد لمواقفها المناهضة لاهل البيت عليهم السلام.

وعلى كل حال فإن نجاح جماعة الانتظار يكمن في تفاعؤها الطموح بقيام دولة الحق والعدل، وهي تسعى دائماً إلى صياغة أعمالها على أساس ذلك، لذا فهي في حيوية دائمة غير مشلولة نتيجة الاحتياطات السياسيّة المحيطة بجماعة الانتظار، فضلاً عن أن هذه الجماعة تحقق نجاحها في خضمّ تحديات تواجهها دائماً.

وعلى هذا، فأبى نجاح مهما تكون درجته سيكون له معناه في ظلّ هذه التحديات وهو مكسبٌ مهم وقضية خطيرة في ظلّ ذلك، ومقابل هذا فإن أيّ تعثر في عمل هذه الجماعات سوف لن يسلمها الى اليأس والتردد طالما هناك البديل الذي يحققه قيام الدولة المهديّة المباركة، وعلى هذا الأساس،

١ - التوبة: ١٠٥.

٢ - تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٠٩.

فإن جماعة الانتظار تعيش دائماً طموحاتها الواقعية متحديةً بذلك الصعاب والإحباطات التي تواجهها في ظل ظروفٍ تتكالب على هذا الجماعة سعياً لإنهائها وتصفيتها.

هذه الحالة من التفاؤل التي تعيشها جماعة الانتظار تبعث على الأمل في تحقيق برامجها، وبناء حضارتها، والسعي من أجل التكامل في كل الميادين، من هنا علمنا دواعي العمل الدائم الحثيث لجماعة الانتظار، وأسباب نجاحها على كل الأصعدة، وعلمنا في الوقت نفسه إمكانية تأسيس حضارة تعيش طموحاتها هذه الجماعة في ظل فلسفة الانتظار.

إلى جانب ذلك، يعيش الفرد البعيد عن حالة الانتظار حالات التوجس من الفشل وهاجس الخوف على مستقبله المجهول، فأية قضية يواجهها هذا الفرد تؤدي بكل طموحاته وتشل قدراته، فهو يحاول أن يحقق مكسبه عاجلاً لغياب حوافز البديل فيما لو أخفق على صعيد عمله، فإن خسارته هذه ستكون فادحة فيما إذا هو أحسّ بعدم تعويضها بالبديل، والانتظار حالة أمل وطيد يعيشه المنتظر - بالكسر - فإذا غابت عن الإنسان هذه الرؤية فلا بد أن تحيط ذاته هواجس الخوف، وبذلك سيكون مهزوماً دائماً غير جدير بإمكانية مواجهة الصعاب والمحن، التي تعصف به في كل حين من خلال ظروفٍ عالمية متقلبة وإقليمية غير مستقرة، وبذلك فلم يكن مثل هذا الفرد جديراً في بناء حضارةٍ أو السعي لتكامل ذاته وبناء شخصيته.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص حضارة الانتظار:

على أن ما يميز جماعة الانتظار هو حالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الحالة تساعد على تقوية أواصر العلاقة بين أعضاء هذه الجماعة، إذ هي تشير إلى حالة الشعور بالمسؤولية دائماً اتّجاه ذات الفرد، ومن ثمّ اتّجاه مجتمعه، فملاحقة حالات الخرق للمجتمع الملتزم تتكفل لإصلاحه قابلية أفراد المجتمع على متابعة المنكر المرتكب من قبل الأفراد أو

الجماعات، لتقف بوجه الخطر الناشئ عن هذا الخرق المرتكب، والمحافظة على حدود الشريعة بالتذكير الدائم والرقابة المستمرة، لعدم تجاوز حيثيات الالتزام الديني.

ومن جهته يسعى هذا المجتمع بكل شرائحه وفصائله إلى تقوية العلاقة بينه وبين إقامة الواجبات الدينية، وكذلك المستحبات التي يرغب الشارع في مزاولتها من قبل المكلفين، فإذا تمت هذه الحالات، واستطاع المجتمع من المداومة عليها ورعاية حقوقها أمكن لهذا المجتمع من بناء شخصيته الحضارية المتميزة بالأمن والسلام، وذلك بتجنب المنكر المنهي عنه من قبل أفراد، إضافة للعدل والمعروف بكل مصاديقه لعناية أفراد المجتمع بإتيانه والأمر به. وهكذا سوف تكون حضارة جماعة الانتظار حضورها الدائم وشخصيتها المتميزة.

فقد حثّ أئمة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم بالتزام هذه الفريضة وكونها إحدى ميّزاتهم التي تركها غيرهم ولم يتحلّوا بها. ثمّ بيّن ما لهذه الفريضة من آثار وضعيّة فضلاً عن إسقاط التكليف بالعمل بها وعدم العقوبة عند إتيانها.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤن... إلى أن قال: ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها، إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله عزّ وجلّ عليهم فيعمّمهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الأشرار، والصغار في دار الكبار، إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحلّ

المكاسب، وتردّ المظالم، وتعمّر الأرض، وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر...» الحديث^(١).

والحديث يُبيّن أسس البناء الحضاري عند مراعاة هذه الفريضة، فيها تقام الفرائض، أي تشييد دولة إسلامية تكون معالمها أحكام الشريعة ويطبّق من خلال دستورها النظام الإسلامي، الذي يطمح إليه الجميع، كما أنّ قوله ﷺ: «وتأمّن المذاهب» فإنّ استتباب الأمن والسلام مرهون بتطبيق هذه الفريضة.

وقوله ﷺ: «وتحلّ المكاسب» فإنّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتمّ تشييد البنية الاقتصادية وهيكله النظام المعاشي، وذلك من خلال استتباب الأمن، وإمكانية تنشيط دور القطاعات العاملة والرأس المال التي يمتلكها أصحابها.

وقوله ﷺ: «وتردّ المظالم» فإنّ الحقوق المدنية تتحقّق في ظلّ نظام أمّني مستقرّ، وبغياب ذلك لا يمكن القيام بأية مهمّة من شأنها تحقيق ضمانة النظام الانساني.

وقوله ﷺ: «وتعمّر الأرض» فإنّ الإصلاح الاقتصادي يمكن القيام به عندما يتعاهد على ذلك نظام يحفظ الحقوق، ويشجّع على استثمارات اقتصادية تتكفل بنظام اقتصادي رشيد، وإعمار الأرض لا يقتصر على استصلاحها زراعياً أو معدنياً، فلعلّ ذلك إشارة إلى إصلاح الأرض وما عليها من نظام سكاني يلازم صلاحية الأرض لاحتواء التجمّعات البشرية حينئذٍ.

وقوله ﷺ: «وينتصف من الأعداء» فإنّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين يسبّب الأمن بسببها يمكن من خلال ذلك إيجاد قوّة دفاعية تردّ

١ - الوسائل، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب ١، وجوب الأمر بالمعروف، حديث ٦.

كيد الأعداء، أو هجومية تعين جماعة الانتظار على حفظ حقوقهم والحصول على مكاسبهم المشروعة اتّجاه القوى الأخرى.

وقوله عليه السلام: «ويستقيم الأمر» فهو محصلة هذه الجهات التي يمكن تحقّقها في ظلّ القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما أنّ اللهجة - التي يستخدمها الأئمة عليهم السلام في مراعاة هذه الفريضة والوجوب باتيانها - لهجة تتعدّى أسلوب الحثّ والترغيب إلى أسلوب الإنذار والتهديد، وحلول اللعنة التي يحذّر الإمام عليه السلام أتباعه منها بسبب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أسلوب يشدّده الأئمة عليهم السلام في استتباب هذه الفريضة بين جماعة الانتظار.

فعن محمد بن مسلم قال: كتب أبو عبدالله عليه السلام إلى الشيعة: «ليعظنّ ذوو السنّ منكم والنهي على ذوي الجهل وطلاب الرئاسة، أو لتصيينكم لعنتي أجمعين»^(١).

على أنّ من مهام التغيير هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ ذلك سببٌ في بناء حضاري وتكامل ذاتي.

فعن الحسن، عن أبيه، عن جدّه، قال: كان يقول: «لا يحلّ لعين مؤمنة ترى الله يعصى فتطرف حتى تغيّره»^(٢) فإنّ النزعة التغييرية لدى جماعة الانتظار مبنية على محاولة الإصلاح والارتباط بالله تعالى وتطبيق شريعته.

خصوصية العزّة والكرامة ورفض الذلّ والهوان:

وإذا كانت جماعة الانتظار ترتبط بقيادتها المعصومة التي ستحقق لها آمالها ببسط العدل والسلام بقيام دولتها الموعودة، فإنّ لهذا الشعور الدائم آثاره في سلوكية هذه الجماعة، فهي تستشعر الأمل بتحقيق طموحاتها، وعندها فلا داعي للركون إلى الغير أو الشعور بحاجة الغير، فهي في غنى

١ - الوسائل، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب ١، وجوب الأمر بالمعروف، حديث ٨.

٢ - نفس المصدر السابق، حديث ٢٥.

دائم عن الآخرين؛ لأنها ترتبط بقيادةٍ تسحقُّ بظهورها كلَّ ظلمٍ وطغيان، وهذه الدواعي لدى جماعة الانتظار تدفعها إلى الإحساس بالنجاح والظفر على مدى مستقبل أطروحة الانتظار التي تحقق معها قيام دولة الحق، وهذه الدواعي تعزز لدى الأفراد منهم بالعزة والكرامة، ورفض الذل والهوان بالركون إلى الآخرين.

إذن، فالانتظار يدعو إلى الأمل الدائم بتحقيق النصر والنجاح على كلِّ المستويات، وهذا هو سبب استقلالية جماعة الانتظار وعدم لجوئها إلى غيرها، حيث تقررت شخصيتها من خلال ممارسة أسلوب الاعتماد على النفس من دون الخضوع إلى أطروحات الآخرين علمياً أو عملياً.

خاتمة في فضل الانتظار:

تعرضت كثير من الأحاديث عن النبي والأئمة الاطهار عليهم السلام إلى فضيلة الانتظار، ولعلّ هذه الأحاديث ليست على سبيل الحصر، بل ذكرها أهل البيت عليهم السلام كأجلى مصاديق الانتظار وأوضحها، وإلا ففضائل الانتظار أكثر من أن تُحصى، ويكفيها قولهم عليهم السلام: «أفضل العبادات انتظار الفرج»، فإن أرقى ما يصل إليه الإنسان من تكاملٍ ورُقِّيٍّ روحي وعملي كذلك هو بلوغه أرقى مقامات القرب إلى الله تعالى، الذي تحقّقه عبادته، فكيف إذا وُصفَ العمل بأنه أفضل العبادات، مما يعني أنّ الانتظار يُعدُّ في أولوية حالات التكامل والنهوض بمستوى الفرد، ومن ثمَّ بمستوى المجتمع.

روى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَن مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كَمَن كان في فسطاط القائم عليه السلام»^(١).

وبنفس إسناده عن أبي الحسن، عن آبائه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عزّ وجلّ»^(٢).

وعن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «المنتظر لأمرنا كالمشترط بدمه في سبيل الله»^(٣).

وفي البحار: عن عمّار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «العبادة مع الإمام منكم المستتر في السرّ في دولة الباطل أفضل؟، أم العبادة في ظهور الحقّ ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟، فقال: يا عمّار، الصدقة في السرّ - والله أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل؛ لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة، مِمَّن يعبد الله في ظهور الحقّ مع الإمام الظاهر في دولة الحقّ، وليس العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة مع الأمن في دولة الحقّ.

اعلموا أنّ مَن صَلَّى منكم صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدوّه في وقتها فأتّمّها كتب الله عزّ وجلّ له بها خمسة وعشرين صلاة فريضة وحدانيّة، ومَن صَلَّى منكم صلاة نافلة في وقتها فأتّمّها كتب الله له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله تعالى حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، ودان الله بالتقيّة على دينه، وعلى إمامه وعلى نفسه، وأمسك من لسانه، أضعافاً مضاعفة كثيرة إنّ الله عزّ وجلّ كريم.

١ - كمال الدين للصدوق: ج ٢: ص ٥٨٤، باب ما روي في ثواب المنتظر للفرج.

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر السابق.

قال: فقلت: جعلت فداك، قد رغبتني في العمل، وحشتني عليه، ولكن أحبُّ أن أعلم: كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام منكم الظاهر في دولة الحق ونحن وهم على دين واحد، وهو دين الله عز وجل؟، فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كلِّ فقه وخير، وإلى عبادة الله سرّاً من عدوكم مع الإمام المستتر، مطيعون له، صابرون معه، منتظرون لدولة الحق، خائفون على إمامكم وصفكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطروكم إلى جذب الدنيا، وطلب المعاش مع الصبر على دينكم، وعبادتكم وطاعة ربكم والخوف من عدوكم، فبذلك ضاعف الله أعمالكم، فهيناً لكم هيناً.

قال: فقلت: جعلت فداك، فما نتهنىء إذاً أن تكون من أصحاب القائم عليه السلام في ظهور الحق؟، ونحن اليوم في إمامتك وإطاعتك أفضل أعمالاً من أعمال أصحاب دولة الحق؟، فقال: سبحان الله، أما تحبّون أن يظهر الله عز وجل الحق والعدل في البلاد، ويحسن حال عامّة الناس، ويجمع الله الكلمة ويؤلف بين القلوب المختلفة، ولا يُعصى الله في أرضه، وتُقام حدود الله في خلقه، ويردُّ الحق إلى أهله، فيظهرون حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق؟

أما والله يا عمار! لا يموت منكم ميت على الحال التي أنتم عليها إلا كان أفضل عند الله عز وجل من كثير ممّن شهد بدرًا وأحدًا، فأبشروا^(١).

وروى عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله: «سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يا رسول الله، نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن، فقال: إنكم لو احتملوا ما حملوا لم تصبروا ما صبروا^(٢)».

١ - بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٢٧.

٢ - المصدر السابق: ج ٥٢ ص ١٣.

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم الباري عز وجل: عبادي آمنتم بسرّي وصدقتهم بغيبي! فأبشروا بحسن الثواب منّي فأنتم عبادي وإمائي حقاً، منكم أتقبل وعنكم أعفو ولكم أغفر، وبكم أنفي عبادي الغيب، وأدفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي.

قال جابر: فقلت: يا بن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان؟ قال: حفظ اللسان ولزوم البيت»^(١).

وفي غيبة النعماني بسنده: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ذات يوم: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله (عز وجل) من العباد عملاً إلا به؟، فقلت: بلى، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده، والإقرار بما أمر الله، والولاية لنا والبراءة من أعدائنا، والتسليم لهم - يعني الأئمة خاصة - والورع، والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم.

ثم قال: «إن لنا دولة يحيي الله بها إذا شاء، ثم قال: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فليتنظر، وليعمل بالورع، ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة»^(٢).

هذه هي أسس حضارة جماعة الانتظار، أمكننا قراءتها مما ورد من أحاديثهم (صلوات الله عليهم) والاهتمام بأمر الانتظار، والحثّ عليه، ومدح المنتظرين.

١ - المصدر السابق: ج ٥٢ ص ١٤٥.

٢ - الغيبة للنعماني: ص ٢٠٠.

جعلنا الله من المنتظرين لأمرهم، والمتمسّكين بولايتهم، والسائرين على نهجهم، إنّهُ سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

المهدية والحركات الإسلامية في العالم

فخر الدين التركماني

المقدمة:

شغل البحث عن الحكومة العادلة والمدينة الفاضلة أذهان المفكرين والفلاسفة على مختلف العصور في تطّلع وشوق روحي نحو الكمال الاجتماعي والسياسي في الحياة، ومحاولة تغيير الواقع الفاسد، وإدانته، وشدّ الأنظار إلى واقع سليم خالٍ من الظلم والجور، وتأسست على ضوء ذلك مدارس فكرية وأتجاهات فلسفية في الغرب والشرق؛ في سعي لتلمس الطريق نحو تلك الحكومة الصالحة، وتاهت بالبعض السُّبيل، وتطبّعت محاولات البعض الآخر بالمثاليّة المفرطة.

فالبحث عن خلاص وأمل بحياة سعيدة يصوغ مستقبلاً إنسانياً سامياً قد راود كافة الشعوب والأمم، من هنا فقد رسمت تلك الشعوب - سواء أكانت من أهل الكتاب أو الوثنيين وحتى من أتباع المفكرين الوضعيين - نهايات سعيدة للحياة تختم بدولة عالميّة عادلة، صحيح لأن الطريق إلى ذلك كان مختلفاً وتحديد نوعيّتها وحقيقتها متناقضة بين الملل والأمم، ولكن كانت جميعاً تحدّد في أمرٍ واحد جامع، وهو التعلّق بهدف إنساني وفطري في حياة لا يكدرها الظلم والجور والفساد، وقد حمل الإسلام البشارة للإنسانيّة على مرّ الدهور بإمكانية تحقّق ذلك الحلم والأمل المنشود، والحياة الهانئة والعادلة في نهاية المطاف، وذلك من خلال امتداد سلسلة الإمامة التي هي وراثته النبوة في المهام والمقام باستثناء الوحي.

وأكدت الرسالة الإسلامية على أن حبل النجاة والطريق المستقيم الذي يوصل إلى ذلك الهدف هو في التمسك بحبل الإمامة والاعتصام به، فإنه الموصل إلى تلك الحقيقة الكبرى حقيقة قيام دولة كونية عادلة على يد آخر حلقة من حلقات سلسلة الإمامة الذهبية المتمثلة بالإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام، من هنا اختلفت الأسلام عن غيره من الأديان والمذاهب والمدارس الفكرية والفلسفية في أمور، منها:

أولاً: إن الحكومة العالمية العادلة حقيقة وواقع، وليس حلمًا طوبائيًا أو خيالاً عابراً أو استغراقاً مثاليًا، وإن الذي يشير إلى هذه الحقيقة هو الله الخالق المتعال مدير الكون والحياة.

ثانياً: إن الإسلام حدّد ابتداءً قائد تلك الحكومة ووليّها وراعيتها، ولم يترك الأمر للظروف والتطوّرات أو مواصفات غير واقعية.

ثالثاً: حدّد الطريق السليم والنهج الصحيح للوصول إلى تلك الحكومة في الإيمان والاعتقاد بالإمامة والتمسك بهذا النهج، حيث من دون هذا الطريق لا يمكن الوصول إلى ذلك الهدف وربما تاه الإنسان.

وإنّ الحركات الإسلامية التي تنشأ بتغيير الواقع الفاسد تستمدّ كلّ عوامل قوتها وحيويتها من السير على الطريق الذي يؤدّي في النهاية إلى الإمام المهدي عليه السلام والاعتقاد بظهوره والتمهيد له، فالمهدية كانت - ولا زالت - وراء الانبعاث الحضاري والتحديد الذاتي لحيوية الرسالة الإسلامية، وكانت وراء تشكيل حركات إسلامية ونهضات استقلالية، والثورة بوجه الظلم والطغيان، فالمهدية هي الرحم التي ولدت منها الثورات والانتفاضات الإسلامية في العالم الإسلامي.

أهداف الحركات الإسلامية:

إن الحركات الإسلامية في العالم تهدف إلى تجديد الانتماء الإسلامي للشعوب المسلمة، وإعادة الإسلام إلى واقع الحياة كدين ودولة ومشروع حضاري، وقاعدة انطلاق للسلوك الفردي والجمعي، وبالإضافة إلى أنها - الحركات - تسعى لتغيير الواقع الاجتماعي والسياسي الفاسد واستبداله بواقع إسلامي صالح يعالج الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وقبل ذلك يعالج أزمة الهوية والفصام بين هوية الشعوب المسلمة وبين الأنظمة التغييرية الحاكمة والقيم السائدة المستوردة.

وعليه، فإن هذه الحركات الإسلامية تلتقي مع المهدية في المنطلق والهدف، والثورة على الظلم والطغيان ومحاربة الفساد يمثل جوهر المهدية ومنطلق الحركات الإسلامية، كما وإن تأسيس حياة على أساس الإسلام ومبادئه وقيمه السامية هو الهدف المشترك بين المهدية والحركات الإسلامية.

فالحرركات الإسلامية سواء كانت حركات إصلاح أو تغيير أو استقلال، فإنها في النهاية تعمل من أجل تثبيت هوية الشعوب المسلمة وترسيخها، والمهدية هي ركن أساس من تلك الهوية التي تتوحد في أفكارها وتوجهات الأمة الإسلامية وحركتها، وتلتقي سلوكها الخاص والعام من دون تناقض بين ما يؤمن به الإنسان ويمارسه من فعل في الواقع.

دور الحركات الإسلامية في التمهيد لظهوره

إن الحركات الإسلامية تمارس عملية الانتظار الإيجابي لظهور الدولة المهدية العادلة، بخلاف الانتظار السلبي والذي يتميز بالفرديّة والانعزال عن ممارسة أي دور وتحمل أية مسؤولية في التمهيد للظهور سوى ترديد الدعاء والاستغفار بل أكثر من ذلك هناك اتجاهات إغراقية تدعو إلى ترك

الفساد على حاله وانتشاره وعدم القيام بالواجب الإصلاحي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة أنه كلما عم الفساد وزاد الظلم قُرب الظهور.

ولا شك في أن اتباع مثل هذا الاتجاه سيؤخرون ظهوره، وإنها سيؤون للإمام ونهجه، فالإمام المهدي سيّد الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وإمام المصلحين وقائد المغيّرين.

وعليه، فإن من مقتضيات التمهيد له تشكيل قواعد وكوادر تستقبل ظهوره وتنخرط في ثورته، والحركات الإسلامية تمثل وجهاً من وجوه الاستعداد والتمهيد لدولة الامام عليه السلام العادلة، حيث تتحمل مسؤولية إعداد المجتمع وتهيئة الأفراد وتربيتهم؛ ليكونوا جنوداً مجتدين تحت راية الائمة عليهم السلام ومن هنا نفهم المضامين والمعاني السامية لدعاء الفرج: «اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آباءه، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقائداً وناصرًا ودليلاً وعينا حتى تُسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً» إلى أن يقول: وارزقنا الشهادة معه والقتال بين يديه. فكيف يتم ذلك إذا كان الإنسان غير مستعد ومتهيء نفسياً وبدنياً وإيمانياً.

ربط الحركات الإسلامية بنموذج قيادي:

نحن نعتقد بناءً على الصحيح من الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الاطهار عليهم السلام «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية»، فالائمة عليهم السلام هو القائد الفعلي للأمة، وصاحب الولاية الحقيقية والشرعية، والأمر والناهي في الحياة، وما عداه من قيادات هي قيادة طولية تستمد مشروعيتها من صاحب القيادة الأصلية، والباقون وكلاء عامون عنه، سواء كانوا فقهاء أو قيادات ميدانية في أي مجال من مجالات الحياة.

وعليه، فإن من مهام ومسؤوليات الحركات الإسلامية ربط الأمة والحركة بالقيادة النموذجية والمثال الصالح لذلك، والمتمثل بالائمة عليه السلام كما أن استقامة القيادات الإسلامية رهن بالشعور والإيمان بأنها تمارس عملها بإذن الإمام وإجازته، ولا ينبغي أن تميل يميناً أو يساراً بعيداً عن خط الامام عليه السلام، فقيادات الحركات الإسلامية عُلقة وصل بالأمة والإمام، ولا بد أن تؤكد باستمرار على حاجة الأمة الساسة إلى القائد المعصوم، والارتباط به، ومحض الولاء له، والاندكاك في خطه، باعتباره القيادة الصالحة التي لا تستقيم الحياة من دونها.

دور المهدية في تحريك الناس والكسب الحركي:

إن نجاح الحركات الإسلامية وامتدادها في الوسط الاجتماعي رهن بأمور كثيرة: منها ما يتعلق بالبرنامج السياسي، ومنها بالقيادة الفاعلة والمواكبة للأحداث، ومنها القدرة الفائقة على التأثير في الجمهور من خلال عدة وسائل.

وإن أهم عنصر في نجاح الإسلاميين يتمثل في مدى قدرتهم على تحويل شعاراتهم وبرامجهم إلى واقع ومشروع، يمضى بدعم الناس وتأييدهم، وحتى تحصل تلك الحركات على هذا الدعم والتأييد ينبغي مخاطبتهم بما يحبون ويقتدون به، والتجنب عن جرح مشاعرهم، والنيل من رموزهم المقدسة، وإن الإمام المهدي عليه السلام يمثل للمسلمين ولا سيما الموالين لاهل البيت عليهم السلام رمزاً إسلامياً محبوباً، حيث بمجرد ذكر اسمه تعترّ القلوب شوقاً لظهوره، وتردد الألسن كلمات الدعاء بشكل لا شعوري.

وعليه، فإن الحركات الإسلامية تدخل إلى قلوب الناس، وتسخر عواطفهم من خلال هذا المفتاح السري والكلمة الرنانة: «المهدي المنتظر عليه السلام»، مما يساهم في سعة الكسب الحركي والالتفاف الجماهيري حول تلك

الحركات طالما رفعت المهديّة شعاراً لها.

إدعاء المهديّة من قِبَل بعض المصلحين في العالم الإسلامي :

شهد العالم الإسلامي خلال تاريخه المديد الكثير من الظواهر التي نسبت نفسها للمهدويّة والادّعاء بذلك، مع ما كانت تحمل تلك الظواهر من كذب وافتراء وتجريء، والادّعاء الباطل بغير وجه حقّ، إلا أنّها في نفس الوقت كانت تكشف عن قدرة المهديّة وشدّة تأثيرها في المجتمعات، خاصّة إذا عرفنا زمان تلك الادّعاءات والانتسابات كانت تحصل في فترات حرجة من تاريخ الشعوب الإسلاميّة.

فالامام المهدي عليه السلام كان المحرّك والمغذي لروح الثورة، والرافض للظلم والاستكبار في العالم الإسلامي، وكان بعض المصلحين والثوّار يصرح بهذا الألم ربّما من باب تغيير طاقات الأمة وتهيئتها إيماناً منه بقدرة فكرة المهديّة دون غيرها على ذلك، حيث كانوا يعتقدون أنّهم بهذه الطريقة لا غيرها بإمكانهم الوقوف والتصدي للطغيان وقول: (لا للنهب والاحتلال)، وعليه كانوا يتفهمون بالمهديّة من حيث الدور والهدف والمثال لا الشخص والإمام المهدي عليه السلام.

السودان أنموذجاً

لعلّ في مقدّمة النهضة النهضات الاصلاحية والثوريّة التي ارتبطت بالمهديّة هي النهضة السودانية في العصر الحديث، حيث ارتبطت ثورة هذا الشعب المسلم بوجه الاستكبار بشخص ادّعى المهديّة وهو من آباء الدكتور صادق المهدي من السودان، واستطاع أن يقود السودانيين في معركة التحرير والاستقلال، واستطاع دحر العدو، ممّا أكسب هذا الشخص صيتاً وسمعةً وتأثيراً في التاريخ المعاصر للسودان، وقد أصبح لفترة رئيساً للوزراء في

السودان، يمثل حزب الأمة بالإضافة إلى تأييد الأحزاب السودانية التي تناصره كأتباع وأنصار المهديّة، والتي تحولّت إلى طائفة دينية سياسية، وما يصدق على السودان يصدق على عدّة دول في: شمال أفريقيا؛ وهي البلدان الإسلامية في العمق الأفريقي، حيث كان الإمام المهدي عليه السلام الملهم والمرشد والمثال الذي يحتذى به، والنور الذي يُقتبس منه من أجل طرد ظلام الاستكبار والطغيان، فالمهديّة أصبحت في أكثر من بلد إسلامي اتجاهاً دينياً واجتماعياً له أتباع وأنصار.

الحكومة الكونية والمهديّة:

إنّ الإمام يمثل الرسالة القائمة وهي للناس كافة ورحمة للعالمين. وعليه، لا بدّ أن يأتي يوم يعمّ فيه هذا الدّين أرجاء الكوكب الأرضي وتصدح نداءاته، وأنّ صلاح الإسلام لكلّ عصر ومكان سوف يتجسّد عملياً وذلك عندما يظهر الإمام المهدي عليه السلام وتُقام الحكومة الكونية العادلة التي تأمن من ظلمها أهل الأرض والسماء من الإنس والجانّ والطير والوحوش، والحركات الإسلامية من أولى مهمّاتها التبشير والدعوة إلى هذه الحكومة، والتثقيف الشعبي بهذا الاتجاه، وزرع الأمل في القلوب بإمكانية تحقّق ذلك وقربه.

ويمكن من خلال التطوّرات التكنولوجيّة الحاصلة في عالم اليوم، والاندماج بين المجتمعات والشعوب، أو الاستدلال على إمكانية قيام حكومة كونية عادلة، حيث أنّ أمريكا بقوّتها وجبروتها تحاول أن تكون حكومة الشّرّ-العالمية من خلال السيطرة العسكرية والتكنولوجيّة والاقتصاديّة، وهي دولة ماديّة يديرها أشخاص عاديّين، بينما الحكومة المهديّة ستكون دولة الخير العالميّة وبقيادة معصومة، تسخر له كلّ

الإمكانيات والطاقات الإنسانية والطبيعية.
وعليه، فإن التطورات العصرية تشير إلى هذا الاتجاه الصحيح والسليم
في الاعتقاد بالحكومة الصالحة المسيطرة على الأرض.
استلهام الحركات الإسلامية المهدية كمنطلق وغاية :

إن الحركات الإسلامية - التي تعدُّ الشعوب المسلمة وتمنيه بالخلاص
والإنقاذ - تنطلق من الإيمان بالوعد الإلهي بالنصر والفرج للمؤمنين من
جهة، ومن جهة أخرى: إن ما تقوم به هي عملية تراكمية وضرورة
تاريخية، تكون محصلتها ظهور القائد الغائب والحكومة الصالحة.

وعليه، فإنه لا ينبغي تقييم مقطعي لعمل الحركات الإسلامية، بل
تقييم نهائي يرتبط بالاستراتيجية الكلية والآثار والنتائج النهائية. من هنا،
فإن المنطلق والدافع لتلك الحركات ينبغي أن لا يكون في تحقيق نتائج
واتجاهات مرحلية فقط، بل في الصبِّ بالاتجاه نحو الغاية الكبرى، وغاية
الغايات المتمثلة في التمهيد وتهيئة الأرضية لظهور الإمام وإرساء قواعد
لدولته، وحفر خنادق في الواقع لثورته التحررية التي ستمتدُّ من الشرق
إلى الغرب، فإن الحركات الإسلامية تستلهم المهدية من نقطة البدء وحتى
خط النهاية، وتحقق في ظلّه، وتستحضره قائداً وموجّهاً للمسيرة حتى
تستقيم المسيرة وتنضبط أفكارها الشرعية والإسلامية الصحيحة.

المهدية مشروع وبرنامج سياسي للحركات:

المهدية ليست مشروعاً مستقبلياً بعيداً تشير إليه الحركات الإسلامية
ويدعو له المصلحون، بل هي مشروع للحاضر كذلك، حيث يشكل الإطار
العام لبرنامج الحركات الإسلامية الذي يشكل التغيير والإصلاح أساس
ذلك البرنامج، كما أن زرع الأمل في النفوس والتطلع نحو حياة مستقرة

وسعيدة خالية من الظلم والامتهان يُعدُّ الرابطة الوثيق بين الائمة عليه السلام والحركات الإسلامية، فالإصلاح والتغيير الذي تستهدفه الحركات الإسلامية يشكل جزءاً من الإصلاح والتغيير الكبير الذي سيقوم به الإمام عليه السلام عند ظهوره، فالمهدية نقطة ارتكاز البرنامج السياسي للحركات والأحزاب الإسلامية، ومن دون ذلك سوف يفقد البرنامج أهمّ عناصره وركائزه الإستراتيجية التي تتحد في إطار العقيدة الإسلامية ورؤيتها للكون والحياة والإنسان، وإن الإمام المهدي عليه السلام جزء من هذه الرؤية والعقيدة، فمشروع الحركات الإسلامية في الواقع هو مشروع مهدي ولكن بالمستوى الإنساني المحكوم بعدم العصمة، والذي قد يُخطئ ويصيب، ولكنه طالما يسير على الخطّ الصحيح فهو مأجور.

الثورة الإسلامية في إيران والمهدية:

تمثل الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني الراحل (رضوان الله عليه) أفضل مصداق للعلاقة بين الحركات الإسلامية والنهضات الثورية بين الائمة عليه السلام، وذلك لعدة أسباب؛ منها:
أولاً: إنّ قيادة الإمام الخميني للثورة الإسلامية كانت تُقدّم على أنّها القيادة النائية للإمام المهدي عليه السلام باعتبار أنّ الإمام الخميني فقيه ومرجع، وضمن الفهم الإسلامي الشيعي، فإنّ الفقهاء والمراجع يُعدّون نواباً عامين للإمام.

ثانياً: إنّ الإمام الخميني كان يربط كلّ ما يجري في أيام الشاه من ظلم واستبداد - وكان يدعو إلى مقاومة ذلك والثورة عليه - بمقدّمات النهضة المهدية؛ لأنّ إجراءات الشاه وسياسته تُغضب إمام الزمان والعصر، وقد ورد ذلك مراراً وتكراراً في بياناته ممّا كان يؤجج روح الثورة والرفض لدى قطاع واسع من الشعب الإيراني المسلم.

ثالثاً: إنّ الإمام الخميني كان يؤكّد باستمرار أنّ الحكومة الإسلامية تُمهّد لدولة الائمة عليه السلام وتوطئ لها، وإن جزءاً من شرعيّتها يتعلّق بذلك، وهكذا فإنّ الدولة الإسلامية أصبحت تمثل قاعدة وخذقاً متقدماً للدولة.

الحركات الإسلامية السنيّة والمهديّة:

تتفق الحركات الإسلامية في هدف مركزي واحد؛ هو إحياء الالتزام الديني على المستوى الفردي والجماعي، وتجديد الانتماء إلى العقيدة كقاعدة ناظمة للحياة، وإطار لحركة المجتمع، فالحركات الإسلامية التي تتبّع مدرسة الخلفاء، وتؤكّد على إحياء نعيم السلف الصالح، تلتقي مع المهديّة في المتبّع والهدف، فالمهدي عليه السلام هو سُلالة السلف الصالح ونهجه نهج الماضين من الأولياء والصالحين، ومشروع المهديّة هو استئناف مجتمع الرسول صلى الله عليه وآله بأرقى صورة وهكذا، فالحركات الإسلامية السنيّة تسير على خطى المهديّة وإن لم تعلن ذلك صراحة وبوضوح.

ولعل، أفضل دليل على ذلك هو ادّعاء المهديّة من قبل شخص سلفي من أتباع هذه الحركات في نهاية السبعينات والشخص كان سعودياً واسمه «جيهان» حيث سيطر على المسجد الحرام في مكّة وأصبح يعلن عن مبادئه من إحدى منابر ذلك المسجد، فالمهدي حاضر، في الخطاب التوعوي لأتباع الحركات الشيعية. كما أنّه حاضر، كمثال قيادي وتجربة إسلامية رائدة، تستهدي بنوره تلك الحركات.

الحركات الإسلامية الشيعية والمهديّة:

إنّ الحركات الإسلامية الشيعية تنفتح على الامام عليه السلام في جميع جوانب مشروعها التغييرية والإصلاحية حيث ابتداءً لا بدّ لهذه الحركات أن تكون

ذات قيادات مأذونة شرعياً من قِبَل المرجعية الرشيدة، ووليّ أمر المسلمين، والذين يمثلون القيادة النائبة عن الإمام الغائب عليه السلام، وهكذا فإنّ تلك القيادة تتحرك في ظلّ الإذن العام للإمام، وبعد ذلك فإنّ الإمام المهدي باعتباره الحلقة الأخيرة في عقد الإمامة يشكّل مصدراً من مصادر الفكر والمعرفة للحركات الإسلامية؛ وذلك من خلال جملة الأحاديث الواردة والتواقيع الشريفة والسيرة المطهرة للإمام.

ثمّ إنّ على الحركات أن تبشّر- باليوم الموعود وتربط الأمة بالقيادة الحقيقية على أساس الحديث الشريف: «مَنْ مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»؛ فالتثقيف الحركي والجاهيري بوجود الإمام يكون جزءاً من واجب الحركات حتّى لا تموت الأمة أفراداً وجماعات ميتة جاهلية ويستحقّون العذاب، وبعد ذلك فإنّ الحركات الشيعية أهمّ عنصر في برامجها هو الإعداد النفسي- والتربوي والمبدئي للمسلمين من أجل الالتزام بالدعوة المهدية والانتصار الايجابي لعودته، حيث ينتظره الناس في خنادق العمل الإسلامي والدعوة إليه وليس في زاوية المساجد والتكايا.

شعار «يا مهدي» على جبهات القتال مع الصهاينة:

إنّ حزب الله اللبناني يمثل نموذجاً موفقاً للحركات الإسلامية التحريرية في عصرنا الحاضر بما تحقّق له من انتصارات وفتح مبين في صراعه مع قوّات الكيان الصهيوني وتحرير جنوب لبنان، وفي وقت عجزت عن ذلك قوّات عسكرية لعدد من الدول، وكانت عمليات حزب الله نوعية ومؤثرة على الرغم من عدم وجود تكافؤ في التسلّح بينه وبين قوّات الصهاينة المدجّجين بالأسلحة المتطورة، وكانت قوّات حزب الله ترفع في عملياتها

الرايات الصفراء التي كتب عليها: «يا مهدي أدركني» وهكذا، وشعار، وصيحة «يا مهدي»، كانت عناصر حزب الله تقتحم به به حصون وخنادق اليهود، ويُنزِلون بهم الخسائر المادية والمعنوية. فكانت «يا مهدي» كلمة السرّ التي ترعب قوّات الصهاينة بمجرد سماع هذا الاسم المبارك، الذي كان يشحن حزب الله بقوة معنوية هائلة باعتبارهم يمثلون جُند الإمام المهدي عليه السلام، وكانت للأدعية دور فعّال، ولا سيّما دعاء الفرج: «اللّهم كُنْ لوليك الحجّة ابن الحسن....» دوراً كبيراً في شحذ الهمم وطررد الخوف وملئ النفوس بالشجاعة والإقدام.

استقامة الحركات الإسلامية في السير على خطّ المهدي:

وعدم خروجها عن جادة الصّواب والطريق المستقيم هو في الالتزام بخطّ المهدي عليه السلام ونهجه والارتباط بذلك وتأكيدُه باستمرار، فخطّ الإمام هو المقياس وعليه يُبنى ومنه تتفرّع الخطوط والطرق، فالطريق الذي لا يوصل إلى الإمام عليه السلام ولا يبتدء منه فهو طريق الانحراف، فخطّ الإمام عليه السلام هو جوهر خطّ الإسلام المحمّدي الأصيل، وهو خطّ واضح وصريح، والذي يرتبط بالإمامة من حيث العقيدة باهل البيت عليهم السلام من حيث الطريق إلى الشريعة، وأخذ الأحكام التفصيلية في جميع جوانب الحياة، فالذي يأخذ منه يأخذ الصواب الصحيح، وإنّ الذي يصدر عنهم يصدر عن النهج القويم والسبيل الواضح، حيث لا يضلّ ولا يُضلل، الخطّ المهدي يصون العمل الإسلامي من الزيغ ويحافظ على استقامة الحركات الإسلامية في إطار المبادئ والقيم الإسلامية السامية التي نذر الأئمة الاطهار عليهم السلام من أجداد الإمام أنفسهم للدفاع عنه وحمايته، وعليه: فالمهدية هي المشروع، والخطّ، ومصدر الشرعية، وضامن الإستقامة للحركات

الإسلامية.

المهدي القائد الفعلي في عصر الغيبة للحركات الإسلامية:

إنّ أحاديث الشيعة والسنة متفقة على أنّ وجوب وجود إمام العصر عليه السلام «ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» كما أنّ لدى الشيعة الإمامية أحاديث تدل على أنّ الأعمال في ليلة القدر تُعرض على صاحب العصر والزمان عليه السلام باعتباره إمام مُفترض الطاعة، وهكذا يعدّ الإمام المهدي القائد الفعلي للحركات الإسلامية في عصر الغيبة.

وعليه، فإنّ لهذه الحركات بيعتان في عنقهما: بيعة الإمامة العامة والإمام، وبيعة خاصّة باعتبار أنّ أفراد الحركات يعدّون جنوداً للإمام يعملون ضمن معسكره ومشروعه، ويهيئون الأمة لظهوره المبارك، فالحركات الإسلامية تكون خاضعة للإمام، وتمثل لطاعته، وتراقب نفسها على أساس ذلك، وإنّ الانتفاع لقيادته كالانتفاع بالشمس حيث لا تمنع الغيوم مثل هذا الانتفاع، كما ورد في الحديث الشريف عن الأئمة الاطهار عليهم السلام فالإمام المهدي هو القائد الشرعي والخليفة الرباني، وعلى الحركات أن لا تخرج من هذه الدائرة، وعليها استحضار مراقبة الإمام لها في كلّ موقف ولأيّ عمل صغيراً كان أو كبيراً.

الولاية والمهدي وقيادات الحركات الإسلامية والترتيب الطولي:

إنّ الحركات الإسلامية تختلف عن باقي الحركات السياسية ليس من حيث الأيدلوجية والعقيدة والمنهج والسلوك، بل من حيث الارتباط القيادي، فإنّ قيادات الحركات الإسلامية قيادات ميدانية تنفيذية وهي في طول الولاية الشرعية للفقهاء، كما أنّ هذه هي في طول قيادة الأئمة عليهم السلام

فالقيادة الحقيقية للإمام ثم بالنيابة العامة للفقهاء ثم القيادات محلية كلّ حسب اختصاصه، فالقائد في المجال السياسي هو كذلك لأنّه أهل الخبرة في مجاله ومباشرته للشأن العام.

والقيادة تأتي عبر الإذن الشرعي، فالقائد الحركي هو في واقع الأمر ممثّل عن القيادة النائبة، وهذه ممثلة عن القيادة الأصليّة. وعليه، لا بدّ للحركات أن ترجع إلى الفقيه، وترتبط به خاصّة إذا كان الفقيه مبسوط اليد، والولاية باعتبار الحلقة الوسطى بين القيادات الميدانيّة والقيادة الشرعيّة، إذن فالترتيب بين هذه القيادات ترتيب طولي وليس عرضياً، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تتبلور الحركات الإسلاميّة ومشروعها ونهجها.

المستقبلية ومصير التاريخ البشري

حسين إلهي نجاد

المقدمة:

إنّ هذا المقال تطرّق إلى أحد هواجس الإنسان الهامة وهي استشـراف المستقبل والاطلاع عليه، وعلى ما بعد حياة البشر. إنّ المستقبلية وهاجسها رافق وجود كافة البشر طوال التاريخ، وسيبقى معهم حتى نهاية التاريخ. ولأنّ الإنسان خُلِقَ على أساس الفطرة الروحانية، فميوله وتساؤلاته الفطرية منطلقة من تلك الفطرة الروحانية، والتي تتجلّى في روحه الباحثة عن المعرفة، وفي بحثه عن الحقيقة، وفي تعطّشه لاستكشاف المستقبل. وقد أعدتُ هذا المقال على هذا الأساس، ويتضمّن فصولاً، نقدّم تقريراً موجزاً عنها في السطور اللاحقة.

لقد تناول الكاتب في البداية أبعاد الزمان المتكوّن من الماضي والحاضر والمستقبل، والمفاهيم المتأتية منها، ثمّ انتقل إلى القواعد المستقبلية الفطرية، والعقلية الفلسفية، والسياسية، الإجتماعية.

وفي إطار البحث، قمنا بتصنيف المستقبلية إلى قسمين: الإيجابي والسلبي، ثمّ نبّحث المستقبلية الإيجابية من وجهة نظر الديانات الإبراهيمية، وعرض آراء العلماء، والنخب العلمية حول المستقبلية الإيجابية، ليخرج في نهاية المطاف ببحث سبب إقبال الناس على المستقبلية السلبية.

كلمات البحث: المستقبلية، نهاية التاريخ، أبعاد الزمان، منطلق المستقبلية، المستقبلية الإيجابية، المستقبلية السلبية، الفطرة، فلسفة التاريخ، الإسلام، اليهودية، المسيحية، زرادشت، المستقبلية الحاضرة.

المقدمة:

إنّ الهاجس الهام والأساسي الذي جمع وسيجمع الناس حوله طوال التاريخ، هو: استشراف المستقبل، والاطلاع على حيثيات وتفاصيل وقوع نهاية التاريخ البشري. إنّ أهمية المستقبلية، وإقبال الناس العام عليها أثار حساسية كافة المذاهب الفكرية، سواء الإلهية منها، أو من هي من صنع الفكر البشري، حيث ناقشتها وجهدت في تصويرها للمؤمنين بهذه المدارس.

والحقيقة هي: أنّ الناس لا يتقبلون الإيمان والالتزام بمدرسة فكرية لا تستشرّف المستقبل، ولا تبدي اهتماماً به، ولا تطلع على كيفية وقوعه. فالمستقبلية حاضرة في جميع المذاهب الفكرية، وبهذا الاتجاه تقوم بتبيين وتفسير المستقبل، ونهاية التاريخ وفق تعاليمها. وتسبب الخلاف الموجود بين هذه المذاهب الفكرية حول المستقبلية، وكيفية وقوعها إلى نشوء وجهات نظر مختلفة حول هذه القضية الهامة.

إنّ المذاهب الإلهية - ولأنّها تؤمن بأنّ للكون خالقاً حكيماً وعلياً قديراً، يدبر أمور العالم وفق إرادته التي تفوق إرادة البشر - ترسم للبشرية مستقبلاً ونهاية زاهرة واضحة المعالم يكون فيها الحكم للصالحين. وفي المقابل تقف المذاهب الإلحادية بأيديولوجيتها المادية التي ترسم عادة - وبالتمسك بأسباب: كالعنصرية والقومية والثقافة والمعتقد - مستقبلاً قائماً ينتهي به مصير البشرية نحو الاضمحلال، والانهار.

وهناك رؤية ثالثة بموازاة السلب والإيجاب، لا تتصوّر للبشر مستقبلاً منتظراً واعداءً بل تلخص المستقبل البشري في الحاضر الحالي، وتعلن عن نهاية التاريخ، حيث ترى أنّ سعادة البشر وحياته المثلى تتحقق في ظل النظام الليبرالي الغربي كأفضل وأكمل أيديولوجية اختبرها البشر طيلة

حياتهم التاريخية.

ومن بين الديانات السماوية توقع الإسلام - باعتباره الدين الأخير والأكمل والأشمل من بين هذه الديانات - مستقبلاً مشرقاً نيراً للإنسان، وقدّم مشروعه عن نهاية التاريخ، للمجتمع البشري في إطار مبدأ المهدوية. وحسب هذا المبدأ فإنّ مستقبل البشرية والحكم يكون للصالحين والمستضعفين، واعتبر شمول العدالة والمعنوية والمساواة من أهم ميزات وسماات حكومة المصلح العالمية.

أبعاد الزمان (الماضي والحاضر والمستقبل) ومفهومها:

إنّ أحداث التاريخ الإنساني تقع في ظرف الزمان، والأبعاد الزمنية هي التي تعطي للتاريخ مفهومه وفحواه.

وتنقسم الأبعاد الزمنية إلى: الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ وعلى إثرها يتكوّن التاريخ من هذه الأبعاد الثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل. إنّ الأحداث التي وقعت في الماضي وسجلها التاريخ شكّلت ماضي الإنسان. والمستقبل الإنساني حافل بالأحداث، والمظاهر الجديدة، حيث يعيش البشر بانتظار وقوعها. والحاضر الإنساني: هو خطّ افتراضي يرسم بين الماضي والمستقبل. والتاريخ الكوني عامّة والتاريخ الإنساني على وجه الخصوص لا يتحقّق دون وجود ظرف زمني؛ لأنّ التطوّر والتغيير يحصل بمرور الزمان^١ باعتباره جزءاً لا يتجزأ من التاريخ. والإنسان ليس الوحيد من

١ - لقد اتفق أغلب الفلاسفة المسلمين تقريباً على مفهوم الزمان، حيث عبّروا عنه بما يلي: الزمان هو نوع من المقدار والكمية المتصلة، وعدم السكون من سماته ويعرض على الأجسام بواسطة الحركة. (محمدتقي مصباح يزدي، آموزش فلسفه: ج ٢، ص ١٥١).

وفي نظرة عامّة تقسم مفردة الزمان في رأي الفلاسفة المسلمين إلى قسمين: النظرية السائدة التي سبقت نظرية صدر المتألهين والنظرية التي ابتكرها صدر المتألهين، وتبعه منذ ذلك الحين غالبية الفلاسفة الإسلاميين وشاطروه الرأي. ووفقاً

يملك التاريخ، وإنما لكافة الكائنات في العالم تاريخ، لتعرضها للتطور والتغيير. وبعبارة أخرى: فلكل كائن في العالم تاريخ؛ لأن التاريخ يعني الحدث. وعندما يتعرض شيء ما للتغيير والتحول من حالة إلى حالة ومن وضعية لأخرى يعني: أنه أصبح حدثاً ونال تاريخاً؛ وبالمقابل لو بقي الشيء في ثبات وسبات ولم يطرأ عليه تغيير فلا يكون تاريخاً.^(١)

والزمان يميز التغيير والتطور في الأشياء، ويجعل له ميزة الأمس والحاضر والغد؛ إذن فالزمان والتطور يقومان التاريخ ويشيدان أساسه

⇒

للنظرية الصدرائية، فإن الأجسام والجوهر الجسماني ثابت لم يتغير، بينما الزمان مفهوم متغير وسيال يحتضن الأجسام بواسطة الحركة؛ لأن الزمان من حيث تركيبه المتغير وزواله الفوري لا يتمكن من التأثير على الأجسام والجوهر الجسماني دون وجود وسيط، ومن هنا فهو بحاجة إلى التناسق مع الحركة، هو مفهوم ضروري في هذا المجال، ليمكن من تحقق تأثيره على الأجسام التي تنسم بالثبات والسكون.

ويقول الشهيد مطهري في هذا الإطار: (كان الفلاسفة ومنذ القدم يدخلون عنصر الزمان في وقوع الأحداث المادية ويقولون: بأن ظهور ووقوع أي حدث يستلزم مجموعة من الأسباب والظروف والمعدات، أحدها تحقق قطعة زمنية يستقر فيها الموجود المفروض؛ لأن الوجود الجوهرية وإن كان جوهرًا ثابتاً لكنه لا يخلو في تكوينه وحين ولادته من مجموعة من الحركات العرضية التي تستطيع الاستغناء عن العنصر الزمني. (كان الفلاسفة القدماء يعتقدون بثبات وسكون موجودات الجوهر الجسماني، وكانوا يبررون قبول الصورة للصورة بالكون والفساد وليس بالحركة الجوهرية). (مرتضى مطهري، مجموعه آثار: ج ٦، ص ٨٣٥).

ووفقاً لهذه الرؤية يحتضن الزمان الأجسام عند قيامها بالحركة، وفي الواقع فإن مفهوم الزمان هو مفهوم خارج عن نطاق الجسم والجسميات التي تتعامل مع بعضها بصفة العارض والمعرض. وهي بمعنى أدق بمثابة ظرف للأحداث والعوامل الطبيعية التي تتحقق في مقطع زمني خاص.

واستطاع الزمان في النظرية الصدرائية أن يجد السبيل نحو جوهر وذات الأشياء، وذلك باشتغال الحركة على جوهر وذات الأشياء، وأطلق على هذا التعميم: الحركة الجوهرية. إذن وطبقاً لهذه النظرية لا يحتاج الزمان إلى وسيط ولا يقع خارج الذات، بل يدخل إلى صميم الأشياء دون وسيط عرضي.

وقد أثبت صدر المتألمين الفيلسوف الإسلامي في القرن الحادي عشر بنظرية الحركة الجوهرية أن: الجوهر الجسماني بجوهريته يحتاج إلى الزمان وإلى جانب العوارض الجسمانية. وهذا يعني: أن الزمان ليس خارجاً عن هوية الأشياء، ولا يتضمن الظرفية لاحتضان الأحداث فقط. وفي الحقيقة: فالزمان موجود بعدد الحركات الموجودة في العالم. وإن اقتضت معرفتنا على أحدها، وهو الزمان المعروف عندنا، لكن بعد إثبات الحركة الجوهرية في جوهر عالم الطبيعة، أصبح للزمان مفهوم جديد متعين لا يخفى على إدراك كل مدرك، وهو «الزمان الجوهرية». (مرتضى مطهري، مجموعه آثار: ج ٦، ص ٨٣٥).

وبنيانه، وفي حال غيابها لا وجود للتاريخ. وبين تاريخ الكائنات وتاريخ الإنسان، يبقى تاريخ الإنسان محل الاهتمام والتوجه. إن لهذا التاريخ سمات تميزه عن سائر الكائنات؛ كالإرادة، والتفويض، أو الاختيار، وغيرهما من السمات. فمن الممكن للإنسان أن يجتاز وبمحض إرادته واختياره «الماضي» و«الحاضر» ليستقر في المستقبل ويبنى غده برغبته وإرادته.

وصنف الشهيد مطهري التاريخ إلى ثلاثة أقسام تحت فئة نظرية (المعرفية التاريخية)، أو (أبيستمولوجيا التاريخ):

١. التاريخ النقلي.

٢. التاريخ العقلي (العلمي).

٣. فلسفة التاريخ.

ويقول الشهيد مطهري في بيان هذه الأقسام الثلاثة ما يلي:

(التاريخ النقلي يعني: العلم والاطّلاع على الوقائع والأحداث التي مرّت على الإنسان في الماضي وأحواله، مقارنة بوضعه الحالي في الوقت الحاضر. أنّ أيّ وضع وحالة وأيّ حدث يتعلّق بالحاضر - أي زمان الذي يُحكّم فيه على الحالة أو الحدث - هو الحدث الحاضر والمائل؛ ولمجرد انطواء صفحاته ودخوله ممر الماضي يدخل التاريخ، ويصبح جزءاً منه. إذن فالعلم والاطّلاع على التاريخ في هذا المعنى يعني: العلم بالوقائع والأحداث الماضية، وأحوال الغابرين، وعلوم التاريخ بهذا المعنى علم جزئي يعني العلم بمجموعه يتألف من الأمور الشخصية والفردية وليس العلم بالكلية، ومجموعة من القواعد والمعايير والضوابط. هذا أولاً، وثانياً: علم نقلي وليس عقلي، وثالثاً: علم بالكينونة لا الصيرورة، وأخيراً هو من صنع الماضي وليس الحاضر.

والتاريخ العقلي (العلمي): هو علم بالقواعد والسُنن المهيمنة على الحياة الماضية، ويحصل عن طريق مطالعة الأحداث والوقائع الماضية، والدراسة، والتحليل. وما يشكّل مضمون التاريخ النقلي - أي الأحداث

والوقائع - يكون في التاريخ العقلي المدخل والمبدأ. والمؤرخ (بالمعنى الثاني) يحاول الوقوف على طبيعة الحدث التاريخي، وعلاقة العلة بالمعلول أو السبب بالمسبب، ليتوصل إلى مجموعة من القواعد والمعايير العامة؛ لتعميمها على الحالات المشابهة الحاضرة والماضية.

وإن شكّلت الأحداث والوقائع الماضية مادة التاريخ العقلي الخام، لكن القواعد المستنبطة منها لم تقتصر على الماضي، وإنما يمكن تعميمها على الحاضر والمستقبل. وهذا ما يزيد التاريخ إفادة، ويجعله أحد مصادر المعرفة الإنسانية، ويضع مستقبه بين يديه، ليتصرف به وفق ما قرأه من التاريخ. إن التاريخ العقلي (العلمي) يتعلّق - كالتاريخ النقلي - بالماضي وليس بالحاضر، وهو علم بالكينونة لا بالضرورة؛ لكنّه كليّ عام، وليس جزئي بخلاف التاريخ النقلي، وعقلي وليس نقلي بحت.

وأما فلسفة التاريخ فهي: العلم بتطوّرات المجتمعات من مرحلة لأخرى، والقوانين السائدة على هذه التطوّرات والتحوّلات، وبعبارة أخرى: هي علم بالضرورة وليس الكينونة.

وفلسفة التاريخ - كالتاريخ العقلي - كلية عامة وليست جزئية وعقلية، وليست نقلية، لكنّها بخلاف التاريخ العلمي، علم بصيرورة المجتمعات وليس بكينونتها، كما أنّ مقوماتها التاريخية، وعلى العكس من التاريخ العلمي، لا تقف حدّ الماضي، بل هي بمثابة تيار بدأ من الماضي، ولم يتوقف في الحاضر، ويمتد نحو المستقبل.^(١)

المستقبلية و مفاهيمها:

إنّ المستقبلية تعني: الاهتمام بالمستقبل، وامتلاك هاجس حالة مقبلة نترصد وقوعها.

ويمكن تصنيف المستقبلية إلى قسمين، ودراستها من رؤيتين:

١. المستقبلية العامة: في هذا الشكل من المستقبلية تكون برؤية نحو المستقبل بشمولية عامة، وتتعلق بجميع البشر. إنَّ الهاجس الإنساني في هذه الرؤية يدور حول التساؤل عن مصير التاريخ البشري ونهايته، وهل يسير نحو النور والإشراق؟، أو يسقط في هاوية الظلام والعتمة؟، وبعبارة أخرى: ينظر الإنسان في هذه الرؤية إلى نهاية أبناء البشر، وهل يبلغ الإنسان قمة الفلاح والنجاة في تاريخه؟، أو يميل نحو الشر وسوء العاقبة والمصير؟.

٢. المستقبلية الجزئية: وفي هذا الفرض يقتصر شغل الإنسان الشاغل وهاجسه القوي على أمور فردية وجزئية. والكل قلق على غده، وما يصيبه في المستقبل، وما يحدث له بظهر الغيب. فكيف يمكن التعامل مع ما سيحدث؟، إنَّ هذا الشكل من المستقبلية يعبر في الواقع عن سعي الإنسان اليومي الحثيث في تحقق غد واعد أفضل، وتحسين حالته المادية. وتشارك الحيوانات في هذا القسم من المستقبلية مع الإنسان حيث تسعى هذه الكائنات إلى توفير لقمة عيشها، وتكدس غذاءها، وتبني وكرها تأميناً للمستقبل، وضماناً للفترات العجاف المحتملة.

إذن، فالمستقبلية في الفرض الثاني جزئية يشترك فيها الإنسان والحيوان، في حين يكون القسم الأول كلياً عاماً شاملاً مصيرياً يختص بالإنسان دون الكائنات الأخرى، ذلك لأنَّ الرؤية الشاملة والعامة من سمات العقل، والجزئية من سمات الوهم، والإنسان هو الكائن الوحيد بين الكائنات الأخرى الذي أكرمه الله بنور الفهم، ونعمة العقل. فالإنسان يتمكن من التطلع إلى المستقبل واستشرافه بقوته العقلية، ولا تستطيع الحيوانات فعل ذلك؛ لحرمانها من نعمة العقل، وامتلاكها لقوة الوهم والخيال، فتنظر للأمور بوضعها الحالي، وبجزئية مجردة، لا تستطيع الوقوف على المستقبل. إنَّ النزعات والإدراكات الأولية لدى الحيوانات (بشكل عام) ولدى

الإنسان (من حيث المادة والجسم فقط) ناجمة عن الغريزة والطبيعة؛ بينما تكون رغبات الإنسان وإدراكاته من الجانب الروحي: كنزعة المستقبلية العامة، والخلود والعدالة، كلّها جميعاً ناتجة من فطرته الروحية كما يقول الشهيد مطهري:

(إنّ للإنسان رغبتيان: جسدية، وروحية. والقصد من الرغبة الجسدية، ما يتوقّف على الجسد بنسبة كاملة، ويعتمد عليه كغريزة الجوع، والأكل، والرغبة في الأكل عند الشعور بالجوع. إنّهُ أمر بغاية المادية والجسمانية والغريزية، ويرتبط بتركيبية الجسد الفيزيولوجية سواء جسد الإنسان أم الحيوان. وبعدهما احتاج الإنسان على « بدل ما تحلل » حسب تعبير القدامى، وهو يعني: هضم الغذاء والحاجة إلى وجبة غذائية جديدة، بدأت إفرازات المعدة بالعمل في خلق شعور لدى الإنسان يسمى: الجوع. والشعور بالجوع ينعكس بإحساسات الدماغ للبحث عن المادة الغذائية، فهو إحساس موجود لدى كلّ إنسان وإن جهل وجود المعدة في جسده. وهذا أمر غريزي ويعني: أنّه يتعلّق بفيزيولوجيا الجسم، وليس تعلّياً اكتسابياً. إنّ هذه الأمور هي التي تسمى بالغريزية.

وفيما يتعلّق بالرغبات والميول: هناك مجموعة من الغرائز الفطرية، يطلق عليها في علم النفس بالأمور الروحية، وتسمّى اللذات الناتجة عنها أيضاً باللذات الروحية، كالرغبة نحو الإنجاب. إنّ الرغبة في الإنجاب تختلف عن غريزة الجنس، والتي ترتبط بإطفاء الرغبة الشهوانية. والرغبة في الهيمنة والسلطة عند الإنسان ناتجة أيضاً عن حالة في التعطّش الروحي).^(١)

ويقول آية الله جوادي آملي في نفس الإطار:

(إنّ الفطرة كصنع خاص، تختلف عن الطبيعة. إنّ الطبيعة موجودة في الكائنات كافة من جماد وناميّ ودون روح حيوانية، وتختلف عن الغريزة

التي جعلها الله في الحيوان والإنسان في جانبه الحيواني أيضاً).^(١) إن المستقبلية وهاجس نهاية تاريخ البشر والعلم والاطلاع على مصير الحياة البشرية، وكيف تؤول نهاية مسار البشر- التاريخي، فهل هي نهاية سعيدة وإيجابية، أو هي نهاية سلبية وشقية؟، لفتت اهتمام الناس عبر التاريخ البشري الطويل ولعلّ القلق الأهم الذي واجهه الناس خلال هذا المسار بمعزل عن العنصر والجنسية، تمثل في الجهل إزاء مصير تاريخه.

مصدر المستقبلية النظرية:

إن فطرية المستقبلية تُعرف من شمول وعمومية التطلع إلى المستقبل عند جميع البشر، ودوام واستمرار هذه النزعة لديه على مرّ التاريخ؛ لأنّ الملاك في فطرية الشيء شموليته واستمراريته. وهاجس الاطلاع على المستقبل كان موجوداً، وسيبقى كذلك لدى مختلف أشكال الجنس، والعنصر- البشري، وفي جميع المناطق الجغرافية، وبين شتى الثقافات، والمعتقدات سواء الأديان السماوية، أو المذاهب، التي أنشأها الإنسان. وفي الواقع فإنّ السمات التي أوردناها تنحصر بالأمور الفطرية؛ فمصدر المستقبلية على هذا الأساس هو مصدر فطري ويُعتبر من الأمور الفطرية.

برهان الفطرة:

إنّ الرؤى والإدراكات تحصل عن طريق العقل النظري؛ وهو يتناول الأشياء من حيث العدم والوجود. أمّا الرغبات والميول فتقع في نطاق العقل العملي، فهو يحدّد ما يجب وما لا يجب. والأمور الفطرية تختلف عن العقل النظري حتّى العقل العملي؛ فهي في العقل النظري معرفية وبصائية، وفي العقل العملي سلوكية وتجاذبية.

والفطرة النظرية كما يعبر عنها القرآن، هي البصيرة الشهودية بالكون

١ - تفسير موضوعي قرآن كريم، فطرت در قرآن لجوادى الأملى (طبعة قم منشورات اسراء): ص ٢٤.

البحث، والكمال المطلق، بينما يعبر عن الفطرة العملية بالتجاذب، والرغبة الحضورية لمقام الحق الكبريائي.^(١)

ونذكر مما أوردناه في ما سلف عن سمات الأمور الفطرية، فقد قلنا: إنها أولاً: عامة وشاملة، وثانياً: أبدية خالدة، لا تزول، وثالثاً: غير اكتسابية، بل مودعة وكامنة. والسؤال الحاضر هو: هل للمستقبلية هذه السمات حتى نعتبرها من الأمور الفطرية أولاً؟

وعند مراجعة الأبحاث التاريخية والتجريبية، نتأكد أن مفهوم المستقبلية مودع، وسيبقى كذلك في ذات جميع الناس من الماضين والأولين وحتى الحاضرين واللاحقين. إن هاجس المستقبل والتوجس من كيفية حدوثه، ورغبة البشر بإيجابية حدوثه، وسعادة نهايته كامن في ذات الإنسان؛ ووفقاً للسمات التي أوردناها سابقاً يمكن القول بفطرية المستقبلية عند البشر. وبعد هذا التمهيد، نتطرق إلى برهان الفطرة:

الدليل الأول:

المقدمة الأولى: إن المستقبل الإيجابي محبّد لدى جميع أفراد البشر وسيظل كذلك، والناس توصلت إليه من دون تعليم.

المقدمة الثانية: ما هو محبّب عند الناس، ويتحقق في ذاتهم دون اكتساب وسابق تعليم، يعتبر من الفطرة.

النتيجة: إن المستقبل الإيجابي الذي يتوق الناس إلى بلوغه، هو من الأمور الفطرية.

الدليل الثاني:

المقدمة الأولى: إن الرغبة في المستقبل الإيجابي من الأمور الفطرية.

المقدمة الثانية: ما كان من الأمور الفطرية لا يخلو من المتعلق.
النتيجة: رغبة الناس بالمستقبل الإيجابي لا تكون دون متعلق.
البرهانان المذكوران أعلاه، يثبتان أولاً: فطرية المستقبلية الإيجابية،
وثانياً: حتميتها من حيث الوقوع.

أشكال المستقبلية:

إن أهمية المستقبل ومصير التاريخ أثار حساسية الإنسان على التعرّف عليها والسعي وراء الاطلاع على حيثياتها وتفصيلها. وأهمية هذا الأمر إنما تأتي من تأثير معرفتها، وتحليلها على معرفة وتحليل الوقت الحاضر والراهن. وفي الواقع، فإنّ هواجس الإنسان عن الوقت «الحاضر» هو محطّ رحال الإنسان الحالي، أدّى إلى لفت انتباهه نحو الماضي ونحو مستقبل الحاضر، وذلك ليتمكن من توفير حياة مناسبة وجيدة لحياته الحالية؛ لأنّ الحياة الطيبة في الحاضر لا يمكن تصوّرها دون الاكتراث بالماضي والمستقبل.

وقد تسببت أهمية الوقوف على المستقبل وعجز الإنسان عن الوقوف الكامل عليه لعلمه القاصر والمحدود إلى ظهور وجهات نظر مختلفة ومتعارضة أحياناً عنه من حيث الحثيات والتفاصيل. وكما أشرنا فقد تتوقع بعض هذه النظريات مستقبلاً مظلماً قائماً، ومصيراً سيئاً أسود للتاريخ البشري، في حين ترفض النظريات الأخرى هذه النظرة المتشائمة، وتتوقع خلافاً لذلك مستقبلاً مشرقاً وزاهراً للبشرية، وتنظر إليه بأمل وإيجابية واضحة المعالم تنبئ عن مجتمع مثالي طوباوي.

وبموازاة هاتين النظريتين، هناك نظرية ثالثة تتحدّث عن نهاية التاريخ، وتقلّص المستقبل في الحاضر. إنّ هذه النظرية تخطف الأضواء من المستقبل، لتوجّهها نحو الحاضر. ووفقاً لهذه النظرية الليبرالية هي المجتمع المثالي والموعود الذي طال انتظار البشر لتحقيقه. فمن شأن الليبرالية

وأيدولوجيتها العلمانية البالية المتهرئة، والذي أتضح للجميع عدم قدرتها على الاستجابة لمطالب العصر البشري، وحسب هذه النظرية - تتبلور السعادة البشرية في الوقت الحاضر، ولا بديل عنها في المستقبل.^(١)

المستقبلية الإيجابية:

إن مستقبل البشرية ومصير تاريخها - حسب الرؤية الإيجابية - مُشرق وإيجابي، وهذا يعني أن مستقبل التاريخ ظرف يستوعب ظهور الموعود والمجتمع المثالي، والمطلوب موعود ترقبه أنظار البشر - بإيجابية، وتتلهف لتحقيقه، وبلوغ مجتمعه المثالي.

إن النظرة الإيجابية والتفاؤلية نظرة يؤمن بها أغلبية المعتقدين بالعالم الماورائي الميتافيزيائي، والمؤمنين بالله، وغالبية أتباع الديانات السماوية، واللاسماوية، ويرون فيها نشاط اعتزازهم الفردي والاجتماعي. فالنظرة الإيجابية نحو المستقبل لعبت دوراً هاماً في فعاليات الإنسان، والمجتمعات الإنسانية سيكون لها الدور المؤثر في بث روح التفاؤل والسعي وراء الحياة الهادفة. ونظراً لهذا الدور المؤثر للمستقبلية الإيجابية على حياة الإنسان، يجب علينا هنا تبينها وإثباتها بتقديم عدّة براهين هامة.

وقبل الدخول في تفاصيل البراهين العقلية حول المستقبلية الإيجابية، نأتي بشواهد ومستندات عن المستقبلية الإيجابية من كتب الأديان المقدسة التي يؤمن بها أتباعها:

المستقبلية الإيجابية في مصادر الزرداشتية:

جاء في كتاب (جاماسب نامه) أحد الكتب التي أوردت النصوص الزرداشتية القديمة ما يلي:

سوشيانس (منقذ العالم الكبير) سيروج الدين على مستوى العالم، يستأصل الفقر والبؤس والجذب، ينقذ الآلهة من سطوة الشيطان، ويهدي الناس نحو وحدة الرأي والقول والفعل.^(١)

سيخرج رجل من أرض العرب من بني هاشم، رجل عالي الهامة، كبير الجسد، ضخم الساقين، على دين جدّه. سيسير نحو إيران بجيش عرمرم، ويعمر البلاد، ويملاً الأرض عدلاً.^(٢)

حينها يأتي النصر للآلهة من أهورامزدا، وسيكون النصر المؤزر حليف الآلهة، وسيزول الشياطين... وبعد انتصار الآلهة، والإطاحة بآل الشيطان، سيبلغ العالم الكوني لسعادته الحقيقية، وسيرتبع بنو آدم على عرش السعادة.^(٣)

المستقبلية الإيجابية في مصادر اليهود:

جاء في التوراة:

«لأنَّ الرُّؤْيَا لَا تَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي مِعَادِهَا، وَتُسْرِعُ إِلَى نِهَائِهَا. إِنَّهَا لَا تَكْذِبُ وَإِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا، لِأَنَّهَا لَا بَدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ، وَلَكِنْ تَأَخَّرَ طَوِيلًا. أَمَّا الرَّسَالَةُ فَهِيَ: إِنَّ ذَا النَّفْسِ الْمُنْتَفِخَةِ غَيْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ مَصِيرُهُ الْهَلَاكُ، أَمَّا الْبَارُّ فَبِالْإِيمَانِ يَحْيَا. وَكَمَا أَنَّ الْخُمْرَ غَادِرَةٌ، كَذَلِكَ تَأْخُذُ الْمَغْتَرَّ نَشْوَةَ الْإِنْتِصَارِ فَلَا يَسْتَكِينُ، فَإِنَّ جَشَعَهُ فِي سَاعَةِ الْهَآوِيَةِ، وَهُوَ كَالْمَوْتِ لَا يَشْبَعُ. هَذَا يَجْمَعُ لِنَفْسِهِ كُلَّ الْأُمَمِ، وَيَسْبِي جَمِيعَ الشُّعُوبِ».^(٤)

١ - جاماسب نامه: ص ١٢١.

٢ - المصدر السابق: ص ١٠٧.

٣ - كتاب زند، راجع كتاب: او خواهد آمد لعلی أكبر مهدي پور: ص ١٠٦.

٤ - كتاب حيقوق النبي، فصل ٢، الآيات ٣ و ٥.

«وَوَضَعَهُ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: سَأُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ لِذُرِّيَّتِكَ»^(١).
 «وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْمَلَاكُ مِيخَائِيلُ
 حَارِسُ شَعْبِكَ، وَذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ ضَيْقٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثِيلٌ مُنْذُ أَنْ وُجِدَتْ
 أُمَّةٌ حَتَّى ذَلِكَ الزَّمَانِ. غَيْرَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ اسْمُهُ مُدَوَّنًا فِي
 الْكِتَابِ مِنْ شَعْبِكَ يَنْجُو فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ. وَيَسْتَيْقِظُ كَثِيرُونَ مِنْ
 الْأَمْوَاتِ الْمَدْفُونِينَ فِي تُرَابِ الْأَرْضِ، بَعْضُهُمْ لِيُثَابُوا بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ
 وَبَعْضُهُمْ لِيُسَامُوا ذُلَّ الْعَارِ وَالْأَزْدِرَاءِ إِلَى الْأَبَدِ. وَيُضِيءُ الْحُكَمَاءُ (أَيُّ شَعْبِ
 اللَّهِ) كَضِيَاءِ الْجَلْدِ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ يَشْعُونَ كَالْكُوكَبِ
 إِلَى مَدَى الدَّهْرِ. أَمَّا أَنْتَ يَا دَانِيَالُ فَانْتُمْ الْكَلَامَ، وَاخْتِمَ عَلَى الْكِتَابِ إِلَى
 مِيعَادِ النِّهَايَةِ. وَكَثِيرُونَ يَطُوفُونَ فِي الْأَرْضِ، وَتَزْدَادُ الْمَعْرِفَةُ»^(٢).

« ٢- وَيَحْدُثُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ، أَنَّ جَبَلَ هَيْكَلِ الرَّبِّ يُصْبِحُ أَسْمَى مِنْ كُلِّ
 الْجِبَالِ، وَيَعْلُو فَوْقَ كُلِّ التَّلَالِ، فَتَوَافِدُ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْأُمَمِ. ٣- وَتُقْبَلُ شُعُوبٌ
 كَثِيرَةٌ، وَتَقُولُ: تَعَالَوْا لِنَذْهَبْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلَهٍ يَعْقُوبَ، فَيَعْلَمَنَا
 طُرُقَهُ، وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ، ... فَيَقْضِي بَيْنَ الْأُمَمِ وَيَحْكُمُ بَيْنَ الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ،
 فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ مَحَارِيثَ وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ، وَلَا تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا،
 وَلَا يَتَدَرَّبُونَ عَلَى الْحَرْبِ فِيمَا بَعْدُ»^(٣).

المستقبلية الإيجابية في مزامير داوود:

جاء في المزامير:

«لَأَنَّ فَاعِلِي الشَّرِّ يُسْتَأْصَلُونَ. أَمَّا مُنْتَظِرُو الرَّبِّ فَيَأْتِيهِمْ يَرِثُونَ خَيْرَاتٍ

١- سفر التكوين، الفصل ١٢، الآية ٧.

٢- سفر دانيال النبي، الفصل ١٢، الآية ١-٥.

٣- سفر أشعيا، الباب ٢، الآية ٢-٤.

الأرض. فعَمَّا قَلِيلٍ (يَنْقَرِضُ) الشَّرِيرُ، إِذْ تَطْلُبُهُ وَلَا تَجِدُهُ. أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِفَيْضِ السَّلَامِ... لِأَنَّ سَوَاعِدَ الْأَشْرَارِ سَتَكْسُرُ، أَمَّا الْأَبْرَارُ فَالرَّبُّ يَسْنِدُهُمْ. الرَّبُّ عَلِيمٌ بِأَيَّامِ الْكَامِلِينَ، وَمِيرَاتُهُمْ يَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ»^(١).

«فَالَّذِينَ يُبَارِكُهُمُ الرَّبُّ يَرِثُونَ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَالَّذِينَ يَلْعَنُهُمْ يُسْتَأْصَلُونَ... الصَّادِقُونَ يَرِثُونَ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَيَسْكُنُونَ فِيهَا إِلَى الْأَبَدِ»^(٢).

المستقبلية الإيجابية في مصادر المسيحية:

جاء في الإنجيل:

«١- هُوَ ذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضَدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي ابْتَهَجْتُ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ لِيَسُوسَ الْأُمَّمَ بِالْعَدْلِ. ٢- لَا يَصِيحُ وَلَا يَصْرُخُ وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فِي الطَّرِيقِ. ٣- لَا يَكْسِرُ قَصَبَةً مَرُوضَةً، وَفَتِيلَةً مُدَخَّنَةً لَا يُطْفِئُ. إِنَّمَا بِأَمَانَةٍ يُجْرِي عَدْلًا. ٤- لَا يَكِلُّ وَلَا تُثَبِّطُ لَهُ هِمَّةٌ حَتَّى يُرْسَخَ الْعَدْلُ فِي الْأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ»^(٣).

«لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغرب، هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان... وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد

١ - كتاب المزامير، المزمور ٣٧، الآيات ٩-١٢ و ١٧-١٨.

٢ - كتاب المزامير، المزمور ٢٧، الآيات ٢٢-٢٩.

٣ - سفر أشعيا، ٤٢.

كثير... وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان... اسهروا إذا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم... لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين؛ لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان»^(١).

المستقبلية الإيجابية في كتب الهندوس المقدسة:

[بعد دمار العالم، سيظهر ملك في آخر الزمان يكون زعيم الخلائق، اسمه منصور، يهيمن على جميع العالم، ويدخلهم شريعته]^(٢).
[عندما ينتهي النهار، سيتجدد العالم العتيق، ويحيا ويظهر مالك الملك الجديد من أبناء زعمي العالم، أحدهما ناموس آخر الزمان والآخر - وكبيره حتى - المسمى بشن، وسيكون اسم هذا المالك الجديد «الهادي إلى السبيل» وسيصبح ملكاً حقاً، وخليفة «رام» وسيظهر معاجز كثيرة]^(٣).

[ستنتهي دورة الحياة بملك عادل في آخر الزمان، وسيصبح زعيم الملائكة والجن والإنس، سيكون الحق والحقيقة إلى جانبه، ويمتلك ما يختفي في البحار والأرض والجبال، سيمتلك الجميع، ويخبر عما هو موجود في السماوات والأرض، ولم يأت أحد بكبريائه]^(٤).

المستقبلية الإيجابية في المصادر الإسلامية:

إن المصادر الإسلامية النقلية تتكوّن من القرآن والسنة، ويستشف المسلمون غالبية تعاليمهم الدينية من هذين المصدرين. والمستقبلية الإيجابية من ضمن هذه التعاليم وتمتاز بموقع هام بينها. إن مبدأ المهديوية عقيدة

١ - إنجيل متى، الفصل ٢٤، الآيات ٢٧ و ٣٠ و ٣٥ و ٣٧ و ٤٥.

٢ - مهدي انقلابي بزرگ لناصر مكارم الشيرازي: ص ٥٤.

٣ - مقدس (پاتیکل) راجع المصدر السابق.

٤ - مقدس (باسک) راجع كتاب: او خواهد آمد لعلي أكبر مهدي پور: ص ١٠٢.

تقدّم التصوّر الإسلامي عن المستقبلية الإيجابية. ولأنّ الإسلام هو آخر وأكمل الديانات وأشملها، فعليه الإجابة على كافة المشاكل والهواجس البشرية. وكما قلنا سابقاً: إنّ جهل البشر بمستقبله يشكّل أهم موارد قلقه وشغله الشاغل. فهل تنتظره السعادة والرخاء؟، أو سيواجه الشقاء والمأساة؟، ويستطيع الدين من حيث موقعه في إيجاد العلاقة بين الإنسان والماوراء، الإجابة على هذا القلق المتزايد وهداية الإنسان نحو شاطئ الأمان. ومن هذا المنطلق تصدّى الإسلام لهذه المسؤولية الهامة، وبعث الأمل في الإنسان نحو مستقبله ومصيره، وقدّم مبدأ المهدوية كرمز للمستقبل الإيجابي للمجتمعات البشرية كافة. وما يميّز مستقبلية الإسلام عن مستقبلية باقي الديانات هو: إضافة على تقديم المهدوية العام كنموذج للمستقبل الإيجابي، بيان التفاصيل عن هذا المبدأ، وتقديم تعاليم واضحة ومعقولة عنه.

فالإسلام قام بتعريف صحيح وواضح عن المستقبلية ومبدأ المهدوية، والأهم من ذلك حدّد مصداق المنجي الموعود الحي والحاضر في هذه الدنيا، وإشرافه على أعمال البشر وأقواله، وبهذا فقد غير الإسلام مسار المستقبلية من موقع عقلي نظري (فكرة مطلقة) نحو موقع عقلي عملي (المدينة المهدوية الفاضلة)، وأعطاهما طابعاً تطبيقياً عملياً يمكن أن تستخدمه المجتمعات البشرية كافة.

نماذج من المستقبلية الإيجابية في القرآن:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ

١- الأنبياء: ١٠٥.

٢- الأعراف: ١٢٨.

نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١١﴾.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (١٢).

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (١٣).

إن هذه الآيات نماذج من الآيات التي ترسم ملامح الغد البشري المشرق والواعد ومصيره التاريخي. وقد أحصت بعض الكتب المختصة في الشأن المهدي ما يتجاوز المئة آية في القرآن الكريم تحدت بإيجابية عن هذا المستقبل الزاهر، وذهب بعض المؤلفين إلى أنها تتخطى ذلك نحو المأتين. ونحن في هذا المقال استندنا من بين هذه الآيات الكثيرة، إلى عدد محدد منها بغية إيصال الفكرة. إن هذه الآيات تحتوي على نقاط هامة نشير في ما يلي إليها:

١. تدلُّ بعض كلمات الآيات على حتمية المصير المضيء للتاريخ البشري وقطعية وقوعه؛ كـ ﴿لَقَدْ كَتَبْنَا﴾. إنها تدلُّ على حتمية الوقوع كما تظهر كلمات الآية الأخرى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾؛ فهي تعبر عن إرادة الله في المنة على المستضعفين في جعلهم أئمة وحكاماً للأرض. ولن يتخلف الوعد الإلهي إذا ترافق مع الامتنان.

و تدلُّ عبارة ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ أيضاً عن الحتمية لأن المستقبل المشرق يتحقق في ظل حكم المستضعفين والصالحين، وهو وعد إلهي محقق؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول في مكانٍ آخر من آيات الذكر الحكيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

١ - القصص: ٥.

٢ - النور: ٥٥.

٣ - الأنفال: ٣٩.

مُخْلِيفُ المِيعَادِ^(١).

٢. وتدل عبارة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ...﴾ أن المستقبلية كانت حاضرة منذ القدم في ملّة إسرائيل، وبشّر الله أتباع الديانات السماوية كافة بمجيء ذلك اليوم الموعود، والمستقبل الباهر.

٣. وتدل كلمة ﴿الأرض﴾ أن المستقبل المشرق والمجتمع المثالي سيتحقق على أرجاء المعمورة كافة، واستخدام لفظ ﴿الأرض﴾ يعني الشمول والعموم بصورة مطلقة؛ أي بمعنى تحقق المجتمع الموعود بصورة شاملة وعامة.

نماذج من المستقبلية الإيجابية في الأحاديث والروايات:

١. ممّا لا شكّ فيه أنّ المهدويّة تشكّل معتقداً أصيلاً ذات موقع هام بين مبتنيات المسلمين الإيمانية. وقد وردت في هذا المجال روايات كثيرة من النبيّ الأكرم وأهل بيته الاطهار عليهم السلام. وقد بلغت هذه الروايات حداً من الكثرة بحيث ادّعى بعض الباحثين والمختصّين في مجال الابحاث المهدوية على إثره بتواترها، وأحصى ما يتجاوز الألفي رواية في هذا المجال.^(٢) ولأنّ مبدأ المهدوية يمثّل رمزاً للمستقبلية الإيجابية المضيئة، فقد جاءت جميع الروايات الواردة عن المهدوية في كتب الحديث بموازاة هذه المستقبلية والغد السعيد. ونظراً لكثرة وزيادة هذه الروايات نكتفي بذكر عدد منها بما يتناسب ومجال هذا المقال: قال الرسول الأكرم: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج».^(٣)

١ - آل عمران: ٩.

٢ - سيماى حضرت مهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف در قرآن للسيدهاشم الحسيني البحراني، ترجمة مهدي حائري قزويني.

٣ - راجع: منتخب الأثرلصافي الكلپايگاني.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: « انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإن أحب الأعمال إلى الله عزوجل انتظار الفرج ».^(١)

وقال الإمام الصادق عليه السلام: « ... إذا افتقدوا حجة الله عزوجل فلم يظهر لهم ولم يعلموا بمكانه وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجج الله عنهم وبيناته، فعندها توقعوا الفرج صباحاً ومساءً ».^(٢)

إذاً، ففكرة ظهور المنقذ الكبير، وتحقق المجتمع المثالي، وشفافية مستقبل التاريخ، إيمان تشترك به الديانات الإبراهيمية الثلاث، وقسم كبير من سائر الأمم.

إن اليهود كالنصارى الذين يؤمنون بعودة المسيح عليه السلام يعتقدون بظهور المنقذ، وكما الزرداشتية تنتظر عودة بهرام شاه النصارى الأحباش ينتظرون ظهور ملكهم « ثيودور » الموعود. وتتأمل الهندوس خروج « ويشنو »، وتؤمن المجوس بحياة « هوشيدر »، ويعيش البوذيون على أمل عودة « بوذا » ويترقب الإسبان كبيرهم « رودريك »، ويعتبر المغول جنكيز خان منقذهم الأكبر. وهناك دلالات كثيرة في النصوص القديمة بين المصريين وأهالي الصين تشير إلى فكرة ظهور المنقذ ».^(٣)

وجهة نظر النوابغ والنخب العلمية:

وبعدما انتهينا من مقصودنا في البرهنة على أن المستقبلية فكرة شاملة وعمامة يؤيدها أتباع الديانات الإبراهيمية وغالبية الديانات غير الإبراهيمية والأمم الأخرى، نأتي إلى بيان ما ورد على لسان بعض النوابغ والنخب العلمية عن مستقبل التاريخ البشري المشرق: لقد أكد هؤلاء الفلاسفة

١ - تحف العقول للحراني: ص ٣٧؛ بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٢.

٢ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٣.

٣ - المهديّة في الإسلام للسيد محمد حسين: ص ٤٣؛ الإمامة وقيام القيامة لغالب مصطفى: ص ٢٧٠.

والمفكرون المدرجة أسماؤهم أدناه على إيجابية المستقبل البشري، وتطلعوا لمستقبل تاريخي جيد للبشرية: أفلاطون^(١)، بوليبيوس^(٢)، أرسطو^(٣)، القديس أغوستينوس^(٤)، الفارابي^(٥)، ابن خلدون^(٦)، كانط^(٧)، ابن سينا^(٨)، ابن رشد^(٩)، شيلينج^(١٠)، فخته^(١١)، فيكو^(١٢)، هيردر^(١٣)، هيجل^(١٤)، ماركس^(١٥)، صدرالدين الشيرازي^(١٦)، أبو الحسن عامر^(١٧)، أرنولد توينبي^(١٨)، ويل ديورانت^(١٩)، صمويل هانتنغتون^(٢٠)، بيتيريم سوروكن^(٢١)، كارل ياسبرس^(٢٢)، العلامة الطباطبائي^(٢٣)، والشهيد مطهري^(٢٤) و...

- ١ - الفيلسوف الأغرقي الكبير (٣٤٧-٤٢٧ ق.م) وواضع أطروحة الطوباوية أو المدينة الفاضلة.
- ٢ - Polybius، المؤرخ اليوناني الكبير (١٢٠-٢٠١ ق.م).
- ٣ - Aristotle، الفيلسوف اليوناني الكبير (٣٢٢-٣٨٥ ق.م).
- ٤ - Augustine، القديس المسيحي الكبير (٣٥٤-٣٤٠ م).
- ٥ - الفارابي في كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة وسياسة المدينة وتحصيل السعادة وحصول المدنية.
- ٦ - ابن خلدون، العالم الإجتماعي المسلم، (١٣٢٢-١٤٠٦ م) (٧٣٢-٨٠٨ هـ.ق).
- ٧ - Kant، الفيلسوف الألماني الكبير (١٧٢٤-١٨٠٤ م).
- ٨ - ابن سينا، الفيلسوف الإسلامي الكبير.
- ٩ - ابن رشد، الفيلسوف الإسلامي الكبير، شارح كتاب الجمهور لأفلاطون.
- ١٠ - Schelling، الفيلسوف الألماني (١٧٧٥-١٨٤٥ م).
- ١١ - Fichte، الفيلسوف الألماني (١٧٢٦-١٨١٤ م).
- ١٢ - Vico، الفيلسوف الإيطالي (١٦٦٨-١٧٦٦ م).
- ١٣ - Herder، فيلسوف ألماني (١٧٤٤-١٨٠٣ م).
- ١٤ - Hegel، الفيلسوف الألماني الكبير.
- ١٥ - Marx، الفيلسوف والاجتماعي الألماني (١٨١٨-١٨٨٣ م).
- ١٦ - الملا صدرا (محمد الشيرازي) الفيلسوف الإسلامي الكبير.
- ١٧ - أبو الحسن عامر، صاحب كتاب <السعادة والإسعاد>.
- ١٨ - Toynbee، الفيلسوف الألماني (١٨٨٩-١٩٨٥ م) صاحب كتاب <المورخ والتاريخ>.
- ١٩ - Durant، الفيلسوف الأميركي، صاحب كتاب <قصة الحضارة> وكتاب <تاريخ الفلسفة>.
- ٢٠ - Huntington، المنظر الأميركي صاحب نظرية صدام الحضارات.
- ٢١ - Sorokin، العالم الاجتماعي الروسي ومؤلف كتاب <نظريات العلماء الاجتماعية وفلسفات التاريخ الحديثة>.
- ٢٢ - Jaspers، الفيلسوف الألماني (١٨٨٣-١٩٦٩ م) ومؤلف كتاب <بداية التاريخ ونهايته>.
- ٢٣ - العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الفيلسوف والمفسر الإسلامي الكبير.

وبعد بيان أسماء من تطلّع إلى المستقبل الإيجابي من العلماء والمفكرين، نشير إلى آراء ووجهات نظر بعضهم وما تحدّثوا عنه في هذا المجال الشيق: إن فلسفة التاريخ في فكر هيجل تشكّل جزءاً من فلسفة الروح. ويرى هيجل للتاريخ روحاً أو عقلاً يرشده نحو الغاية. وحسب رؤيته فإنّ فيلسوف التاريخ يبحث عن معنى أسمى، وهو: التكهن والحدس حول مفهومات التيارات التاريخية وغايتها. ويعتقد هيجل متبعاً آراء كانط وهيردر أنّ الشعوب والأمم المختلفة هي التي تحرّك عجلة التاريخ نحو الإمام.^(١) ومن دون شكّ لو اعتبرنا للتاريخ قصداً وغاية، فحينئذٍ يجب اعتبار مجموعة التاريخ بكاملها وحدة حقيقية متماسكة ومنسجمة، تمتلك روحاً وعقلاً مدبراً، يحدّد مسارها، ويمنعها من الخروج عن المسار السويّ، لينتهي بها إلى الغاية المنظورة والهدف المقصود.

ولقد بين كانط (١٧٢٤ - ١٨٠٤ م) فكرة التقدّم في التاريخ، ووفق رؤيته فإنّ الأحداث التاريخية من خلال توفير التقدّم تحقق للجنس البشري ما يعتبره غاية، وبهذا يسعى الناس إلى جانب تأمين غاياتهم الشخصية، نحو المساعدة في تحقيق هذه الغاية. ويبدو أنّ قانون الطبيعة يوجّه كافة أعمالهم نحو هذه الغايات وخلافاً لرغبتهم؛ كأنّ العقل يتحايل بطريقة ما، ليرشد الإنسان نحو ما يقتضيه وليس نحو ما يريد الإنسان.

إنّ الجنس البشري من شعوب وأمم يتصوّر أنّه يسعى وراء غايته الخاصّة وفق رغبته وما تمليه عليه، ولربما بخلاف رغبات الآخرين، بيد أنّ ما يحصل هو عكس ذلك، فهو يمشي - من حيث لا يشعر وفق خارطة الطريق التي رسمتها له الطبيعة. إن هذه الخارطة التي لا يعلم البشر - بوجودها تحدّد مساره، وتوجّهه بوصلة أعماله وكافة ما يقوم به نحو ما

⇒

١ - العلامة الشهيد مرتضى مطهري، الفيلسوف الإسلامي الكبير.

٢ - والش ديبيل، مقدمه اي بر فلسفه تاريخ، مترجم ضياء الدين علايي طباطبائي (منشورات أميركبير): ص ١٥٧.

رسمته مسبقاً؛ في حين لو اطلع البشر على هذه الخارطة ووجهتها لتمرّد عنها، وأبدى انزعاجه من تحقيقها. ويذكر كانت أنّ الإنسان ليس حيواناً ليعمل وفق الغريزة.

ويبدو أنّ تاريخ الإنسان لا يمكن أن يكون مشابهاً لتاريخ النحل المنظم. فحياة الإنسان وتاريخه لا يمكن أن تسير بوتيرة منتظمة وفق قاعدة خاصّة، اللهم إلا لو حضرت الخارطة والغاية. والموافقة على هذا الرأي تعني الموافقة على فكرة الغائية التي يصرّ عليها كانت. وبما أنّ سني حياة الإنسان قصيرة ومعدودة، ولا تكفي حياة الإنسان لتحقيق هذه الغائية، يوكل كانط تحقيقها إلى حياة الجنس البشري عبر تلاحق الأجيال. وبهذا يحصل تقدّم الإنسانية في مسار الكمال من خلال الأجيال المتلاحقة واللامتناهية ويتحقّق الكمال بواسطة الجنس وليس الأفراد.^(١)

وهناك مبداءان في فلسفة كانت يتسببان في تقدّم الإنسان، هما: مبدأ العقل، ومبدأ الحرية. فالعقل يسوق الإنسان نحو الحياة الاجتماعية والتعايش السلمي مع أبناء جنسه، والحرية تذهب بالإنسان نحو الأناية والمصلحية وإشباع الرغبات الغريزية والفردية.

وبعبارة أخرى: يميل الإنسان من حيث العقل إلى المجتمع ويصبح اجتماعياً، بينما يفرّ من المجتمع من حيث الحرية، ويبحث عن الفردنة والحرية المطلقة والهروب من المجتمع. إنّ الطبيعة وحسب تعبير كانت، هي التي أودعت هذين المبدئين المتعارضين المتباينين في وجود الإنسان وهما بالرغم من هذا التعارض والتباين، يسببان التحرك في وجوده ويسوقانه نحو التقدّم والكمال. إنّ رأي كانت حول تحقّق التقدّم بواسطة الجنس البشري وليس الأشخاص، واجه معارضة شديدة ورفضاً قاطعاً من قبل هيردر؛ لأنّ الجنس الإنساني كما يقول هذا الأخير إمّا أن يأتي بتلاحق

١ - تاريخ در ترازو لعبدالحسين زرّين كوب (منشورات اميركبير): ص ٢١٥.

الأجيال الإنسانية، وإمّا أن يكون تصوّراً عاماً لا يوجد إزاءه شيء في الخارج. وكانت بإقراره بهذا المبدأ إنما وقع في فخّ فلسفة ابن رشد.^(١) ويتوصّل كل من هيردر وهيغل بنتيجة مفادها إنّ الغاية والهدف من سير التاريخ وتحققه يكمن في أمر قرّره الله للعالم، لينتهي الاثنان بهذا الرأي الواحد إلى حكمة الله البالغة ومشيته الحكيمة.^(٢)

والقدّيس أغوستيوس (٤٣٠ - ٣٥٤م) وصف مسار التاريخ في رسالته الشهيرة (مدينة الله) بمثابة صراع بين ملكوت الأرض وملكوت السماء. والدولة والكنيسة يمثلان هذان الملكوتان تقريباً، وستكون الغلبة النهائية حليفة ملكوت السماء.

ويبدو وفق هذه الرؤية بأنّ غاية التاريخ ومعناه سيبقى خارج حلبة الأحداث والوقائع، ويكون عبارة عن تحقّق المشيئة الربّانية. وكان هذا الرأي مقبولاً بين المؤرخين والفلاسفة الأوروبيين بعد مضيّ ألف عام من حياة القدّيس أغوستيوس، حتّى أنّ بسوت (١٧٠٤ - ١٦٢٧م) الفيلسوف الفرنسي في القرن السابع عشر عبّر عن التاريخ بتحقّق العناية والمشيئة الربّانية، متأثراً بذلك من الرؤية اليهودية للتاريخ والرأي الغالب في الكنيسة المسيحية.^(٣)

كما قال بعض المفكرين والفلاسفة كالعلامة الطباطبائي بمستقبل البشر المشرق والمشمس في إطار الهداية العامّة الكونية التي تسمو بالإنسان نحو الكمال والمستقبل المتكامل:

[إنّ حبة القمح التي توضع في باطن التراب تحت ظروف مناسبة، تبدأ

١ - المصدر السابق: ص ٢١٨.

٢ - المصدر السابق: ص ٢١٩.

٣ - المصدر السابق: ص ٢٠٠.

بالنمو حتى تسلك طريق التطور، فهي في كل لحظة تتخذ صورة وحالة جديدة، وتسلك سبيلاً منظماً بترتيب محدد، لتصبح شجيرة كاملة تحتوي على سنابل القمح. كذلك النطفة الحيوانية لو وضعت في رحم الأم لبدأت في التكامل، وتسير سيراً محدداً يختص بذلك الحيوان.

إن هذا السبيل المحدد والسير المنتظم موجود في كل أنواع الخلق التي يمكن ملاحظتها في هذا العالم وفي مصير ذلك النوع. ومن البديهي أن النوع الإنساني لم يستثن عن هذه القاعدة العامة وتهمين عليه نفس الهداية التكوينية المهيمنة على باقي أنواع الخلق. وبما أن كل خلق يسير برصيده الشخصي نحو الكمال ويهتدي إليه، يهتدي الإنسان أيضاً بالهداية التكوينية نحو كماله الحقيقي^١.

كما يقول الفيلسوف المعاصر الشهيد مرتضى مطهري عن غائية التاريخ والتكامل البشري والمجتمعات البشرية ما يلي:

[هل المجتمع الإنساني الذي يسير نحو التكامل، يتضمّن غاية ويتوجّه صوب الكمال؟، فالطبيعة تسير نحو التكامل ولو مالت عن الطريق واتخذت مساراً غير سالك تعود إلى التعادل، فهي تميل يميناً وتعود لتتعادل، وتميل شمالاً وتعود لتتعادل. وبالرغم من هذا الالتواء الذي تواجهه في مسارها إلا أنّها في النهاية تسير نحو غايتها التكاملية. فهل المجتمع يواجه نفس الحالة؟، إن العلماء المتأهّين يعتقدون بذلك، ومن غير الإلهيين يتبنّى هيجل - والذي كان معتقداً بالروح المطلقة - هذا الرأي أيضاً. إن ما تتفق عليه الديانات كافة، وتتطلع إلى ظهور الإمام الحجة والاستقرار الكامل للعدل والسلام والرخاء والأمن والصحة، هو توقع

١ - شيعه در اسلام للسيد محمد حسين الطباطبائي (طبعة مكتب الإعلام الإسلامي - قم): ص ١٣٤.

التاريخ وكمال البشر؛ ويعني أن الحياة البشرية في المستقبل تبلغ أسمى وأكمل فترات التاريخية. وهذه الفترة التاريخية المتألقة انعكاساتها على الإنسان والطبيعة؛ فتم المصالحة ما بينهما، وتجود الأرض بما تخفيه في باطنها، وتنزل السماء بركاتها مدراراً، وهذا كله يعني تكامل التاريخ.^(١)

المستقبلية السلبية:

في الرؤية السلبية، يخيم السواد والعتمة واليأس والقنوط على الإنسان والمجتمعات الإنسانية. إن هذه الرؤية السلبية تأتي ممن لا يؤمنون بالغيب والميتافيزيقيا، وينظرون إلى العالم والعالمين بمنظر المادية المجردة. وقد أساء بعض فلاسفة الفلسفة المادية الظن بالإنسان والعالم؛ فيرون العالم على العموم أمراً مفروضاً غير مرغوب فيه، والإنسان من بين مخلوقاته موجوداً شراً مكبلاً بمجموعة من الغرائز الحقيرة والدنيئة، لا يصدر منه غير الشرّ والسوء. وبعبارة أخرى: يعتقدون أن العالم شرّ، والإنسان على وجه الخصوص أكثر الكائنات على وجهها شراً وسوءاً.^(٢)

إن الإنسان بطبيعته بؤرة لكثير من الرذائل الأخلاقية كالكبر والأنانية والغضب والسلطة واستغلال الآخرين وكثير من المثالب الأخرى. ومنذ أن وطأت قدماه الأرض، رافقته هذه الصفات السيئة ولم تفارقه وستبقى معه في المستقبل.

ومن جانب آخر يتصاعد الصراع والخلاف بين الناس يوماً بعد يوم على إثر الفوارق الثقافية والعنصرية والإقليمية، وسترفع وتيرة الأزمات وتزداد الهوة بين الناس. فمما لا شك فيه أن لو جمعنا بين هذه الأسباب، لكانت النتيجة القضاء على الجنس البشري والمجتمعات الإنسانية

١ - مجموعه آثار لمرتضى المطهرى: ج ١٥، ص ١٧٨.

٢ - المصدر السابق: ص ٩٩٩.

وانعدامها.

وتفصيلاً على ما أوردناه في بيان منطلق المستقبلية السلبية نضيف أن هناك سببين رئيسيين يعينان على هذا التوجّه السلبي: أحدهما: سبب ذاتي ينمّ عنه بطبيعة الإنسان العاتية المتغترسة. وثانيهما: سبب خارجي يعبر عنه بالأيدولوجية، أو الرؤية الكونية عن الإنسان والعالم.

طبيعة الإنسان (الجانب الحيواني للإنسان):

إنّ الإنسان كائن ذو بُعدين؛ المادي والمعنوي، ولكلاهما رغبات ومطالب. وعند التدقيق حول جوانب الإنسان الوجودية، ودراسة الرغبات والمطالب الخاصّة به نطلع على وجوه التباين والتضاد ما بينها. فللجانب المادي للإنسان رغبات وميول تعارض توجّهات جانبه المعنوي، وعلى العكس من ذلك، فرغبات الجانب المعنوي تتقابل مع ما يهواه الجانب المادي، وقد سبّب هذا التباين صراعاً وسجالاً دائماً بين أبعاد الإنسان الوجودية. وللإنسان صفات من جانبه المادي، أو ما يسمى أيضاً بالجانب الحيواني، وهو يمتلك قوّة الغضب والكبر والاستكبار والظلم والتمادي والأنانية والاستبداد وغيرها من السمات والصفات الأخرى.

ومن البديهي أن يصطكّ الإنسان الممتلك لهذه الصفات مع الآخرين؛ لأنّ الإمكانيات المحدودة والمتوفّرة إلى جانب تمادي الإنسان ونزعتة النفعية تجعل الصراع بينه وبين أبناء جنسه قائماً بشكل مستمر وقطعي. ولم تنخفض حدّة هذا الصراع في أيّ فترة من فترات التاريخ، وستبقى كذلك في المستقبل، لتنتهي بانهيار الجنس البشري وهلاكه واضمحلاله.

ويمكن أن يتصوّر البعض أنّ الأخطار التي تهدّد الجنس البشري بالزوال ناتجة عن جهله وطيشه، وكلّما تقدّم مسار التاريخ كلّما ازداد هذا

الظلم الجهول علماً ومعرفةً تقوده نحو التقدّم والكمال. فمع تقدّم العلوم المختلفة وتراجع الجهل والغباء تزول الأخطار التي تحدى بمصير البشر. ونقول في الجواب: إنه من الخطأ التصوّر بأنّ الجهل هو مصدر انحراف البشر الدائم. فقد بحث علماء الأخلاق والتربية باستمرار عن مصدر هذا الانحراف، وتساءلوا: هل الجهل هو المصدر الوحيد لانحراف الإنسان كي يكفي لمعالجته إخضاعه للتعليم؟، أو يشكّل الجهل أحد مصادر الانحراف - وغالبيتها تأتي من الغرائز والرغبات - الخارجة عن نطاق السيطرة؟ ولا شكّ أنّ الوضع البشري في عالمنا المعاصر يقدم أفضل إجابة على هذا التساؤل؛ فنلاحظ اليوم وفي عصر اشتهر - بما يزعم بعصر العلم والمعرفة - هيمنة الشهوات والغضب والأطماع والتعالي والأنانية والنفعية، وأخيراً الظلم والجور على العلاقات البشرية. فهل تمّ كبح جماح هذه الرغبات والسيطرة عليها في ظلّ التقدّم العلمي ليحلّ بدلها العدل والتقوى والصدق والصفاء أو على العكس من ذلك غرست هذه الغرائز مخالفاً في جسد الحضارة الإنسانية وتضاعفت حدّتها وهيمنتها أكثر من السابق؟، فالعلم والفن قد أصبحا آلية بيد هذه الغرائز، وملاك العلم صار عبداً لشیطان الشهوات.

ومن المستبعد التردد في قبول هذا الرأي بأنّ التطوّرات العلمية لم تترك أيّ تأثير إيجابي على إصلاح غرائز البشر العاتية. ولم تقف الأمور عند هذا الحدّ، بل ازدادت سوءاً، وأصبح البشر أكثر طغياناً، وغرائزه أشدّ ضراوةً واشتعالاً لاستخدامه العلم والفن حيث صار أكبر أعداء الحضارة البشرية.

وجاء في كتاب «تاريخ در ترازو / التاريخ في الميزان» في معرض الإجابة عن هذا السؤال ما يلي:

لقد أجاب الفائز بجائزة اختراع أكاديمية «فيجون» لعام ١٩٧٤م على السؤال التالي: هل ساعد تطوّر العلم والصناعات في تحسين الأخلاق أو

سبب في تفاقمها بقوة بلاغته؟، وحاول الإيحاء بأن مضار التطور العلمي أكثر من نفعه، وقال: إن الحضارة والآداب الاجتماعية ضرب من ضروب الرياء والنفاق، والعلوم والصناعات وليدة الرذائل والمفاسد الإنسانية؛ فعلم الهيئة وليد نزعة الناس الخرافية، والهندسة نتيجة ضيق الرؤية ومحدودية الأفق. وأضاف أن تطور وتكامل العلوم هيأ الأجواء إلى نشر- الرذائل الروحية كالكسل والترف وغيرها من الرذائل...^(١).

إذن، نستطيع القول - ونتيجة لما أوردناه في السطور السابقة - : إن سمات جانب الإنسان المادي أو الحيواني شهدت ارتفاعاً ملحوظاً ومطرداً خلال مسار التاريخ الإنساني، ولم تخف وتيرتها، بل ازدادت بتطور العلوم والفنون، وقد وفر التقدم العلمي أجواء وآليات جديدة وبديعة تساعد على اشتعال ضرام الغرائز النفسانية، وتصاعد حدتها. ولا شك - وبالنظر إلى التجارب التاريخية السابقة - أن الوضع سيزداد سوءاً وسرعةً وتدهوراً في المستقبل، ليمضي بالبشر نحو الهاوية والهلاك.

رؤية الإنسان الكونية:

إن الرؤية الكونية - والتي تحدّد رؤية الإنسان إلى العالم، وعلاقة العالم بالإنسان - تشكل أحد ركائز الأيديولوجية. وللمستقبلية نصيب في الرؤية الكونية. فلو كانت الرؤية الكونية سليمة، لأصبحت الأيديولوجية سليمة أيضاً. وبالأيديولوجية السليمة يمكن تقييم مستقبل إيجابي. والرؤية الكونية على قسمين: المادية، والإلهية (التوحيدية).

وفي الرؤية الكونية الإلهية هناك اعتقاد بخالق وعالم للغيب، أو الميتافيزيقيا إلى جانب الإنسان والعالم وعلاقتها ببعض.

وفي الحقيقة - ووفقاً لهذه الرؤية - هناك علاقة لمكونات ثلاثة: الخالق،

العالم والإنسان؛ وهذا يعني: بأنه لا يمكن تفسير التاريخ ومستقبل البشر- بعلاقة المكوّنين الإنسان والعالم، بل إنّ هناك مكوّناً آخر، وهو الخالق البارئ الذي يفوق كل شيء وعالم غيبه، وهو الذي يدير العالم، ويدبّر أمره، وله الدور المؤثر فيه. بينما في الرؤية الكونية المادية تكون علاقة الإنسان بالعالم بصورة أفقية؛ ويعني: أنّ تفسير الإنسان للعالم والمستقبل لا يتجاوز نطاق الشعور والتجربة، ويعترف بما كان ملموساً وخاضعاً للتجربة، ويقصي دون ذلك ما هو موجود في نطاق الميتافيزيقيا والماوراء إلى خارج دائرة العلم والمعرفة ولا يعترف به.

ولو نظر الإنسان للعالم بهذه النظرة المادية أو المذهب المادي المتربالي، ستحدّد أيديولوجيته وفق هذا السلوك أيضاً، وعلى هذا الأساس لو افترضنا العالم والإنسان دون وجود خالق ذو شعور، وقمنا بالمقابل بوصفه على غرار عوامل كالعنصر والثقافة والجنسية، والأهم من كلّ هذا بجانبه الحيواني وطبيعته المتمرّدة، فقد وقّعنا على وثيقة هلاكه واطمئنان الجنس البشري بأكمله.

المستقبلية الحاضرة:

بموازاة النظرية السلبية، توجد نظرية أخرى لا تتوقع مستقبلاً للإنسان، وتضعه في مرحلة النهاية. ولربّما بدت هذه النظرية أشدّ قسوةً وحادّةً من أختها؛ لأنّ النظرية الأولى تتوقع تحقّق مستقبل ما وإن كان يشوبه الظلام وتسوده السلبية، بينما تعتبر نظرية نهاية التاريخ أن لا وجود نهائياً لزمان يسمى المستقبل حتّى نحمله السلب أو الإيجاب، وإنّما ما هو موجود وعديم حسب رؤيتها يقع في الحاضر والوقت الحالي وليس خارج نطاقه. يقول «جون بودريا»: [التاريخ لا يبحث عن غاية، إنّها ليس متعالياً بعد،

ولا يتخطى نفسه. لم يعد للتاريخ مسار أو دياكتيكية تقوده نحو نهاية سعيدة وجيدة بكل ما تحتويه الكلمة من مضمون إيجابي. فالأشياء والأُمور تسير في كل الاتجاهات والوجهات، ولم يعد لها أي جهة ووجهة محدّدة. وهذا لا يعني انعدام الجهات بل تزامنها بشدّة ونشوء مسارات عدّة. إنّ هذا التحرك الموليكيولي للجهات والوجهات يسبّب لنا التباساً في معرفة الديمومة. وتبقى هذه الديمومة الحائرة غير المنتظمة ماثلة أمام الأعين فقط. فالإنسان يتبعها يعيش في الحاضر والعاجل المطروح، وهذا لم يعد تاريخاً بعد. فالإنسان يستهلك الأحداث مباشرة وتصبح الحياة أنّه حينما يمرّ من أمام أعيننا لكنّه لا يمكث في الذاكرة. فلا يتخذ شكل الماضي ولا يرمى إلى الإمام بصيغة المستقبل. وبالتالي لا وجود بعدها لتوجيه نحو المستقبل يقدم معنىً وطعماً للحياة.^(١)

ويقول «أي، إتش، كار» في كتابه تحت عنوان «ما هو التاريخ»: [يؤكد عنوان نهاية التاريخ في هذا التأليف على مرحلة وفصل من التاريخ (تاريخ العلم والفلسفة) الإنساني، وهي مرحلة يبدو فيها أنّ الإنسان والعالم يعيشون على حافة النهاية، والمعنوية، والقيم، ونهاية المسار نحو التعالي، ونهاية التاريخ، ونهاية كلّ هذه يعني نصب وتجريد الإنسان والعلم والعالم. وبهذا سيصل هذا الإنسان المسرحي الآلي المشلول المرتبك إلى نهاية المطاف والعدمية].^(٢)

واستقرّت رؤية البشر الحالي (الرؤية المتكوّنة حول المذهب الليبرالي) حول «الحاضر» وال«الآن». ووفق هذه الرؤية لا يوجد ماضٍ يمكن المحافظة عليه، ولا مستقبل يلوح في الأفق، وما هو موجود هو أنّ البشر-

١ - نقد عقل مدرن، لرامين جهانبگلو: ص ٨٧.

٢ - ما هو التاريخ لمؤلفه أي إتش كار: ص ١٦٢.

يتفهم الآخر عبر الوقت الحاضر والراهن، ويستجيب للآخر وفق هذا المبدأ، ولا يتصورون لما بعد الوقت الحاضر زماناً آخر. فهم ينظرون إلى الماضي بأنه مضي، كما يرون المستقبل موهوماً وضبابياً دون معيار. إنه سبيل وضعه عقل الإنسان الآلي أمام الجنس البشري الحاضر.

ويرجع الفكر الحالي والإنسان المعاصر، الإنسان الموجود على الإنسان اللاموجود، سواء على مستوى الماضي أو المستقبل. وقد وصل الإنسان في عالمنا المعاصر إلى مأزق وطريق مسدود بعد نفيه للهاوراء والميتافيزيقيا، وأصبح الإنسان الأخير إنساناً فاقداً للقيم وفاقداً لآية معايير لتقييم نفسه، فهو إنسان يرضى عن نفسه، ويتقبل الوضع الحالي، ولا يحركه شيء للقيام على تغيير الواقع والخروج من المأزق الذي وضع نفسه فيه.^(١)

نتيجة المقال:

إنّ الإنسان والأحداث التي تقع من حوله، يصبح مفهوماً عندما يحضر - العامل الزمني. وعلى هذا الأساس لا يخلو الإنسان وأحداث تاريخه من أبعاد الزمان الثلاثة وهي: الماضي والحاضر والمستقبل. ومستقبل الإنسان ليس بالمتناول وغير متاح، ولكن من الممكن الوقوف على تصور مصغر عنه بدراسة أحداث الماضي ومزجها بمعطيات الحاضر. وبناءً على هذا، فقد سعت الديانات السماوية - وبالتأكيد على الطاقات الإنسانية - ببث روح التفاؤل في نفس الإنسان نحو المستقبل، ووصف المستقبل بالإيجابي والمشرق، واهتمت بتعاليمها السماوية بتفاصيل الحدث الهام، وظهور المُنقذ وتشييده الحكم العالمي الشامل، ونشر الرخاء والطمأنينة والمعنوية والعدالة بمعناها الحقيقي في كافة جوانب حياة الإنسان الاجتماعية

والفردية.

وملخص الكلام يأتي في النقاط التالية:

١. إن مستقبل البشرية ونهاية مساره التاريخي مشرق وإيجابي.
٢. يمكن للبشر التوجه نحو المستقبل والتقرب إلى حدود معرفته والاطلاع الإجمالي عليها.
٣. يمكن الاستعانة بالدين والتعاليم الدينية إلى جانب العقل (فلسفة التاريخ) للاطلاع على المستقبل.

مستقبل البشرية بين الليبرالية الغربية ووراثة الصالحين

السيد محمد الشوكي

عالم المستقبل ومستقبل العالم:

عندما تشتدّ الأزمات بالإنسان، وتضيق به السُّبل، ويعيش ضغوط متعدّدة، يحاول دائماً أن يحدّق بالمستقبل، ويندفع كثيراً إلى معرفة ما يجتبيء له الغد من خير أو شرّ. وهذه حالة عامّة عند جميع البشر.

فكُلّ إنسان يحبّ أن يطلع على مستقبله، وأن يستشرف غده. ولهذا ترى الكثير من الناس يهرعون إلى العرّافين وقراء الكفّ والفتجان وأمثال ذلك، حتى في الدول المتمدّنة ليطلعوا على مستقبلهم وما تجبّئه لهم الأيام، وإن كانوا لا يؤمنون بمثل ذلك في كثير من الأحيان، إلا أنّ هناك شعوراً باطنياً يدفعهم إلى ذلك. وهذه الحالة العامّة التي يعيشها الجميع قد تشتدّ في بعض الأحيان حتى تصبح شبيهة بهستيريا المستقبل، وذلك في الأزمات الشديدة التي يتعرّض لها الناس، والتي تثير أمامهم قلقاً واضطراباً كبيراً.

وفي عصرنا الراهن ونتيجة لعوامل متعدّدة: سياسية واجتماعية واقتصادية وأمنية راح الناس يعيشون في جوّ مليء بغيوم القلق والاضطراب، ويحسّون أكثر ممّا مضى بفقدان الأمن والاستقرار، ولا يتفاءل الكثير منهم بما تأتي به الأيام المقبلة. بل راح الكثير من الناس يحنّ إلى الأيام السالفة، التي تحوّلت في عيونهم على بساطتها إلى جنة تفضّل كلّ ما أتت به المدنية الحديثة. فنحن نعيش اليوم حالة من القلق العالمي المرير. خصوصاً في دول العالم الثالث، الذي يبدو مستقبلها مظلماً داكناً.

وهذا القلق له ما يثيره، إذ ليس ناشئاً من فراغ. فقراءة معمّقة للواقع العالمي تُثير أكثر من موطن قلق في العالم. فنرى على مستوى البيئة أنّ

تقارير منظّمات حماية البيئة تُنذر بمصير خطير لهذا الكوكب الصاحب، الذي تعب فيه كلّ شيء: الماء والهواء والأرض والسماء. وتنذرنا تقارير الأمم المتّحدة ولجانها المختصّة بمستقبل تعيش تزداد فيه الأعداد السكّانية بشكلٍ مذهل، وتتناقص فيه الموارد الطبيعية، ومصادر الطاقة بصورة مطردة. وعلى المستوى السياسي يعيش العالم مجموعة من بؤر التوتر لم تحسم إلى الآن، ومن أهمّها في منطقتنا الإسلاميّة (القضية الفلسطينية).

وعلى المستوى الأمني بات العالم مهتداً من أكثر من جهة. فالأسلحة النوويّة والذريّة الضخمة التي يكفي أدنى تهوّر في تدميرها للكرة الأرضيّة، وقلب ما فيها. وهكذا الإرهاب الذي اصطبغ بصبغة عالميّة، ولم تعد حتّى أمنع المعامل في العالم أن تكون بمنأى عنه. وقد مرّت علينا أحداث نيويورك وواشنطن الكبيرة، التي حطّمت فيه قلعة الأمن العالميّة، كما يقولون. وقد اتخذت الولايات المتّحدة الأمريكيّة تلك الأحداث مبرّرات لتمرير خططها الاستكبارية على العالم، واعتمدتها ذريعة للهيمنة السلطوية على شعوب العالم، ومحاربة الشعوب، وخصوصاً الدول الإسلاميّة التي قرنتها بهذا العنوان القبيح عن قصد وإرادة تحت لافتة خادعة (الحرب على الإرهاب)، الإرهاب التي كانت سبّاقة إليه قبل الآخرين. فأمریکا دعمت الإرهاب في مناطق عديدة من العالم وسانده، وقدمت له العون الكبير. وأبرز مثال لذلك دعمها اللامحدود للكيان الصهيوني الغاصب على جميع الأصعدة.

وقد فتحت تلك الأحداث الطريق لأمریکا لإبراز غرورها الكبير، فراحت تتحكّم بمصير الدول والشعوب، فتحارب هذه وتصنّف تلك في محور الشرّ. وباتت تفعل ما يجلو لها في العالم باستهتارٍ واضح، وامتهان لحرية الشعوب واستقلالها، واستهانة بكلّ القوانين والأعراف الدوليّة.

وكأنها راحت تنادي بالنداء الفرعوني: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(١) ولا يستطيع أحد أن يقول لها: لا. وهذا الاستهتار والاستكبار، واللامبالاة بكل الأعراف والقوانين الدولية، والمنظمات العالمية بما في ذلك منظمة الأمم المتحدة، سوف يجرّ العالم للويلات والمصير المظلم والخطر جدّاً، حذر منه الكثير من الباحثين والسياسيين ورؤساء الدول.

في ظلّ هذا الغرور الكبير، الناشئ من التفوق العلمي والعسكري والاقتصادي الأمريكي، وبعد أن سقطت الإيديولوجية الاشتراكية بعد اندثار الاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل القطب العالمي الثاني المقتدر، الذي يعادل أمريكا والغرب، وبروز النظام الليبرالي الغربي الذي تتزعمه الولايات المتحدة بصورة النظام القوي و الناجح في العالم، راح الغربيون - والأمريكيون بالخصوص - يتصوّرون بوحى من نشوة الانتصار أنهم ربّحوا المستقبل في جيوبهم، وأنّ النظام الغربي الرأسمالي هو الذي سيحكم الدنيا، وأنّ الدول الليبرالية - وخصوصاً أمريكا - هي التي ستكون سيّدة العالم. وراح البعض من الشعوب الأخرى يشاركونهم هذا التصور انبهاراً بالحضارة الغربية، وخضوعاً للاقتدار الأمريكي، وعادة الناس ما تقف إلى جانب المنتصر انبهاراً بانتصاره.

وبرزت بعض الدراسات تنظر لهذا التصور. ومن بين أهمّ تلك الدراسات التي شغلت الباحثين، وأخذت لها حيزاً من الاهتمام الفكري والثقافي في العالم دراستان:

إحدهما: قدّمها الكاتب الأمريكي من أصل ياباني فرانسيس فوكوياما بعنوان (نهاية التاريخ)، حيث آمن بأنّ النموذج الغربي يمثل نهاية التاريخ، وأفضل وآخر ما توصل له العالم من إنجاز حضاري، وأنّه هو الذي سيسود

العالم بعد اليوم بلا منازع. وأن الحضارات والإيديولوجيات الأخرى، إمّا أن تلتحق بركب الغرب وتسير طبقاً لنظامه، أو سوف تبقى في التاريخ. والدراسة الأخرى: قدّمها الكاتب الأمريكي أيضاً صموئيل هانتغتون في كتابه (صراع الحضارات)، حيث ذكر أيضاً أنّ النموذج الغربي هو الذي سيسود العالم ويقوده، ولكن الحضارات والشعوب الأخرى سوف لن تنقاد عمياء للغرب، وإنما تقاوم وتنزع السيادة الغربية، والاستفراد الرأسمالي. فالمستقبل سوف يشهد صراعاً للحضارات.

وهاتان الدراستان - كما ترى - تتفقان على محور واحد وتختلفان في زوايا أخرى. فهما يتفقان على أنّ الذي سيلعب باقتدار في الملعب العالمي هو النظام الغربي المقتدر، الذي يمثل أفضل صيغة توصل إليها العالم في تاريخه الطويل كما يدعون. ونحن لا نريد أن ندخل في تفاصيل نقد هذه النظريات وما تحتوي عليه من أفكار قد تبتعد عن الواقع كثيراً، وما تعانیه من نزعة استعلائية واضحة، وتحيّز كبير لصالح الليبرالية الغربية قد أشار إليها العدد من المفكرين والباحثين في هذا المجال. إلا أننا سوف نبدي بعض الملاحظات على نزعة الخلود الليبرالي التي تخامر بعض أولئك الهائمين بالحضارة الغربية على ضوء البصائر القرآنية، والسنن الإلهية.

ملاحظات حول خلود الليبرالية:

أولاً: هناك سُنّة إلهية تاريخية عامة تعرّض لها القرآن الكريم كثيراً؛ وهي أنّ الأيام لا تبقى على حالها، أو كما يقال: [الدهر يومان يومٌ لك ويومٌ عليك]، ولا يمكن لدولة أو حضارة أن تدّعي أنّها ستظلّ خالدة أبد الدهر، وتحافظ على قوتها واقتدارها ونضارتها إلى آخر الدنيا. وهذه تجربة تاريخية نلاحظها عند قراءتنا للتاريخ. فقد قامت هناك حكومات ونظم

وحضارات وصلت إلى ذروة قوتها واقتدارها ثم ذوت واندثرت وصارت في خبر كان، وأمست نسياً منسياً. فالحضارات كالإنسان لها أجل محدود ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾^(١).

كما يولد الإنسان ثم يبلغ ثم يهرم ثم يموت كذلك الحضارات. تولد في فترة من الفترات بعد مخاض طويل ثم تنمو شيئاً فشيئاً حتى تبلغ مرحلة الشباب حيث القوة والنشاط والحيوية، ثم تكتمل قواها وتستقر قدراتها، ثم تهرم ثم تموت. وكما يموت الإنسان ليولد شخص آخر يأخذ مكانه في الحياة، كذلك الحضارات، تموت ليأتي مكانها حضارة أخرى تمر بنفس المراحل لتنتهي إلى مثل ما انتهت إليه أختها. وهذه سنة إلهية عامة - كما قلنا - أشار إليها القرآن بقوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢).

ولهذا يُلْفِتُنَا القرآن دائماً إلى هذه الحقيقة، ويطلب منا أن لا نغترّ بحضارة أو بنظام لقوته واقتداره، فإنه سيأتي عليه يوم يكون فيه خبر من الأخبار. يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾^(٣).

فعندما تصل الحضارات إلى أوج قدرتها، وتُصاب بالغرور بقوتها واقتدارها تقرب من أجلها. يقول تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

١ - الأعراف: ٣٤.

٢ - آل عمران: ١٤٠.

٣ - الفجر: ٦ - ١٤.

٤ - يونس: ٢٤.

ثانياً: إننا نعرف من خلال بصائر القرآن الكريم أنّ كلّ بناء لم يقم على الإيمان والهدى فمصيره الزوال والاندثار. والبناء الثابت ما كان أساسه التوحيد ورضى الله تبارك وتعالى. يقول عزّ من قائل: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

فكلّ نظام لا يستمدّ رؤيته وقواعده الأساسية من السماء ومن هدي الوحي سوف لن يستمر طويلاً، ولن يستطيع أن يتخلّص من المشاكل التي تعترض طريقه. ومادام مستمداً من الأرض ومن بنات أفكار البشر- فلن يستطيع أن يصل إلى الكمال والتخلّص من نقاط النقص والضعف المختبئة فيه. فالإنسان مهما بلغ في علمه واكتمال عقله يظلّ فكره نسبياً ناقصاً نقص الإنسان ذاته واحتياجه. فكما هو محتاج في أصل وجوده وحياته إلى السماء (البعد التكويني) كذلك هو محتاج في حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يحكمها من نظم ودساتير إلى السماء أيضاً (البعد التشريعي). والحاجة والفقر في الإنسان تكويناً وتشرعياً يتطلّبان ارتباطاً بالله تبارك وتعالى حتّى يستمر ويتكامل. فالله هو العالم بما يصلح البشرية في جميع أمورها حيث أنّه خالقها وموجدها والقائم عليها دون غيره.

ثالثاً: ونعلم أيضاً من خلال متابعتنا لآيات الذكر الحكيم أنّ كلّ حضارة تزول تتعرض إلى حالة من الانحطاط الروحي، والمسوخ الأخلاقي، كما تعرّضت له الحضارات والأمم الغابرة قبل دمارها. يقول تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾^(٢). فالمسوخ الأخلاقي نذير شؤم ينذر أهله بالزوال والاندثار، وعلامة قرب الأمم من الهلاك فسقها وفجورها، واستهانتها بقيم السماء وتعاليم الأنبياء.

١- التوبة: ١٠٩.

٢- الإسراء: ١٦.

والحضارة الغربية بكلّ ما توصلت إليه من تطوّر علمي وتكنولوجيا لم تُراعِ الجوانب الروحية في الإنسان، وألغت الدّين من حساباتها، وقطعت صلّتها بالسماء، وراحت تعيش حالة من الانحطاط الروحي والأخلاقي لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية. حضارة اختزلت كلّ انحطاط التاريخ وفساده في أنحائها. وهذه هي بذرة فناء الحضارة الغربيّة التي ستقضي عليها يوماً ما قد لا يكون بعيداً. وهذا ما التفت إليه الكثير من الباحثين الغربيين، ودقّوا لأجله ناقوس الخطر. وطلبوا من الدول والمؤسّسات والأفراد تداركه قبل فوات الأوان.

رابعاً: من خلال الروايات الشريفة التي لدينا نعلم بأنّ كلّ الأطروحات الأرضيّة وكلّ الدول التي تريد قيادة العالم سوف تفشل في مهمّتها، ولن تستطيع أن تثبت نجاحها المطلق في عصر ما قبل الظهور. حتّى إذا ما فشلت جميع النظريات والنظم في تحقيق العدل والسلام والسعادة للنّاس، أدركوا ذلك وأيقنوا بأنّه لا مفرّ لهم ولا ملجأ إلاّ الله ودينه ووليّه.

ويقوى في نفسي: أنّ من دواعي غيبة الإمام المهدي عليه السلام أن الله تعالى أراد أن يعطي البشرية فرصة طويلة لكي تعتمد على نفسها وإمكاناتها، حتّى إذا ما جرّبت جميع المذاهب والإيديولوجيّات الأرضيّة، ولم تحقّق لها سعادتها وكماها أدركت نقصها، وتبيّن لها بما لا شكّ فيه أنّه لا يمكن أن تتكامل بعيداً عن السماء، فتفنيء إلى أمر الله، وتدير وجهها صوب المهدي عليه السلام وإلى ذلك يشير الحديث الذي ينقله الشيخ الطوسي عن أبي جعفر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا لئلا يقولوا: إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)»^(٢).

١ - الأعراف: ١٢٨.

٢ - الغيبة، الشيخ الطوسي: ٤٧٣.

والحضارة الغربية وإن انتصرت في صراعها أو في حربها الباردة على المعسكر الشرقي، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة قوّة الحضارة الغربية وكما لها. فقد يكون السبب - ولا شك - في ذلك هو في الضعف الذاتي للنظام الماركسي. فانتصارها لم يكن بالكمال لقوتها، بل لضعف النظام الشيوعي المتداعي. وعندما تدخل إلى حلبة المصارعة وتنتصر على نظيرك، لا يكون ذلك مدعاة للفخر كثيراً إذا كان صاحبك لا يتحمّل نفخة ريح.

وعلى كلّ، فقد انتصرت الحضارة الغربية على المعسكر الشرقي، وهي تتمتع بإمكانات هائلة لكنّها بالرغم من ذلك ليست خالية من السلبيات المدمرة التي تعشعش فيها. فالحضارة الغربية متقدّمة من ناحية التطور المادي، والتقدم التكنولوجي، ولكنها متأخرة في جوانب أخرى؛ من أهمّها الجوانب الروحية والعلاقات الاجتماعية. فعلى المستوى الروحي هناك أزمة روحية تعيشها المجتمعات الغربية متعددة الجوانب، نلمحها من خلال التقارير المتنوعة التي تنشرها الجهات المختصة، والتي تدلّ على تدهور الحالة الروحية للغربيين، والإقبال الكثير على المصحّات النفسية، ونسب الانتحار المرتفعة خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية. وعندما نطالع التقارير التي تنشرها المنظّمات المختلفة في الغرب وأمريكا بالذات، وخصوصاً ما تنشره الشرطة في الولايات المتحدة نصاب بالغثيان.

وأما على المستوى الاجتماعي فالوضع سيّئ للغاية. فتفكّك الروابط الاجتماعية اضمحلالها بحيث راح الواحد منهم يأنس بقطته وكلبه أكثر ممّا يأنس بأبناء نوعه، والنسب المرتفعة للطلاق، واختلال النظام الأسري وتفسّخه، كلّها مؤشّرات تؤشّر لنا الوضع الاجتماعي المتردّي الذي يعيشه الغرب. وبالأخص أمريكا التي تبرّمت حتّى بالشعوب الأوروبية من مستوى الثقافة المنحط الذي ينتشر فيها.

ويرجع هذا الانحطاط إلى أن الدول الغربية أكّدت على التنمية

الاقتصادية والعلمية فقط وأهملت الجوانب الأخرى. وفي كل ذلك يكون السبب الأهم هو ابتعادهم عن الله تعالى، وعن تعاليم السماء، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١). وهناك سلبيات أخرى تتعلق بجوانب أخرى يسجلها الباحثون عن الحضارة الغربية.

ثم إن هناك مسألة مهمة ينبغي الالتفات إليها، تتعلق بطريقة إدارة العالم من قبل أمريكا التي تمثل قمة هرم الليبرالية في الغرب. فأمريكا تريد أن تسوق العالم بالعصا الغليظة، وتتحكم فيه بعقلية العصور الوسطى، وتريد أن تفرض تصوراتها وآراءها ونمطها الحضاري على العالم بالقوة والتهديد والوعيد، وهذا لا يمكن أن يصل بها إلى النتيجة المطلوبة، لأن الانصياع الحضاري لا يمكن أن يتم من خلال الفرض، وإنما هو عملية بطيئة وهادئة تقوم على أساس القناعة الذاتية والإيمان التام. بالإضافة إلى أن أمريكا تعيش روح الغطرسة والاستكبار، وهي تتحرك على أساس مصالحها فقط. وليس لها أي وجه جميل في أعين العالم، لمواقفها المنحازة تجاه الكثير من قضايا العالم.

ومما لا شك فيه أن السياسة الأمريكية تحركها أصابع صهيونية بغیضة، تحمل أطماعاً عنصرية كثيرة، وتعيش عقلية متعجرفة جداً. فهي ليست صالحة لكي تقود نظاماً عالمياً موحداً، وتطبق العدالة فيه.

وقد كان البعض يرى - في رجوع أمريكا إلى الشرعية الدولية ومنظمة الأمم المتحدة في مشروع إدانة الغزو العراقي وتحرير الكويت - انبثاق أخلاقية جديدة في التعامل مع أزمات العالم، واعتماد مرجعية الأمم المتحدة في إدارة النظام العالمي الجديد، الذي انبثق في العقد الأخير من القرن

العشرين. ولكن الزمن فند هذا التصور البريء، بعد الهجوم على برجى التجارة العالميين في نيويورك، ورد فعل الولايات المتحدة المنفعل تجاه ذلك. حيث لم تعباً أمريكا بالرجوع إلى الأمم المتحدة في استصدار قرار الهجوم على أفغانستان.

وهكذا في موقفها من العراق، حيث احتلت العراق دون تفويض من الأمم المتحدة أو مجلس الأمن، ولم تعباً بهذه المنظمة الدولية التي تحظى باحترام ورضا كل العالم، كما لم تعباً بالرأي العام العالمي الذي خرج إلى الشوارع مندداً بقرار الحرب الأمريكي في تظاهرات لم يسبق لها مثيل في كل الساحات العالمية. أمريكا أصبحت اليوم هي النظام الدولي، وهي الشرعية الدولية، وهي شرطي العالم، وهي كل شيء في العالم. من يوافقها على ما تريد بلا شروط، ويتعبد برأيها فهو منها. ومن لا يوافقها حتى على موافقها وقراراتها الهوجاء فهو ضدها، وعليه أن يدفع الثمن غالياً. وهذا نمط بغيض من الاستبداد والدكتاتورية العالمية التي لم يسبق لها مثيل. ولن يتحملها العالم، ولا يمكن لأمريكا وحلفائها أن يديروا العالم بهذه الطريقة، مهما أوتوا من قوة واقتدار سياسي واقتصادي وعسكري.

وعلى كل حال، فنحن لا نعتقد أن الحضارة الغربية هي التي ستسود العالم، وهي التي تحكمه لا بد الأبد، وإنما على خلاف ذلك، نعتقد أن مستقبل العالم هو للإسلام، وعالم المستقبل سيحكمه عباد الله الصالحون، لا الليبرالية الغربية ولا غير ذلك. وذلك للوعد الإلهي القاطع الذي وعد الله به عباده الصالحين باستخلافهم على الأرض، وتمكين دينهم. المستقبل هو للإمام المهدي عليه السلام الذي سوف يقوم آخر الزمان، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويقيم دولته الكريمة، ويبني المجتمع العادل والكامل، الذي تسوده السعادة وتنعدم منه كل دواعي الشقاء. وهذا ما قطعه الله تعالى علينا.

الوعد الإلهي في القرآن الكريم:

أشارت الكثير من الآيات إلى قضية الإمام المهدي عليه السلام، وجاءت الروايات الكثيرة لتفسر لنا آيات متعددة في الإمام المهدي عليه السلام. وقد مُلِّت بطون الكتب والتفاسير. حتى ألفت فيها مصنّفات خاصّة. ونحن سوف نذكر ثلاث آيات فقط تدلّ دلالة واضحة على الدولة المهديّة المباركة:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١). وقد وردت هذه الآية الكريمة بتامها في سورة الصّف، ووردت في سورة الفتح بتفاوتٍ يسير. هذا الوعد الإلهي بإظهار الإسلام على الدّين كلّه، وانتصاره على الكافرين في الأرض، لم يتحقّق لا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله ولا في غيره. إذ ظلّت كثير من الأديان قائمة إلى يومنا هذا، ولم يسيطر الإسلام على كلّ الأرض.

وأما ما قد يقال في تفسير الآية الكريمة: من أنّ المراد بظهور الإسلام ظهوره بالحجّة والمنطق، وأنّ الآية الكريمة تتحدّث عن خصوصيّة في ذات الإسلام، وهي كونه ظاهراً بحجّته ومنطقه، فغير تام. لأنّ ذلك خلاف ظاهر الآية الكريمة؛ إذ أنّها ظاهرة بالغلبة المطلقة. بالإضافة إلى أنّ القرآن الكريم استخدم هذه الكلمة (الظهور) في الغلبة المادية، والاقترار الظاهري كثيراً^(٢). مع أنّه لو كان المراد من الظهور، الظهور الفكري والعقائدي، لما كان هناك حاجة للوعد به في الآية الكريمة، لأنّه حاصل منذ بداية الدعوة

١ - التوبة: ٣٣.

٢ - تفسير الأمثل، لمكارم شيرازي: ج ٦/ ص ١٦.

الإسلامية المباركة. فمذ قام الإسلام قوي المنطق، ظاهر الحجّة. والوعد كما نعرف يتضمّن أمراً مستقبلياً ليس حاصلًا^(١). فالآية ظاهرة في الغلبة المطلقة وهذا لا يكون إلا في ظلّ دولة عالمية عادلة.

وعندما نرجع إلى التفسير الروائي لهذه الآية الكريمة نرى أنّها تتحدّث عن ذلك بوضوح. ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما يجيء تأويلها حتى يخرج القائم المهدي، فإذا خرج لم يبق مشرك إلا كره خروجه، ولا يبقى كافر إلا قتل. حتى ولو كان كافر في بطن صخرة لقاتل: يا مؤمن في بطني كافر، فاكسرنى واقتله»^(٢).

وهكذا روي مثل ذلك عن الإمام علي عليه السلام^(٣)، وأبي جعفر عليه السلام^(٤). وروى أهل السنّة روايات في تفسيرها تدلّ على تحقق ذلك في زمان السيّد المسيح عليه السلام^(٥)، ولا تنافي، فإنّ نزوله سوف يصادف ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٦). فالآية تتحدّث عن وعد إلهي للذين آمنوا وعملوا الصالحات بثلاثة أشياء:
أ - استخلافهم على الحكم في الأرض.

١ - التفسير الكبير للفخر الرازي: ج ٦ / ص ٣٣.

٢ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج ٣ / ص ٢٣٩. وكمال الدين للصدوق: ص ٦٠٧، الطبعة القديمة.

٣ - المحجّة، للسيّد هاشم البحراني: ص ٨٦.

٤ - مجمع البيان للطبرسي: ج ٥ / ص ٤٥.

٥ - الدر المنثور للسيوطي: ج ٣ / ص ٤١٧.

٦ - التور: ٥٥.

ب - تمكين دينهم حتى يكون هو السائد والحاكم في الأرض.

ج - انعدام كل عوامل الخوف والاضطراب.

وهذا لا يتحقق إلا في ظلّ دولة عالمية عادلة. والظاهر أنّ هذا الوعد الإلهي لم يتحقق بعد، لأنّ الظاهر من لفظة الأرض هو تمام المعمورة، كما وردت كذلك في آياتٍ أخرى من قبيل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾^(١). إلا إذا صرفتها قرينة ما لأرض بخصوصها. ولم يتحقق فيما سبق خلافة للمؤمنين على كلّ الأرض. فلا بدّ أن يكون هذا الوعد وعداً مستقبلياً لم يقع.

وأما حملها على خلفاء الرسول فتحكم ليس عليه دليل. [فالحق: أنّ الآية إن أعطيت حقّ معناها لم تنطبق إلا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور الإمام المهدي عليه السلام] ^(٢).

وهذا ما صرح به العلماء في التفسير المأثور الوارد عن اهل البيت عليهم السلام. حيث قال الطبرسي: [والمروي عن اهل البيت عليهم السلام أنّها في المهدي من آل محمد] ^(٣).

وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليهما السلام أنّه قرأ هذه الآية الكريمة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾^(٤) فقال: «هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يد رجلٍ منا وهو مهدي هذه الأمة...»^(٥).

وأخرج العلامة النيسابوري في تفسيره عند تفسير قوله تعالى في سورة

١ - الزّمن: ١٠.

٢ - تفسير الميزان للطباطبائي: ج ١٥ / ص ١٥٦.

٣ - مجمع البيان للطبرسي: ج ٧ / ص ٢٦٧.

٤ - المائدة: ٩.

٥ - تفسير العياشي: ج ٣ / ص ١٣٥.

البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١)، قال: المهدي المنتظر الذي وعد الله به في القرآن بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾^(٢).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣).

وهذا وعد إلهي آخر كتبه الله عز وجل وقضاه في كتب السالفين منذ القدم، بأن يرث العباد الصالحون الأرض وما عليها. فالأرض ظلت لفترات طويلة محكومة من قبل الظالمين والمستبدين إلا في بعض الفترات التي شهد فيها الناس حكومة الصالحين، وهي فترات قليلة جداً، وقصيرة نسبة إلى حكم الظالمين. فأغلب أيام الأرض كانت في ظل حكومة الطغاة. وكان المؤمنون والصالحون قلة مستضعفة، يسومهم المستكبرون سوء العذاب، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، ويجرعونهم الأمرين.

ولكن الأمر سوف لن يستمر طويلاً على هذا النحو، حيث كتب الله عز وجل في الزبور من بعد الذكر - الظاهر أن الزبور هو كتاب داود والذكر هو كتاب موسى - أن الصالحين المستضعفين سوف يحكمون الأرض في نهاية المطاف، وينهون عصوراً متهادية من حكومة الظالمين واستبدادهم. والظاهر من الأرض أيضاً هي كل المعمورة، وكذلك الظاهر منها هي أرض الحياة الدنيا، لا الأرض في الآخرة^(٤).

وقد وردت الروايات الشريفة لتفسر هذه الآية الكريمة بدولة الإمامة

١ - البقرة: ٣.

٢ - تفسير النيسابوري، بهامش تفسير الطبري: ج ١/ ص ٥.

٣ - الأنبياء: ١٠٥.

٤ - يوجد رأي يرى أنها أرض الآخرة، وأن الصالحين يرثون الأرض في الآخرة، استناداً إلى قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الزمر: ٧٤.

المهدي عليه السلام. قال أبو جعفر عليه السلام: «هم آل محمد صلوات الله عليهم»^(١).
وعنه أيضاً عليه السلام: «هم أصحاب المهدي آخر الزمان»^(٢).
نكتفي بهذه الآيات التي تدلّ دلالة واضحة على الوعد الإلهي بقيام
دولة عالمية ووراثة الصالحين للأرض في آخر الزمان، وقد فسّرت بالإمام
المهدي عليه السلام في الروايات الشريفة. ومن أراد المزيد فليراجع كتب الحديث
والتفسير، وبعض الكتب التي اختصت بذكر الآيات النازلة في الإمام
المهدي عليه السلام، مثل كتاب (المحجة فيما نزل في القائم الحجة) للسيد هاشم
البحراني وغيره.
الوعد الإلهي في السنة المطهرة:

لقد تواترت الأحاديث الشريفة في الإمام المهدي عليه السلام، ودولته الكريمة
عند السنة والشيعة. وذلك واضح لمن عنده أدنى إلمام بكتب الحديث عند
الفريقين. وقد صرح بتواترها جمع كثير من علماء المسلمين^(٣)، وأخرجها
أكابر أئمتهم، وصنّفوا فيها مصنّفات خاصّة^(٤).
فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث
الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»^(٥).
وفي مستدرك الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه
قال: «ينزل بأمتي بلاء في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يسمع بلاء

١ - بحار الأنوار: ج ٢٤ / ص ٣٥٩.

٢ - تأويل الآيات الظاهرة: ص ٣٢٧.

٣ - راجع منتخب الأثر، لصافي الكلبايگاني: ٣٤ - ٣٥.

٤ - هناك ما يقارب خمسين كتاباً ألفه أبناء السنة في الإمام المهدي عليه السلام. راجع كتاب (الإمام المهدي عليه السلام) لعلي
محمد علي دخيل، ص ٢٦٠.

وقد ذكر بعض المؤلفين باللغة الفارسية أكثر من ألف كتاب ألف في المهدي عليه السلام وجمعها روزگار رهايي:
ج ١ / ص ١٦.

٥ - رواه ابن ماجه في سننه: ج ٣ / ص ٣٤٩، وأحمد بن حنبل في مسنده: ج ١ / ص ٥٠٠، ورواه بلغظه في منتخب الأثر:
ص ١٩٢ عن صحيح أبي داود: ج ٢ / ص ٢٠٧.

أشدّ منه، حتّى تضيق بهم الأرض الرحبة، يملأ الأرض جوراً وظلماً، حتّى لا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم. فيبعث الله رجلاً من عترتي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبّه الله عليهم مدراراً. يعيش فيهم سبع سنين، أو ثمان، أو تسع. تتمنى الأحياء الأموات ممّا صنع الله بأهل الأرض من خيره»^(١).

وعنه أيضاً عليه السلام: «أبشروا بالمهدي، رجل من قريش من عترتي، يخرج في اختلاف من الناس وزلزال، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويرضى عنه ساكن الأرض والسماء، ويقسم المال صحاحاً بالسوية»^(٢).

وعن الحسين عليه السلام، أن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: «التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق، المظهر للدين، الباسط للعدل». قال الحسين عليه السلام: «يا أمير المؤمنين، وإنّ ذلك لكائن؟» قال: «إي والذي بعث محمداً بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة فلا يثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله عزّ وجلّ ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الإيوان وأيدهم بروح منه»^(٣).

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «منا اثنا عشر مهدياً؛ أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي هو الإمام القائم بالحق، يجيئ الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كلّه ولو كره المشركون»^(٤).

١ - مستدرک الصحيحين، للحاكم النيسابوري: ج ٥/ ص ٦٥٩.

٢ - الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ج ٢، باب ١١.

٣ - كمال الدين للصدوق: ج ١/ ص ٣٠٤.

٤ - بحار الأنوار: ج ٥١/ ص ١٣٣.

وهذه الروايات الشريفة، وإن كانت لا تتحدث عن الدولة والحكم. إلا أن المنجزات التي تتحدث عنها لا يمكن أن تقوم بغير دولة وحكومة عادلة. هذا بالإضافة إلى الروايات التي تحدثت عن الملك، أو عن بعض تفاصيله بصراحة، مثلاً:

روى حذيفة بن اليمان، عن رسول الله: «المهدي رجل من ولدي... يملك عشرين سنة»^(١).

وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «ملك القائم منّا تسعة عشر سنة وأشهر»^(٢).

وهكذا جاء في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا: إذا رأوا سيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل والعاقبة للمتقين»^(٣). هذا مضافاً إلى الروايات التي تحدثت عن منجزاته الحكومية عليه السلام من مثل: القضاء، وتوزيع الولاية على الأقطار، والأمور العمرانية التي يقوم بها من حفر الأنهار، أو شق الطرق. وما شاكل ذلك من أمور أخرى.

وبناء على ما تقدم فعقيدة الإمام المهدي عليه السلام، وخروجه آخر الزمان وإقامته للدولة الكريمة، وأنه من أهل بيت النبي هي مسألة أصيلة في الفكر الإسلامي، وعقيدة عامة عند جميع المسلمين على مرّ العصور ولم يختص بها الشيعة في زمن من الأزمنة.

نعم ربّما تكون أكثر فاعلية في المجتمع الشيعي، ولها رونق خاص في أوساطهم أكثر من بقية المسلمين، وأنه ولد في القرن الثالث الهجري، ولا يزال حياً غائباً، يعلم بهمومهم، ويرعاهم بلطفه، وينظر إليهم بعين عنايته،

١ - ينابيع المودة للقندوزي: ج ٣/ ص ٢٣٦.

٢ - علل الشرائع للصدوق: ج ١/ ص ١٩٢.

٣ - الغيبة للطوسي: ص ٤٧٣.

وينتفعون بوجوده كما ينتفعون بالشمس إذا حجبها الغيوم على حدّ تعبير الحديث الشريف، كلّ ذلك جعل مسألة الإمام المهدي ﷺ أكثر حيوية وفاعلية في المجتمع الشيعي. ممّا جعلهم يرتبطون به وبقضيته أكثر من غيرهم لأنّهم يتعاملون مع إمام حيّ موجود. وهذا بحدّ ذاته يمثل امتيازاً كبيراً للمذهب الشيعي، قد حُرِّمَ منه الآخرون.

أما السنّة فلكونهم لا يعتقدون على نحو العموم بالتفاصيل التي يعتقد بها الشيعة بالنسبة إليه من كونه أحد الأئمّة المعصومين ﷺ، ومن ولادته وحياته كلّ هذه السنين، ومن كونه يمتلك موقعاً وتأثيراً في الوجود، كلّ ذلك لم يجعل قضية المهدي ﷺ تمتلك نفس الحضور الفاعل في ساحتهم، كما عند الشيعة.

ولكنّ هذا لا يعني أنّ هذه المسألة من مختصات الشيعة أو من مبتدعاتهم، وإنّما هي كما رأينا في الأحاديث المتقدمة مسألة إسلامية أصيلة، اتّفق عليها المسلمون على مختلف مشاربهم.

وهذا الوعد الإلهي لم يرد في المصادر الإسلامية فقط، وإنّما ظلّت عقيدة المنقذ الذي يقوم في آخر الزمان، ويقىم دولة الحقّ التي تسعد بها البشرية بعد شقائها، وتزول فيها كلّ عوامل الخوف والظلم، تستأثر باهتمام أبناء البشر على مرّ العصور. تداولها الناس جيلاً بعد جيل، وتناقلتها الكتب على اختلافها، وبشّرت بها الشرائع على تنوّعها. وعندما نرجع إلى كتب العهدين نرى حضور هذه الفكرة بشكلٍ ملموس فيها. ونشاهد فيها تفاصيل كثيرة تكاد تتطابق مع الأحاديث الإسلامية الواردة في هذا المجال^(١).

وكذلك ورد ذكر المصلح الكبير الذي يظهر آخر الزمان، ويخلص

١ - جمعها السيّد أسد الله الهاشمي في كتابه باللغة الفارسية: ظهور حضرت مهدي از دیدگاه اسلام ومذاهب وملل جهان.

النّاس من شقائهم في كتب الهنود والصينيين والإيرانيين القدماء وغيرهم^(١). وقد يرى بعض الباحثين أنّ ذلك اختلاق من النّاس عندما يتعرّضون لظروف اجتماعية عصبية، ويمرّون بأزمات حادّة، حيث يحاولون الهروب من المشاكل التي تحيط بهم. والتخفيف من المُهم بانتظار مخلص يخلصهم من واقعهم المُمرّ. والحقيقة هذا رأي غير دقيق. صحيح أنّ الشعور بالمنقذ العالمي، والاهتمام به يزداد عندما يتعرّض النّاس لهزّات عنيفة، ولمشاكل عويصة، ولكنّ هذا لا يدلّ على خرافة هذا التّصوّر واختلاقه. فإنّ ذلك أمر مغروس في النفس أوّلاً، ووعدت به الرسائل السماوية المختلفة ثانياً.

ملاحح الدولة المهديّة العالمية

رحيم كارگر

المدخل:

من وجهة نظر الشيعة فإنّ مستقبل السياسة (الدولة) تفاؤلي بغاية الوضوح، فإنّ التاريخ يسير نحو بلوغ المجتمع المطلوب والمثالي، وستتحقق المدينة الفاضلة في الأرض بيد أصحاب الحقّ، وبقيادة المصلح الموعود، وبالإستعانة بالعون الإلهي، وسيترجم إدارتها المنقذ المنتظر. إنّ المجتمع المهديّ نهاية مسار التاريخ، ونقطة إنطلاق حياة متكاملة دون عوج وأمت.

إنّ السياسة في هذا المجتمع «فاضلة»، و«إلهية» وستشيد الدولة الأخلاقية (كفالية وأخلاقية المحور) وفق نظام الإمامة. وللناس - وخاصة المستضعفين منهم والصالحين - دور أساسي في إدارة الأمور وتسييرها، ولا وجود بعد ذلك للمترفين والمستكبرين والمزورين.

إنّ أهمّ وأولى ما يقوم به الإمام المهدي عليه السلام بعد انتصاره وسيطرته على العالم، هو تشييد الدولة، والإستيلاء على الحكم، وزعامة العالم. وقد شهدت شعوب العالم الاضطرابات، والحروب، والفساد، والجور، وانعدام الأمن، والإلحاد، وشهدت أيضاً دولا، وأحزاباً، ومنظمات كثيرة، ادّعت كلّ منها خدمة العالم وتوفير الأمن واستقرار السلام، واستتباب الأمن، وتحسين الوضع الاقتصادي، بيد أنّ الواقع يظهر أنّ الطين ازداد بلة، وما حصل ما كان إلا انحطاطاً، وظلماً وحروباً طاحنة، قضت بويلاتها على الاخضر واليابس. مع كلّ هذه الويلات! سيأتي الغد الواعد الذي تستقرّ فيه القيم الروحية والعدالة بيد ذلك الولي الإلهي وفي دولته الكريمة،

دولة اهل البيت عليهم السلام وسيعمّ العالم الرخاء والأمن و ينتشر العدل والتوحيد في أنحاء العالم كافة.

ومن الواضح أنّ هذا لن يتحقّق إلا بإنشاء دولة وانسجام في الأمور. يقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية: {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ..} ^(١): «وهذه الآية لآل محمّد إلى آخر الآية، والمهدي وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويميت الله - به وأصحاب - البدع الباطلة كما أمات السفه الحقّ حتى لا يرى أثر للظلم» ^(٢). وسيتولّى الإمام المهدي إدارة العالم بعد إنشاء حكومة عالمية على أساس نظام الإمامة، ويقود البشر نحو الكمال المطلوب نحو السموّ الأخلاقي، وإكمال مكارم الأخلاق، يحيي المجتمع الميت، ويعيد الحياة للديانة والمعنوية.

إنّ قضايا العالم الشائكة لا سيّما في مجال الأخلاق والمعنويات - لن تجد حلاً إلا في ظلّ دولة الإمام المهدي عليه السلام، حيث سيتبوأ مكانتها المعنوية والعدالة والعقلانية، ويبلغ المجتمع الكمال والرقّي والسموّ والتطور.

أهداف وطموحات الإمام المهدي:

إنّ دراسة ومناقشة غايات أيّ نهضة تعطينا دلالات عن طبيعة وجوهر هذه النهضة. وسنجد أنّ بعض هذه الغايات والأهداف مفصلية وأساسية بينما تكون الغايات الأخرى فرعاً وتبعاً لتلك الغايات وتعرف ضمن سياقها. وفيما يأتي سرد لأهمّ أهداف ومطالب دولة الائمة عليهم السلام، وهي ذات طبيعة كمالية وأخلاقية:

١ - هداية المجتمع البشري نحو الكمال المنشود والتطور في السلوك

١- الحج: ٤١.

٢- تفسير القمي (دار الكتاب - قم، ١٤٠٤ هـ): ج ٢، ص ٨٧؛ تأويل الآيات الظاهرة لشرف الدين الحسيني: ص ٣٣٩.

- الأخلاقي (وهو الهدف الأساسي).
- ٢ - استقرار العدالة الاجتماعيّة، ونشر القسط والعدل في كلّ العالم.
 - ٣ - إدارة وضبط نظام العالم على أساس الإيمان بالله وأحكام الشريعة الإسلاميّة وتعليقات القرآن.
 - ٤ - استقرار السلام والأمن العالمي وبسطه، والقضاء على روح التشدد والعدوانية والحرب والحقد والأنانية.
 - ٥ - إنقاذ الناس من مخالب الظالمين والجبابرة والمفسدين، ورفع راية التوحيد والعدالة.
 - ٦ - إحياء التوحيد، والقضاء على كافة المذاهب الباطلة والمنحرفة.
 - ٧ - تشييد حكومة الإسلام العالميّة، والسيطرة على مقاليد الأمور.
 - ٨ - تكامل العلم البشري والتطور والازدهار العقلي والفكري.
 - ٩ - إعادة شؤون الحياة إلى مجراها الصحيح، والاستغلال الأمثل والأفضل للمصادر والإمكانيات المادية والمعنوية في العالم.
 - ١٠ - القضاء على أشكال التمييز العنصري والطبقي والفئوي، وتعزيز روح التكافؤ والمساواة.
 - ١١ - بسط الفضائل الأخلاقيّة ونشرها، واستئصال الرذيلة والقذارة الأخلاقيّة و...".^(١)

إنّ بلوغ هذه الأهداف السامية والمقدّسة رهن بأن يقوم الائمة عليهم السلام بداية بتغيير سلوك الناس وخلقهم، وإصلاح نفوسهم وإحيائها. فبعد الانتهاء من هذه الغاية الأساسيّة، وهي تزكية النفوس وتهذيبها، وبعدها نمت في نفوسهم الأخلاق السامية، ودبت في عروقهم الجفافة ينابيع المعرفة الفكريّة، وعادت الحياة إلى كافة مرافقهم الاجتماعيّة، مالت

١ - جهاني شدن وحكومت جهاني مهدي لرحيم كارگر، فصلنامه انتظار، ش ٦، ص ١٧٥ و١٧٦.

نفوسهم إلى التغيير، واشتاقت قلوبهم إلى ضبط ما زاغ عن الطريق،
وتقويم ما زل عن السبيل.

مشاريع التغيير في عصر الظهور:

سيقوم الإمام المهدي - وذلك بعد تشييد حكومته العالمية، وتكوين
حكم الصالحين والنخب وبالاستعانة بهم - بمبادرات موسّعة وشاملة
ترمي إلى إصلاح الأمور وتحسينها، مسخراً كافة الآليات والإمكانات في
خدمة سموّ الناس المعنوي والمادي وتعاليمهم.
ومن الممكن إحصاء أهمّ برامج ومشاريع الائمة عليهم السلام، والتي تغطي
سائر التغييرات والإصلاحات في المحاور العامة التالية:
١- سيادة الأخلاق في العالم:

سيقدم الإمام المهدي بعد تأسيس دولته وتولي السلطة في العالم أداءً
متكاملاً أخلاقياً متعدد الجوانب. وبناءً على هذا سيكون النظام السياسي
لدولة المهدي المنتظر عليه السلام نظاماً ودولة متكاملة بكفاءة عالية؛ كفاءة توظف
الطاقات الكامنة، وتستغل بصورة تامة ومنسقة ومتعادلة ومتعالية شاملة
لجميع المواهب والإمكانات والفرص الاقتصادية والثقافية والاجتماعية،
وتقلص أو تقضي على جميع أشكال التعدي والاستهانة.
وهذا التوجه ليس مثالياً بعيد المنال، وإنما هو مشروع عملي يسير التنفيذ؛
لأنّ في عصر الظهور ستزول جميع العقبات والمعوقات كالتشدد والحروب
والفساد والعدوان، وتكون الزعامة الدينية والسياسية بحوزة إمام عالم
ومدير مقتدر وعادل.

والزعامة السياسية والدينية تعني الاستخدام الأمثل والأنجح لجميع
الإمكانات والمصادر، وتسخيرها لمسار الإنسان نحو الكمال. وقد أكّدت
الروايات المختلفة على أهمية دور الأخلاق ومحوريته في مسيرة الإنسان

نحو الاعتزاز والكمال المعنوي في الدولة المهديّة الكريمة:
قال الإمام الباقر عليه السلام: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهَا عُقُوبَهُمْ وَأَكْمَلَ بِهَا أَخْلَاقَهُمْ»^(١).
وجاء في رواية أُخرى عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِذَا قَامَ قَائِمُنَا وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ فَجَمَعَ، بِهَا عُقُوبَهُمْ وَكَمَلَتْ بِهِ أَخْلَاقَهُمْ»^(٢).

أ- تحقّق العبودية في ضوء الأخلاق:

قال رسول الله: «... يملأ قلوب عباده عبادة ويسعهم عدله...»^(٣)، و: «به يمحق الله الكذب، ويذهب الزمان الكلب، وبه يخرج ذلّ الرقّ من أعناقكم»^(٤).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير آية: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٥) أنّه قال: «الملك للرحمن اليوم، وقبل اليوم، وبعد اليوم، ولكن إذا قام القائم لم يُعبَد إلا الله عزَّ وجلَّ»^(٦). وهذا يعني: بأنّ أهمّ ما تثمر به هذه الدولة هداية الناس، وإحياء المجتمع الميت.

ب- الدعوة إلى الهدى:

جاء في الحديث: أنّ الإمام المهدي: «يُشِيرُ بِالتُّقَى وَيَعْمَلُ بِالْهُدَى»^(٧). والهداية والإرشاد بنوعيهما التكويني والتشريعي، يكونان ضمن أهمّ ما

١- الخرائج والجرائح للراوندي (مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم، ١٤٠٩ هـ): ج ٢، ص ٨٤١، ح ٧١.

٢- الكافي: ج ١، ص ٢٥، ح ١.

٣- كتاب الغيبة للطوسي: ص ١٧٩.

٤- كتاب الغيبة للطوسي: ص ١٨٦.

٥- الحجّ: ٥٦.

٦- منتخب الأثر لصافي الكلبيگاني: ص ٥٨٧، ح ٢.

٧- بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٦٩، ح ١٥٨.

تقوم به دولة المهدي، وستعطي أكلها في ظلّ كمال الناس الأخلاقي وسموهم الروحي.

ج - إزالة المفاسد والدنس:

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال عن المهدي عليه السلام: «... وهو القادر على ما يشاء أن يصلح أمة بعد فسادها...»^(١). ووفقاً لهذه الرواية سيكون إصلاح الناس بعدما ركنوا إلى الفساد الخلقى، والتغيير الجذري في سلوكهم ومنطقهم، وتصوّراتهم اللاأخلاقية والقدرة، من أهم وأبهي التدابير التي تقوم بها دولة المهدي عليه السلام. كما سيكون هذا التجديد المعنوي والإحياء الإنساني والإصلاح الحيوي مطلقاً وشاملاً لا عودة بعده نحو الفساد والزلل، وستشرق الأرض بنور ربّها ملؤها الوداد والتصافي، وتسودها القيم الروحية، وتشرق الأرض بنور ربّها ولا تبقى في الأرض بقعة عبداً فيها غير الله عزّ وجلّ إلا عبد الله فيها»^(٢). كما قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث آخر: «... إن قائمنا إذا قام أشرق الأرض بنور ربّها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وصار الليل والنهار واحداً، وذهبت الظلمة...»^(٣).

د - الدعوة للخير والبر:

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الشريفة: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا...﴾^(٤): «أنها نزلت في القائم وأصحابه»^(٥).

١ - كشف الغمّة للإربلي: ج ٢، ص ٤٧٣.

٢ - كمال الدين للصدوق: ج ٢، ص ٣٤٥، ح ٣١.

٣ - دلائل الإمامة للطبري: ص ٢٦٠.

٤ - البقرة: ١٤٨.

٥ - المحجّة في ما نزل في القائم الحجّة لهاشم البحراني: ص ٣٩.

وجاء في رواية أخرى: «إذا قام القائم من آل محمد يقول: يا أيها الناس، نحن الذين وعدكم الله في كتابه: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾»^(١) (٢).

وتُظهر الروايتان أن المشاريع الأخلاقية والتربوية والدينية - لاعتلاء البشر نحو الكمال المعنوي والروحي - تكون من صلب التدابير الأساسية التي يسعى إليها الائمة عليهم السلام وأصحابه.

هد - نقاء القلوب وطيب النفوس:

وجاء في الحديث الشريف: «...وتطيب الدنيا وأهلها في أيام دولته...»^(٣) ، و: «...فَيُعَلِّي أَمْرَ اللَّهِ وَيُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ...»^(٤).

إنّ الناس بطبيعتهم واقعون في تيه الغفلة وظلمة الجهل وغياهب الكفران ومتاهات الذنوب ودهاليز الفساد، وقد عبّر القرآن عن هذه المساوئ بالصُّم والبكم والعمى. وسيتمّ التصدي لهذه الأمراض الروحية والنفسية وعلاجها في عهد الائمة عليهم السلام والقضاء على جذور هذه الأوبئة الأخلاقية، فقد أوصى المعصومون الناس باتباع المهدي عليه السلام وقالوا: لو اتبعتموه، لـ «سَلِّكَ بِكُمْ مَنَاهِجَ الرَّسُولِ فَتَدَاوَيْتُمْ مِنَ الْعَمَى وَالصَّمَمِ وَالْبُكْمِ...»^(٥). فإنه يحطم حصون الضلال ويفتح القلوب المغلقة، ويملاً

١ - الحج: ٤٣.

٢ - تفسير فرات الكوفي: ص ٢٧٤، ح ٣٧١.

٣ - كشف الغمّة للإربلي: ج ٢، ص ٤٩٣.

٤ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٧٩، ح ١٨٧.

٥ - الكافي: ج ٨، ص ٦٦.

٦ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج ٢، ص ٥٣٣ و ٥٨٨.

الأرض عدلاً كما ملئت منهم ظلماً وجوراً، أنجي به من الهلكة وأهدي به من الضلالة^(١).

٢- استقرار العدل والأمن:

إن قيام دولة المهدي عليه السلام واستقرار حكمه العالمي يؤدي إلى آثار ونتائج إيجابية مؤكدة على مستوى العالم، فمنها انهيار دولة الباطل، واستئصال جذور الحروب، وكافة أشكال الجور والتمييز والظلم والاستعباد، واستتباب السلام والأمن، واستقرار العدل ونشره.

وسيتّم القضاء على جميع أشكال الشرّ، ولا سيّما ما تركه حكّام الجور وغيرهم من المترفين والمستكبرين الحاقدين من تراث المثالب والسيئات، ووحده الخير سيبقى، والبرّ الذي سيعمّ أرجاء المعمورة، وسيزول الشرّ، ويبقى الخير^(٢)، وتخلو الأرض من أيّ عدوان ورجس وظلم. أجل، إنّها دولة المهدي الموعود الذي يطهر الله به الأرض من كلّ جور، ويقدّسها من كلّ ظلم^(٣).

وبناءً على ما أوردناه يمكن إحصاء الآثار والنتائج الآتية:

أولاً: استقرار دولة الحق

إنّ من بركات ونتائج خروج الإمام الباهرة هي فيما يكون من بشارة الفرج للنّاس في وعد الله الذي لا يخلف^(٤)، وعزّة

١ - كمال الدين للصدوق: ج ١، ص ٢٥١، ح ١.

٢ - عقد الدرر في أخبار المنتظر للمقدسي الشافعي: ص ٢٦، إلزام الناصب للحائري اليزدي: ص ٢٢٨.

٣ - كمال الدين للصدوق: ج ٢، ص ٣٧١.

٤ - الأمل للطوسي: ص ٣٥٢، ح ٧٢٦.

المسلمين وكبرياءهم^(١)، وسنامهم الأعلى^(٢)، وإدراك يوم الفتح والنصر^(٣)،
واستقرار الأمن والعدل في ظلّ حكومة المهدي العالمية العادلة:

أ- الحكم العالمي العادل:

إنّ المهدي وأصحابه يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها^(٤)، ويفرض
سلطان دولتهم على شرق العالم وغربه^(٥).

ب- ظهور أفضل الدول:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام هذا البيت من الشعر يبشّر به دولة المهدي

عليه السلام:

لِكُلِّ أَناسِ دَوْلَةٌ يَرْقُبُونَهَا وَ دَوْلَتُنَا فِي آخِرِ الدَّهْرِ تَظْهَرُ^(٦)

أجل، إنّها أفضل الدول التي يصفها الإمام الصادق عليه السلام بهذه العبارات:
«دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا
يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء وهو قول الله عزّ
وجلّ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٧). وأيضاً قال عليه السلام: «فَعِنْدَهَا يَتَلَأَأُ صَبْحُ
الْحَقِّ، وَيَنْجَلِي ظِلَامُ الْبَاطِلِ»^(٨).

١ - كنز العمال للهندي: ج ١٤، ح ٧٨٧٠٠.

٢ - الغيبة للنعماني: ص ١٩٥، ح ٢.

٣ - تأويل الآيات الظاهرة، لشرف الدّين الحسيني: ص ٤٣٨، وفيه «يوم الفتح تفتح الدنيا على القائم».

٤ - تفسير القمي: ج ٢، ص ٨٧.

٥ - كمال الدّين: ج ١، ص ٣٨٠، ص ٢٧.

٦ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٤٣، ح ٣.

٧ - كتاب الغيبة للطوسي: ص ٤٧٣.

٨ - كمال الدّين: ج ٢، ص ٤٤٨.

ج - زوال دولة الباطل:

عند ظهور القائم تزول دولة الباطل^(١)، وقد أشار أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أن زوال ملك الأمراء والجبابرة يكون على يد قائمهم^(٢) وأصحابه الذين «يظهر الله الحق بهم، ويحمد الباطل بأسيافهم»^(٣)، وهو الذي «يبير الله به كل جبار عنيد، ويهلك على يده كل شيطان مريد»^(٤). وفي الحديث: «إن الله سبحانه وتعالى خاطب حبيبه المصطفى محمد ليلة الإسراء والمعراج» وقال مما قال عن القائم: «وبه أظهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي»^(٥). وبشر المعصومين شيعتهم بالفرج والقضاء على أمرائهم من الطغاة والجبابرة: «وَلْيَعْرِزَنَّ عَنْكُمْ أَمْرَاءَ الْجَوْرِ وَلْيُطَهِّرَنَّ الْأَرْضَ مِنْ كُلِّ غَاشٍّ»^(٦).

ثانياً: استقرار القسط والعدل

إن أهم وأبرز ما ينتج عن تشييد الدولة المهدية نشر - القسط والعدل في كافة أرجاء البسيطة، وزوال الظلم والجور. والعدل والقسط ما تهوي إليه الأفئدة وتحيد إليه النفوس وتنشده فطرة البشر، فالكل يطمح بأن يوصف بالعدل ولا يوصم بالظلم.

وأما الرسل فقد اتخذت من العدل والقسط غاية لها، وقد أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..﴾^(٧) بأهمية هذه المفاهيم البالغة، وكما أسلفنا فإن جهود الرسل في تحقيق القسط لم تفلح، ووحدها

١ - كتاب الغيبة للطوسي: ص ٢٣٩.

٢ - كمال الدين: ج ٢، ص ٣٥٤، ح ٥١.

٣ - الأمل للطوسي: ص ٣٥٢، ح ٧٢٦.

٤ - الصراط المستقيم: ج ٢ ص ٢٢٩.

٥ - الأمل للصدوق: ص ٦٢٣، ح ٤.

٦ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٢٠، ح ٢٣.

٧ - الحديد: ٢٥.

دولة المهدي القادرة على تحقيقه على وجه الأرض ونشره بشكل دائم يسع الجميع، كما جاء في الحديث: «ويسعهم عدله»^(١). ويشهد البشر على كافة الأصعدة من السياسية والاقتصاديّة وحتى الاجتماعيّة وغيره عدلاً وقسطاً منقطع النظير، ويسود التعادل والاستقرار كافة مناحي الحياة البشرية.

وجاء في الروايات أنّه: «يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٢)، سيدخل عدله بيوت الناس كما يدخل الحرّ والبرد^(٣). كما أنّ الأرض تحيي بعدله بعدما أماتها جور الجبابرة وظلمهم، كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٤) «موتها»^(٥) قال: «يحييها الله عز وجل بالقائم بعد موتها بموتها كفر أهلها والكافر ميّت»^(٦)، ويحيي سيرة العدل والحكم العادل، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: «فِيرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السَّيْرَةِ وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»^(٧).

ثالثاً: سيادة السلام والأمن

ومن ملامح دولة المهدي الموعود الأخرى، استتباب الأمن والسلام الحقيقي، حيث يسود الوثام والهدوء جميع مناطق العالم المتوتّرة والمضطربة. ففي حكمه يزول الخوف ويعمّ الأمن ويؤمن الناس على أرواحهم وأموالهم واعتبارهم. ويتم تحت ولايته للعالم إجتثاث القمع والتعسف والتشدد والاستعباد والاستكبار والاستضعاف كترات الحكومات الغير

١ - الغيبة للطوسي: ص ١٧٩.

٢ - الأمل للطوسي: ص ٢٣٩، ح ٢٤.

٣ - إثبات الهداة: ج ٣، ص ٥٤٤، ح ٥٢٩.

٤ - الحديد: ١٧.

٥ - كمال الدين للصدوق: ج ٢، ص ٣٨٤.

٦ - نهج البلاغة: الخطبة ١٣٨.

إلهية، وسيتم إقصاء مقترفيها تحت أيّ مسمّى كانوا وبأيّ صفة قاموا بهذه الجرائم.

إنّه عصر - لم يعهده البشر - حيث يتمتّع بإنجازاته طيلة أيام حياته، وستكون أفضل وأجمل عهد يعيشه هذا المقهور طيلة القرون والعقود على المعمورة. أجل إنّه هو المهدي المغيث والمنقذ والمعين للمستضعفين والمظلومين والصالحين جميعاً. قال رسول الله: «يخرج المهدي في أمتي يبعثه الله غياثاً للناس...»^(١).

أ - الأمان والراحة :

«إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور، وآمنت به السُّبل»^(٢).
 «... لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على النبات وعلى رأسها زينتها لا يهيجها سبع ولا تخافه»^(٣).
 «... تخرج العجوز الضعيفة من المشرق تريد المغرب ولا ينهاها أحد...»^(٤).

ب - السلام والطمأنينة:

«... (تذهب) الشَّحْنَاءُ مِنْ قُلُوبِ الْعِبَادِ وَ(تصطَلح) السَّبَاعُ وَالبَهَائِمُ»^(٥).

١ - كشف الغمّة: ج ٢، ص ٤٧٠.

٢ - الإرشاد للمفيد: ج ٢، ص ٣٨٤.

٣ - الخصال للصدوق: ج ٢، ص ٢٢٦.

٤ - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٦١.

٥ - منتخب الأثر لصافي الكلّيباگانی: ص ٥٩٢.

«... ويعدل بين الناس حتّى ترعى الشاة مع الذئب في موضع واحد، وتلعب الصبيان بالحية والعقرب ولا يضرّهم، ويذهب الشرّ، ويبقى الخير...»^(١).

ج - رفع الخلافات والفتن:

«فَوَاللّٰهٖ يَأْمُرُكَ أَنْ لَّا يَكُونَ لِلدِّينِ كُفُّهُ وَاِحِدًا»^(٢).

«يطفىء الله به الفتنة، ويأمن أهل الأرض حتّى تحجّ المرأة في خمسة نسوة ما معهنّ رجل، لا يتقين شيئاً إلا الله»^(٣).

وعن الصادق عليه السلام: «محبوب في الخلائق، يطفىء الله به الفتنة، ويأمن أهل الأرض»^(٤).

٣- تحقّق المعنوية والعقلانية في العالم:

إنّ سموّ وكمال المجتمع من الناحية الأخلاقية والدينية والثقافية وسيادة الفضيلة والخير وتحقيق المعنوية والعقلانية من بركات وآثار دولة الإمام المهدي الجليلة والفريدة. وبناءً على هذا سيزول الشرّ والرجس، وستبوء الإيحاءات الشيطانية بالفشل، وسيزول معها الكذب والطمع والحرص والحقد والكفر والفساد والزنى من العالم ليحلّ محلّها وباستقرار حكم المهدي النور والقدسية والطهارة والتوحيد والخلق الحسن. فيتكامل الناس

١ - إلزام الناصب لليزدي الحائري: ص ١٣٩.

٢ - بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٤.

٣ - بشارة الإسلام لمصطفى آل سيد: ص ١٨٥.

٤ - يوم الخلاص لكامل سليمان: ج ٢، ص ٦٤٠، بشارة الإسلام: ص ١٨٥.

في ظلّ دولته روحياً وعقلياً، وتتنحّى أسباب الفساد والانحراف عن طريق تعالي البشر، حيث يسلك بعناية الله سبيل الازدهار الفكري في مستقبل التاريخ بعدما خضع لتربية دينية في ظلّ تلك الدولة البهيّة، وخلف وراءه المجتمع الفاسد وأرجاسه الذي سبق ظهور الحجّة، واستقبل برحابة الصدر المدينة الفاضلة التي لطالما حلم بها الحكماء والعلماء.

والدليل على ذلك ما ورد في الحديث عن هذا التغيير الهائل والمثير في أدمغة البشر أبان حكم المهدي عليه السلام: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وأكمل بها أخلاقهم»^(١). ويمكن بيان مشاريع التغيير الثقافي والديني في دولة الحجّة المنتظر في النقاط التالية:

أولاً: التحوّل الروحي

أ- طهارة العالم ونقاؤه:

«إنّ قائمنا إذا قام أشرق الأرض بنوره، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلم»^(٢) ويعني بالاستغناء: تجرّد البشر - من الأسباب المادية.

«... ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً...»^(٣).

«وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»^(٤).

١ - الخرائج والجرائح للراوندي: ج ٢، ص ٨٤٠.

٢ - كشف الغمّة للإربلي: ج ٢، ص ٤٦٤.

٣ - الغيبة للنعماني: ص ٢٣٧، ح ٢٦٠.

٤ - أعلام الوري للطبرسي: ص ٣٩١.

ب - العبادة والعبودية:

«ويُقبل النَّاس على العبادات والشرع والديانة، والصلاة في الجماعات، وتطول الأعمار، وتؤدّي الأمانات»^(١).

«أبشروا بالمهدي ... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، يملأ قلوب عباده عبادة، ويسعهم عدله»^(٢).

«ويُقبل النَّاس على العبادات والشرع والديانة»^(٣).

«فلا يبقى في الأرض معبود دون الله من صنم ولا وثن إلا وقعت فيه نار فاحترق، ذلك بعد غيبة طويلة؛ ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به»^(٤).

ج - إجتثاث الرذائل الأخلاقية:

«يظهر على الثقلين، ولا يترك في الأرض دمين»^(٥).

«دولة إبليس إلى يوم القيامة، وهو يوم قيام القائم»^(٦).

«ولا يُعصى الله في أرضه، وقام حُدودُ الله في خلقه»^(٧).

«لا يبقى كافرٍ إلا آمن به، ولا طالحٍ إلا صلح»^(٨).

«ولَيَقْبِضَنَّ عَنْكُمْ المَرَضِينَ، وَلَيَعَزِلَنَّ عَنْكُمْ أُمَّرَاءَ الجُورِ، وَلَيَطْهَرَنَّ الأَرْضَ مِنْ كُلِّ غَاشٍ»^(٩).

١ - منتخب الأثر لصافي الكلبيگاني: ص ٥٩٢، ح ٤.

٢ - الغيبة للطوسي: ص ١٧٩.

٣ - منتخب الأثر لصافي الكلبيگاني: ص ٥٩٢، ح ٤.

٤ - أعلام الوري للطبرسي: ص ٤٦٣.

٥ - المحجة فيما نزل في القائم الحجة لهاشم البحراني: ص ٢٧٥.

٦ - الغيبة للنعماني: ص ٢٧٥، ح ٥٥.

٧ - تأويل الآيات الظاهرة: ص ٧٨٠.

٨ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ١٢٧، ح ٢٠.

«ويرفع الربا والزنا وشرب الخمر»^(٢).

ثانياً: سيادة الإسلام وانتشار شريعته

إنّ ممّا يمتاز وينفرد به المجتمع المهدوي الموعود هو إقبال الناس نحو التوحيد، فيُعبد الله وحده لا شريك له. إنّ هذا الإقبال يصحّ الانحراف القائم منذ آلاف السنين في عبادة البشر للبشر ولغير الله.

إنّ هذه ميّزة يفتخر بها الجميع في مملكة القائم؛ لأنّهم يعبدون الحقّ سبحانه، ويرفضون ما سواه، فيسود التوحيد الخالص لوجه الله دون ريب وشائبة. إنّ الإلحاد والشرك بالله وتزوير الدين يشكّل أحد المشاكل التي ابتلي بها البشر على مرّ التاريخ، وقد تسبّبت هذه الانحرافات بنشوء الخلافات والحروب والإعجاب، ممّا أبعد الإنسان من غاية حياته الأساسيّة؛ وهي التقرب إلى ذات الله تعالى.

إنّ الكفر والإلحاد والشرك ومعاندة الدين أصبح من ميّزات مجتمعات العصر الحاضر، وقد اتّخذ منحىً خطيراً في الآونة الأخيرة. إنّ هذا النمط من التفكير وهذا الاتجاه في الرأي سيترك نتائج خطيرة على تطوّر ذات الإنسان واعتزازه، وسقوط القيم الروحية لديه.

إنّ ما تثمره سيادة الإسلام يتمثّل في تحقيق المجتمع الديني وزعامة الدين في قول وفعل الناس، وفي سلوكهم العقائدي في المجتمع.

أ- إلغاء وإبطال مختلف الأديان والمذاهب:

«يرفع المذاهب من الأرض، فلا يبقى إلاّ الدين الخالص»^(٣).

⇨

١- المصدر السابق: ج ٥١، ص ١٢٠.

٢- ملحقات الإحقاق للمرعشي: ص ٦١٦.

٣- بحار الأنوار: ج ٥١، ص ١٢٠، ح ٢٣.

«فو الله يا مفضل! فيرفع عن الملل والأديان الاختلاف، ويكون الدين كله واحداً، كما قال جل ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾»^(١).

ب - سيادة التوحيد:

عندما يقوم المهدي لا تبقى أرض إلا وارتفع فيها نداء التوحيد^(٢).

عَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رَبِيعٍ: أَنَّهُ سَمِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... الآية... أَظْهَرَ ذَلِكَ بَعْدُ؟، كَلَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! حَتَّى لَا يَبْقَى قَرْيَةٌ إِلَّا وَنُودِيَ فِيهَا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(٣).

«إذا قام القائم لا تبقى أرض إلا نوذي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله»^(٤).

«لا يبقى في المشارق والمغرب أحد إلا وحد الله»^(٥).

ج - هيمنة دين الحق وانتشاره:

«ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام، ويعترفوا بالإيمان»^(٦).

«يمتد الإسلام إلى حيث ما امتد إليه سواد الليل»^(٧).

١ - ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢، ص ٥٦.

٢ - بشارة الإسلام لمصطفى آل سيد: ص ٢٦٥.

٣ - التوبة: ٣٣.

٤ - ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢، ص ٥٠٦.

٥ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٦٠، ح ٥٩.

٦ - تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٠٦.

٧ - أعلام الوري للطبرسي: ص ٤٦٣.

٨ - يوم الخلاص لكامل سليمان: ج ٢، ص ٦٠٢.

ثالثاً: كسب وذا الناس ورضا العالمين

إنّ حكومة الإمام المهدي ليست حكومة جور وسيف، ولا دولة ابتزاز وقمع؛ إنّها حكومة تهواها القلوب وترتاح لها الأنفس، تنتهج سياسة المحبة والودّ، وتؤلّف بين قلوب العباد المتباعدة من جراء حكم الجبابرة. إنّها لا تعمل لنيل مصلحة شخصية أو فتوية، ولا تسعى إلى الأهواء المادية والنفسانية، بل تهدف إلى تحقّق الحكم الإسلامي الحقيقي، وخدمة المؤمنين والصّالحين، ومقارعة الظلم والجور والقهر. ومن هذا المنطلق تقوم بتقديم كافة الإمكانيات والمصادر المادية والمعنوية للناس لمساعدتهم في بلوغ مراتب السموّ والشموخ. وسينال كلّ ضالّته، ويبلغ مناه في حبّ قائده العادل والعالم، وسيعلمون عن ارتياحهم ورضاهم لحكمه ومملكته الكريمة.

«يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويملاً الله عزّ وجلّ قلوب عباده غنى، ويسعهم عدله»^(١).

«يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السّماء، والطير في الجوّ»^(٢).

«يفرح به أهل السماء والأرض»^(٣).

«وفرح المسلمون عند ظهوره مبتهجين»^(٤).

رابعاً: الرّقّي والتطوّر الشامل

سيشهد العالم في عصر الظهور تطوّراً وتنميةً لم يسبق لها مثيل في كافة مجالات العلم؛ من صناعة وتقنية وإنتاج وما شابه، حيث لم يبق أمامه

١ - دلائل الأئمة لمحمد بن جرير الطبري: ص ٢٥٩.

٢ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٨٠.

٣ - عقد الدرر للمقدسي الشافعي: ص ١٤٧.

٤ - إلزام الناصب لليزدي الحائري: ص ١٩٢.

مجهول إلا وعلمه، ولا خفي إلا وكشفه. وسيفتح كل باب من العلم أبواباً
عدّة أمام الإنسان، وسيكشف غطاء الظلمة والجهل عن أعينه فيصبح
بصره حديداً في المعرفة والتقنية.

وستتطور تقنيات المعلومات والاتصالات ووسائل النقل بسرعة هائلة،
ليستفيد الناس من مواهب هذه العلوم والتقنيات. وما يمتاز به هذا التطور
السريع في العلم، وعلى عكس ما تشهده الآن عملية التطور العلمي، إنها
تقترن بالحكمة والبصيرة، وسيطلع الإنسان على حقيقة الدنيا والطبيعة،
وبواطن أمورها وخفايا جوانبها، وسيستخدمها لعملية بلوغ الكمال
المنشود. وقد ورد ما يؤيد هذا الكلام في الروايات الواردة عن أهل البيت
عليهم السلام:

«إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمع الله به عقولهم،
وأكمل به أحلامهم»^(١).

«إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ مَدَّ اللَّهُ لِشِيعَتِنَا فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، حَتَّى لَا يَكُونَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَائِمِ بَرِيدٌ، يُكَلِّمُهُمْ فَيَسْمَعُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي مَكَانِهِ»^(٢).
«وتوتون الحكمة في زمانه، حتى أنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى
وسنة رسول الله»^(٣).

«إذا قام القائم مدّ الله في أسمع الناس وأبصارهم»^(٤).

ويمكن استخلاص النقاط التالية من هذه الروايات:

أولاً: لا حدّ ولا قيود لإفاضة علم الإمام عليه السلام الواسع، وستشهد مختلف
أقسام العلوم البشرية وفروعها هذا الرقي والتطور المتسارع، حيث لم يخطر
ببال أحد ما ستنتهي به هذه العلوم.

ثانياً: أنّ هذا العلم المتطور متصل بغيب الله وعلمه اللامتناهي،

١ - منتخب الأنوار المضيئة لعلي بن عبدالكريم النيلي: ص ٢٠٠.

٢ - بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٣٣٦.

٣ - الغيبة للنعماني: ص ٢٣٩، ح ٣٠.

٤ - إثبات الهداة للطبرسي: ج ٣، ص ٥٢٤، ح ٤٠٤.

فسيحمل تبعات ونتائج إيجابية واسعة ينتهزها البشر لبلوغ الغاية المنشودة بأفضل وجه وأحسن شكل. وأما تأثيرات هذا التطور فستنعكس على وجهين:

الوجه الأول: ستتحسن الحياة المادية في ظلّ هذا التطور، وسينعم الناس بأقصى درجات الرخاء والراحة.

الوجه الثاني: ستأخذ حياة الإنسان طابعاً أخلاقياً معنوياً في ظلّ انتشار الحكمة والعلم المتنامي والرخاء المتوافر، وسيخرج الإنسان من سجن المادية، ويتخلص من آراء ونظريات البشر الضيقة.

ثالثاً: سينعم الجميع - رجل كان أو امرأة، فقيراً كان أو غنياً، شاباً يافعاً كان أم رشيداً ناهز النصف من عمره - من نتائج تطور العلم والحكمة وآثارها، حيث ينفذ العلم والمعرفة إلى كافة جوانب الحياة، وستدور الحياة حول العلم والعلم بدلا من الغريزة والشهوات.

رابعاً: ومما ينتج من تطور العلم البشري ازدهار الأفكار والآراء، والإقبال المتزايد نحو العقلانية والعقل المجرد. فتتسم بناءً على هذا جميع أفكاره وأقواله وسلوكه بالعقلانية البالغة، تسمو نحو سعادته الحقيقية وكمال الإلهي.

خامساً: وبموازاة تطور العلم البشري في كافة المجالات ومناحي الحياة تبشر الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام بالتغيرات الأساسية التي تطرأ على مجالات الاتصالات والمعلومات، وكيفية السفر، حيث تتلائم وتتطابق مع إزامات ومستلزمات الحكومة العالمية الواحدة. وستتصف عملية إيصال وتلقي المعلومات والأخبار والسفر بين البلاد بسرعة ودقة بالغتين حيث تزول العوائق وترتفع الحواجز.

خامساً: إنفراج الأمور واستتباب الراحة (الفرج)

ومن البركات والآثار الهامة الأخرى للدولة المهديّة - وخاصة للشيعّة

والمسضعفان فف العالم - انفراج الأمور وحلّ العُقءء، وإنهاء المصاعب، وإقصاء المتاعب، وبلوغ الراحة والاطمئنان. إنّ الراحة والطمأنينة بضاعتان لا توجدان فف دكانة أئف بائع ولا فف متجر أئف تاجر فف عالمانا المعاصر.

لقد ابءل الإنسان وفف غضون العقود الأخيرة بءاء الحءاءة والعصرنة الءة جلبت له أشكال الأمراض والأسقام النفسفة والروءفة من الكآبة القائمة إلى العءائفة المءاصلة وشتف أنواع الصعوبات والإحباط، منءقلاً ففها من ءاء إلى ءاء، ومن معاناة إلى معاناة، كالغرق فف شءبء بكُلّ حشفش. والائمة ءللّه طففب القلوب والءواء لهذا الءاء، والوئفء الءف فف استطفع القضاء على هذه الآلام وفوففر الءفا الطففة والكرفمة لأبناء البشر كافة.

«وبه ففرج الله عن الأمة..»^(١).

«هو المفرج للكرب من شفعه، بعء ضنك شءفء، وبلاء طوفل، وجزع وخرق، فطوبف لمن أءرك ذلك الزمان»^(٢).

سادساً: القضاء على الأمراض والإعاقات

ومن آءاره وبركاته الأءرف: سءكون القضاء على الأمراض المعدفة، وعلاج الأمراض المسءعصفة، وطول عمر البشر، وإزالة الوهن والخوف من قلوب شفعه اهل البفء ءللّه. وسفأف هذا الأمر نءفءة لءطوات ءولة المهءف الموعوء الإفءابفة، كالعنافة بالصءة العامة والبفئة والإشراف على الإءارة المءنفة من ءانب وءطور العلم البشرف فف مءال الطبّ والعلاج من ءانب آءر وأفضاً إءتمام الإمام الءاص بشفعه اهل البفء ءللّه.

«إءا قام القائفم أءهب الله عن كل مؤمن العاهة، ورءء إليه قوؤه»^(٣).

١ - الغفة للطوسف: ص ١٨٧.

٢ - أعلام الورف للطبرسف: ص ٤٣٠، ح ٢٤.

«تزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي»^(١).

٤- التنمية والرخاء الحقيقي:

إن دولة المهدي لا تكون دولة نفعية أحادية الجانب، إنها دولة تضع مصالح الناس الحقيقية في صلب اعتباراتها وستتخذ خطوات التغيير والتحوّل الإيجابي في شؤون حياة الإنسان كافة وعلى جميع الأصعدة. إن الغاية الأساسية لكل هذه الخطوات والبرامج - وإن كانت سياسية واقتصادية - والمآرب الحقيقية منها هو وصول الإنسان إلى درجة الكمال الأخلاقي القصوى في سبيله نحو الله سبحانه وتعالى، ولكن هذا التوجه المعنوي والسبيل السامي لا يعني إهمال الجانب الظاهري والمادي لحياة الإنسان، فستؤدي مجموع هذه الخطوات إلى تطور فائق ورخاء اقتصادي فريد لحياة الإنسان، فتزول الهوة والتمييز الطبقي ويتكافئ الناس في مصادر الثروة العامة. وفي ظل الرخاء الاقتصادي يتمتع الإنسان بما يشتهي ويهوى، وسيستغني عن المال والثروة، فلا متاعب ولا كفاح بعد ذلك اليوم في الحصول على لقمة العيش الكريمة وأي شيء يحتاجه البشر.

وفي ذلك العصر سيزدهر اقتصاد المجتمع وينتهي الفقر، يعمّ الإعمار وتنشط التجارة، تكشف الأرض عن خزائنها التي أخفتها آلاف السنين، وتبدي ما كانت تخفيه ليستغلّ البشر ما كمن في المناجم وما دفن من غنائم. ستوزع جميع الإمكانيات إلى كافة مناطق العالم وفق حاجاتها، ولا يعتنى بمنطقة دون أخرى، ولا تهمل أرض دون عمل.

وأما السماء فتفيض بغيثها، وتجد بعينها، وستمتلئ الأنهار والينابيع والجداول، وتخصب الأرض القاحلة، وتدفع بما فيها من قوّة، وتزدهر الزراعة.

⇒

١ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٦٤، ح ٣٨.

٢ - الإرشاد للمفيد: ج ٢، ص ٣٧٠.

أ - زيادة النعمة والبركة :

«تعمّ البركة، وتكون أمتي في عصره على أحسن حال لم يكن قبله قط»^(١).
 «تتعمّ أمتي في زمانه نعيماً لم يتنعموا مثله قطّ، البرّ والفاجر، يرسل الله السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها»^(٢).
 «تتعمّ أمتي في زمانه نعيماً لم يتنعموا مثله قطّ...»^(٣).
 «... وَكُفَيْتُمْ مَوْنَةَ التَّعْسُفِ وَالطَّلَبِ وَنَبَذْتُمْ الثَّقَلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ...»^(٤).
 «فيحييها الله بالقائم فيعدل فيها، فتحيي الأرض ويحيي أهلها بعد موتهم»^(٥).

ب - العطاء الغزير واستغناء الناس :

«يكون عطاؤه هنيئاً»^(٦).
 «ويطلب الرجل منكم من يصله بهاله ويأخذ منه زكاته، فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك لاستغناء الناس بما رزقهم الله من فضله»^(٧).
 «فيجيء إليه الرجل فيقول، يا مهدي، أعطني أعطني، قال: فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»^(٨).
 «وَيَجْعَلُ اللَّهُ الْغِنَى فِي قُلُوبِ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(٩).

١ - العُرف الورددي في أخبار المهدي للسيوطي: ص ٩٩.

٢ - كشف الغمة للإربلي: ج ٢، ص ٤٦٧.

٣ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٧٨، ح ٣٧.

٤ - المصدر السابق.

٥ - تأويل الآيات الظاهرة لشرف الدين الحسيني: ص ٦٣٨.

٦ - كشف الغمة للإربلي: ج ٢، ص ٤٧٢ و ٤٨٣.

٧ - أعلام الوري للطبرسي: ص ٤٦٤.

٨ - العمدة لابن البطريق: ص ٥٣٥.

٩ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٨٤.

«إذا خرج المهدي ألقى الله الغنى في قلوب المؤمنين»^(١).

ج - عمران واخضرار العالم :

«فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلا عمّر»^(٢).

«فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها، تخضّر-

الأرض وتجري المناهل... ويكثر الخير والبركة»^(٣).

د. ظهور خيرات الأرض وبركاتها

«ويظهر الله عزّ وجلّ له كنوز الأرض ومعادنه»^(٤).

«فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتُبدى بركاتها»^(٥).

هـ - كثرة المياه والمحاصيل :

«لا تدعُ السماء من قطرها شيئاً إلا صبّته مدراراً، ولا تدعُ الأرض من

نباتها شيئاً إلا أخرجته»^(٦).

«لو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها»^(٧).

النتيجة:

إن لكل مشروع وحل ضمانة تنفيذية قوية في «حكومة العدل الإسلامي»

يشرف عليها قائدها، فهو مدير «صالح، وعادل، وواع، وشجاع، وعالم».

إن كافة هذه المشاريع تصبّ في مصلحة الناس وإسعادهم ونيل رضاهم.

١ - ملحقات الإحقاق للمرعشي: ج ٢٩، ص ٣٣٤.

٢ - كشف الغمّة: ج ٢، ص ٥٣٤.

٣ - ينابيع المودة للقندوزي: ج ٢، ص ٥٦٠.

٤ - كمال الدين للصدوق: ج ٢، ص ٣٩٤، ج ٤.

٥ - الإرشاد للمفيد: ج ٢، ص ٣٨٤.

٦ - بشارة الإسلام لمصطفى آل سيد: ص ٧١.

٧ - تحف العقول للحرّاني: ص ١١٥.

إنّ ما أوردناه في هذا المقال يمكن تلخيصه في النقاط المبينة أدناه:

١- استقرار الحكومة العالمية الشاملة :

إنّ حكومة الإمام المهدي ودولته ستكون شاملة وعامة، وسيتمدّ سلطانه من شرق العالم حتّى غربه، وسيتمّ القضاء على الاستبداد، واحتكار السلطة والمسؤولية، وسيتفق الجميع على طاعة هذا الحاكم العالمي القوي.

وتظهر الروايات الواردة في هذا الشأن أن العالم سيقسم إلى ٣١٣ جزءاً، يؤمّر الإمام على كلّ جزء منها أحد أصحابه الـ ٣١٣

٢- الدين العالمي الواحد:

إنّ الإسلام سيكون الدين السائد والمقبول عند الناس في الحكومة العالمية الواحدة، ممّا يدلّ على برنامج الإمام المهدي وخارطة طريقه الشاملة، حيث يحتضن الناس الإسلام برغبة وطواعية، وسيعلمون أنّ إنقاذهم من الشرّ والظلام وسعادتهم في الدنيا والآخرة ستكون في العيش تحت راية الإسلام. وهذا بدوره يؤدي إلى سيادة الفضائل الأخلاقية والكرامة الإنسانية في أرجاء العالم كافة وزوال الفساد والإلحاد والكفر.

٣- العدالة الشاملة:

العدالة بشئى أقسامها الاقتصادية والقضائية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية تشكّل أحد طموحات وآمال البشرية ومطالباته عبر التاريخ الطويل والمرير؛ لأنّه احتاج إليها بلا شكّ ولا ريب. إنّ هذا المطلب الأساسي والحاجة الملحة لن تتحقّق إلّا بمجيء «المنجي الموعود» حيث يكون العدل والقسط والمساواة سمة حكمه الأساسية والأولى.

٤- الأمن والسلام العالمي:

إنّ الأمن والسلام الحقيقيين والهدوء والطمأنينة - هي كنز حياة الإنسان المفقود - من أبرز سمات حكومة إمام الزمان العالمية الشاملة: وسيزول الخوف في عصره، ويؤمنّ الناس في أموالهم ونفوسهم وشرفهم، وسيخيم الأمن والاستقرار على أرجاء البسيطة كافة، وسيتمّ القضاء على كافة أشكال الجور والاستبداد والاستكبار والاستضعاف، واستئصالها بصفاتها مميزات لحكومات غير إلهية، وتنتهي بالقضاء عليها حكومات الطواغيت تحت أيّ شكل ومسمى.

٥- أمة عالمية واحدة:

إنّ من ضمن ما لا يتحقّق في العالم وفي ظلّ الوضع الحالي هو التضامن والوحدة بين الناس، وإيجاد السبل للتقريب بين وجهات النظر المختلفة والآراء المتشعبة والمطالب الجمة والطموحات المرجوة. لكن كلّ هذا الشتات والتفرّق سيزول بظهور المصلح الموعود، فبفضل وجوده وفيض حضوره يرتفع وعي الناس، وتتسع بصيرتهم، وتنتهي الأنانية، ويذهب الغرور، وينتشر - التضامن، وتسود الوحدة الحقيقية المدهشة بين البشر. وعندما يشيد الإمام الأمة العالمية الواحدة تتنحى الخلافات والأحقاد والتشدد والعداء جانباً ليحلّ محلّها الوئام والتآلف، وتجتمع البشرية الموحدة تحت راية الإمام وطاعته.

٦- التطور والرخاء العالمي:

ستتحسّن في دولة المهدي الكريمة حالة الناس المعيشية والاقتصادية، حيث يتمّ اجتياز هذه العقبة وطّي ملفّها نهائياً. وستظهر النعم الإلهية، وتزداد المياه غزارة، والأرض خصوبة، والمناجم إنتاجاً. لا يبق فقير

ليحتاج إلى استلام مساعدة من بيت المال، وتزدهر الحركة الاقتصادية
النشطة لينعم الجميع بخير دولة المهدي وبركاتها، ويتركون وراء ظهورهم
الوجه القبيح للفقير، واللامساواة، وهيمنة امبراطورية رأس المال.

٧- الكمال العقلي والعلمي:

من طموحات الإنسان الأخرى بلوغ قمم المجد العلمي والعقلي، وهذا
الأخير لا يتحقق إلا في دولة المهدي القائم. حيث يبلغ علم البشر ذروته
وكماله، وستفتح أمامهم نوافذ الحكمة والعلم. لا تبقى في ذلك العصر-
معضلة ولا مسألة مجهولة دون حلّ، ويرتفع مستوى الوعي والعلم والفكر
لدى البشر؛ ليتمكنهم من التغلب على أيّ مشكلة تقف أمامهم بفضل حدة
ذكائهم وقوة عقولهم الوقاد. كما تبلغ التقنية أوجها في كافة المجالات من
اختراع واكتشاف واتصالات ل يتمتع الناس بأهنى وأفضل معيشة في أفضل
وأجمل أيام عرفتها البشرية.

٨- تجديد العالم والبحث الجديد:

سيكون الإحياء والتجديد والتغيير في الشؤون الاقتصادية والثقافية
والسياسية من أهم مشاريع وبرامج حكومة المهدي على مستوى العالم.

٩- الحصول على رضى الناس ووردهم:

وأخيراً وليس آخراً ومن أبرز سمات حكومة المهدي المنتظر هي اكتساب
رضى وودّ سكان السماوات والأرض. وكيف لا يرضى بها الجميع وهي
دولة نشرت العدل والرخاء والعلم، وناهضت الفقر والظلم والجور؟! إنها
تنال رضى الناس؛ لأنهم يعيشون في رغد وئسّر- وسرور. وقد جاء في
الروايات إنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يفرح

بحكمه أهل السماء والأرض وحتى الطيور^(١).
وجاء أيضاً: «يفرح لخروجه أهل السماء وسكانها، يملأ الأرض عدلاً كما
مُلت جوراً وظلماً»^(٢).

١ - لوائح الأنوار: ج ٢، ص ٧٠.

٢ - الغيبة للطوسي: ص ١١٦.

دراسة في روايات الحسيني

نجم الدين الطبسي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين سيّما الإمام الحجّة بن الحسن المهدي (روحي فداه).
وبعد.. طالعت وبكلّ اعتزاز كتاب «دراسة في روايات الحسيني» وهو الرابع من تقرير أبحاثنا حول المهدي عليه السلام في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، والدراسة حول الحسيني ومدى اعتبار رواياته ومدى دلالتها. والتي كتبها وقرّرها ولدنا العزيز الشيخ عامر الزرفي، حيث كان جاداً وبادلاً جهده واهتمامه للحضور في هذه الدروس وتقرير الأبحاث وتنظيمها أيام حضوره في قم المقدّسة.

ثمّ بعد عودته إلى النجف الأشرف - الحوزة المقدّسة - إستمرّ وواصل مسيرته المباركة، ثمّ بعثها إلينا - إلى قم المقدّسة - فطالعناها بدقّة، وقد أعدنا النظر وأضفنا إلى هذا التقرير بعض الملاحظات والتحقيقات الضرورية، وطائفة أُخرى من الروايات مع المناقشات السندية والدلالية والتي أوردناها لاحقاً في درسنا بحث الخارج حول قضية المهدي عليه السلام.

نسأل الله أن يوفق ولدنا العزيز لكلّ خير ويجعل سعيه مشكوراً، ويكثر أفضاله في مجتمعنا الحاضر، إنّه سميع مجيب.

دراسة في روايات الحسيني:

نقول: هل هو الحسيني؟، أو الحسيني؟ .

وكم عدد الروايات فيه؟
 ومن الذي يرويها؟
 وما مدى دلالة هذه الروايات؟
 وهل تدل على أنه عنصر إيجابي؟
 وهل تدل على أن المسلمين مكلفون تجاه الحسيني ونهضته؟
 هذه هي الأسئلة التي لا بد من الإجابة عليها، وأظن أنها هي بيت
 القصيد.

فنقول: هناك خلاف في أنه حسني أو حسيني، فبعض الروايات جمعت
 بين الحسيني والحسيني، وبعض الروايات ورد فيها الحسيني وبعضها ورد
 فيها الحسيني.

ومجموع الروايات فيه لا تتجاوز الآحاد (ثلاثة أو أربعة، وأكثر التقادير
 أنها خمسة) أي لا تواتر ولا استفاضة، فتأمل إذ لعل العدد أكثر.

ثم إن هذه الروايات أكثرها ضعيفة السند. وبعبارة أخرى: التام الدلالة
 ضعيف السند، والقوي السند ضعيف الدلالة.

ثم بعد ذلك نجد في الروايات تعارضاً بعد غص النظر عن السند، ففي
 بعض الروايات يكون الحسيني في مكة حينما يخرج المهدي لا حينما يظهر.^(١)
 وفي بعض الروايات حينما يخرج الإمام عليه السلام يوصل بعض الموالي الخبر
 للحسيني فيخرج بمكة فيأخذوه ويقتلوه.

وفي بعض الروايات: إن الحسيني في إيران وفي مسيره إلى العراق يلتقي
 بالإمام المهدي عليه السلام ويبايعه هناك. إذن لم تتضح الصورة. ومن أي مكان
 يكون خروجه وانطلاقه؟

١- الفرق بين الخروج والظهور كما بيته العلامة المجلسي أن الخروج هو الخروج لأصحابه الخاصين أي (٣١٣) وذلك
 بقريته قوله في الرواية الرابعة التي ستأتي لاحقاً إن شاء الله (وخروج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة)، والظهور
 أعم وهو الإعلان.

وقد أُستغلت هذه الروايات فلا بدّ أن نتبّه، ولا نرسلها إرسال
المُسلّمات.

والآن نستعرض الروايات:

الرواية الأولى:

أول رواية في هذا المجال رواية أمير المؤمنين عليه السلام وهي رواية مفصلة وأكثر من عشرة صفحات، ونشير لمختصر منها؛ وهي على ما في كتابنا معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: «تختلف ثلاث رايات... إلى أن يقول: وتسير الجيوش حتى تصير بوادي القرى^(١) في هدوء ورفق، ويلحقه هناك ابن عمّه الحسني في إثني عشر ألف فارس، فيقول: يا ابن عم، أنا أحقّ بهذا الجيش منك، أنا ابن الحسن، وأنا المهدي.

فيقول المهدي عليه السلام: بل أنا المهدي. فيقول الحسني: هل لك من آية فنبايعك؟، فيؤمّيء المهدي عليه السلام إلى الطير فتسقط على يده، ويغرس قضيباً في بقعة من الأرض فيخضّر ويورق، فيقول له الحسني: يا ابن عم، هي لك، ويسلم إليه جيشه ويكون على مقدمته...»^(٢).

ومفاد هذه الرواية: أنّ دور الحسني يكون بعد الظهور وإنّ الإمام قد اجتاز مكّة والحجاز متوجّهاً إلى العراق.

هذه هي الرواية المفصلة، ولعلّ من يدّعي اعتبار ووجاهة الحسني يكون دليله هذه الرواية ويعتمد عليها.

مصادر الرواية:

هذه الرواية بهذا التفصيل لم ترد في كتبنا «الشيعة» إلى قبل القرن الرابع عشر.

١- بين المدينة والشام، من أعمال المدينة (معجم البلدان).

٢- معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٤، ص ١٣٨.

فهل وردت هذه الرواية في صحاح العامة وسُننهم ومسانيدهم ومعاجمهم ومصنّفاتهم ومستخرجاتهم ومستدركاتهم إلى القرن السابع؟، الجواب نقول: نعم.

إنَّ أوَّل مَنْ نقل هذه الرواية بطولها وتفصيلها هو السلمي الشافعي صاحب كتاب عقد الدرر، وهو من علماء القرن السابع، أوردها في كتابه من صفحة (١٢٦) إلى صفحة (١٣٧) بالتفصيل مرسلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام كما وأورد أجزاءً منها في صفحة (١٨٦) و صفحة (١٨٨). إذن إلى القرن السابع لا أثر لهذه الرواية لا في كتاب شيعي ولا في كتاب سني، وقلنا: إنَّ أوَّل من رواه السلمي ورواه مرسلًا، فأمر المؤمنين عليه السلام استشهد سنة (٤٠ هـ) والسلمي مابعد سنة (٧٠٠ هـ) أي إنَّ الفاصل الزمني هو (٦٦٠) سنة تقريباً. ثمَّ بعد (٢٠٠) سنة من وفات السلمي أوَّل مَنْ نقل بعض هذه الرواية عن عقد الدرر هو المتَّقِي الهندي في البرهان ص ١٧٦ باب ١ ح ١٤.

ثمَّ بعد ذلك رواه في «فرائد الفكر» لمرعي بن يوسف: ص ١٠٢، أيضاً روي بعضه مرسلًا، ورواه أيضاً في: ص ١٢٧. هذا غاية ما في الباب بالنسبة إلى مصادر هذا الحديث بطوله، وتفصيله في كتب العامة.

مصادر الخاصّة:

أمَّا في كتب الخاصّة: فحسب تحقيقنا المتواضع نقول: إنَّه لم يتعرّض لهذه الرواية أحد من علمائنا، وأُهملت إلى القرن الرابع عشر، وإلى زمان الحائري المتوفى عام (١٣٣٣) من الهجرة صاحب كتاب «إلزام» الناصب^(١) فأوردها بسند وربطها بخطبة البيان.

١- إلزام الناصب: ج ٢، ص ١٧٨.

٢- نقل الشيخ الأستاذ (حفظه الله) عن والده المرحوم محمد رضا الطبسي النجفي & أنه التقى بالحائري أوبابنه، التريد منّا، فقال له الحائري عندما طبع ونزل الكتاب إلى السوق: (وجدت فيه بعض ما لم أكتبه أنا).

وما أورده الحائري من النص هو: حدثنا محمد بن أحمد الأنباري قال: حدثنا محمد بن أحمد الجرجاني قاضي الري قال: حدثنا طوق بن مالك، عن أبيه، عن جده، عن عبد الله بن مسعود رفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام... (خطبة البيان) وفيها: «ثم يسير بالجيوش حتى يصير إلى العراق والناس خلفه وأمامه على مقدمته رجل اسمه: عقيل، وعلى ساقته رجل اسمه: الحارث، فيلحقه رجل من أولاد الحسن في إثني عشر ألف فارس، ويقول: يا ابن العم، أنا أحق منك بهذا الأمر لأنني من ولد الحسن وهو أكبر من الحسين، فيقول المهدي: إني أنا المهدي، فيقول له: هل عندك آية أو علامة؟، فينظر المهدي إلى طير في الهواء فيومئ إليه فيسقط في كفه، فينطق بقدره الله تعالى، ويشهد له بالإمامة. ثم يغرس قضيباً يابساً في بقعة من الأرض ليس فيها ماء فيخضر ويورق، ويأخذ جلموداً كان في الصخر فيفركه بيده ويعبجه مثل الشمع فيقول الحسنى: الأمر لكم فيسلم وتسلم جنوده...».

الإشكالات:

دراسة في خطبة البيان:

يرد في المقام إشكالات:

الأول: نرى إن المضمون تقريباً واحداً، وحيث أنه يتفق مع رواية عقد الدرر وهو يقول خطبة البيان، وهذه الخطبة أُلقيت في البصرة بعد حرب الجمل يعني سنة (٣٦هـ)، ويرويها ابن مسعود مع أن وفاته كانت سنة (٣٢هـ) وهذه الرواية في سنة (٣٦هـ) فالفاصلة الزمنية أربع سنوات، والجدير بالذكر أن ابن مسعود رفعه^(١) إلى أمير المؤمنين، فخطبة البيان^(٢)

١- المرفوع في اصطلاح أهل السنة غير المرفوع في اصطلاحنا، فالمرفوع عندهم من أقسام الصحاح وعندنا من أقسام المرسل.

التي يرويها اليزدي الحائري، ويقول «مرفوعة» حتماً يريد به إصطلاحنا لا إصطلاح العامة.

فلا بدّ من حلّ هذا الإشكال السندي، وإنما يتمّ ذلك فيما لو قالوا بتعدّد عبدالله بن مسعود، وهذا لم يقل به أحد أو أن يقولوا: هو نفسه الشخص المعروف، لكنّه قد توفّي عام ستّة وثلاثين من الهجرة، فسواء «رفعه» كان باصطلاح أهل السنّة أم باصطلاحنا فهذا لا يؤثّر.

وثانياً: لم يعهد رواية ابن مسعود عن أمير المؤمنين عليه السلام، فلو راجعنا كتاب تهذيب الكمال للحافظ المزي لا نجد أنّ عبدالله بن مسعود يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام ^(٢).

الإشكال الثالث: لم يثبت وثاقته عندنا، فإنّه لم يثبت موالاته لعلي عليه السلام.

وقوله: بالحقّ وصحّ إنّه والى القوم، ومال إليهم.

واستدلّ المرتضى برواياته على المخالفين جدلاً.

وصرح التستري: بأنّ استبصار ابن مسعود غير معلوم ^(٣).

وروى العلامة الحليّ عن الكشي عن الفضل بن شاذان أنّ ابن مسعود خلط ^(٤).

والإشكال الرابع: هو أنّ اليزدي الحائري صاحب (إلزام الناصب) من المعاصرين، فمن أين أخذ هذه الرواية؟، فإن أخذها من كتب السنّة

⇒

٢- قال الشيخ الأستاذ حفظه الله: للوالد & بيان ذيل خطبة البيان وبدراسة سنديّة ودراسة دلاليّة، وأنا تعرّضنا لقسم من هذا الكلام في كتابنا: في رحاب الإمام المهدي عليه السلام.

أقول: حتى ولو كان الراوي للخطبة هو المقداد بن الأسود، فهو أيضاً توفّي عام (٣٣) من الهجرة، كما عن النمازي: ج ٧، ص ٤٨٨.

وأما لو كان الراوي: هو سلمان الفارسي، فإنّه أيضاً توفّي عام (٣٤) من الهجرة وعمّر ثلاثمائة وخمسون سنة، كما عن المامقاني في تنقيح المقال: ج ٣٢، ص ٢٦٠.

٢- تهذيب الكمال: ج ١، ص ٥٣٣، دارالفكر - بيروت.

٣- قاموس الرجال: ج ٤، ص ٣٣٩، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ١٠، ص ٣٢٤.

٤- خلاصة الأقوال: ص ٣٦٩، أنظر خلاف ذلك عن المامقاني: ج ٢، ص ٢١٥، والنمازي: ج ٥، ص ١٠٨.

فالمصدر هو عقد الدرر ورواه مرسلًا، وإن أخذها من كتابٍ آخر فأتوا لنا به.

تتمت مصادر الخاطبة:

ثم إنَّ النوري صاحب المستدرک يروي بعض هذه الرواية في كتابه كشف الأستار: ص ١٧٨، مع تصريحه بأنَّه عن عقد الدرر.

ثمَّ النجفي المرعشي في الملحقات " ذكر الرواية عن عقد الدرر - ولكن من المعلوم أن مبنی المرحوم النجفي (قده) في هذا الكتاب هو جمع كلِّ ما ورد في كتب أهل السنة فيما يتعلّق بأهل البيت عليهم السلام، من دون أن يعترض للمناقشة السندية أضف إلى ذلك صرّح بأنَّه عن عقد الدرر.

و الشيخ الوالد (قده) في الجزء الأوّل من الشيعة والرجعة: ص ١٥٨ أيضاً يصرّح ويقول بأنَّه عن إلزام الناصب.

و الشيخ لطف الله الصافي في المنتخب: ص ١٥٤ أورد بعضها وصرّح إنَّه عن البرهان للمتقي الهندي وهو يرويه عن عقد الدرر.

ثمَّ إنَّ موسوعة أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام لمؤسّسة نهج البلاغة في طهران: ج ١، ص ٢٢١ أيضاً أوردت هذا النصّ - علماً أن الموسوعة مهمتها الجمع لا التحقيق في السند.

هذا بالنسبة إلى المصدر والسند في الرواية الأولى.

وحيثُ نقول: هل للمحقق أو العالم أن يعتمد على رواية مثل هذه، من حيث السند؟، نقول في الجواب: لا، إلاّ اللهم إن توجّد قرائن^(٣)، وإنّي هي؟، فالرواية ضعيفة السند وبلا شك.

١ - إحقاق الحق: ج ٢٩، ص ٥٦٧، ٥٧٤، ٥٨٠.

١ - راجع الفوائد الخاتمية: ص ٢٢٣ مجمع الفكر الإسلامي، الثانية والعشرون. فإنّه أورد أكثر من خمسين مرجحاً، اعتبرها الفقهاء زائداً عمّا في النصوص، منها ورود الرواية في كتب الروايات وكثرة النقل، فهل تنطبق علي ما نحن فيه
☞

آراء العلماء حول الخطبة:

أ- السيد الموسوي :

قال السيد مهدي الموسوي من أعلام القرن الثالث عشر في كتابه طوابع الأنوار - الذي فرغ من تأليفه (١٢٥٠هـ) كما في الذريعة: ج ١٥، ص ١٨٠ - بعد ذكر الخطبة: «هذه الخطبة - الطنتيجة - وخطبة البيان: وغيرهما من الخطب المذكورة في هذا الكتاب، بعد المشتملة بتلك الفقرات الدالة على الإلهية له عليه السلام وعلى خالقيته ورازقيته وغيرها من الأفعال الإلهية، فهي من الفقرات المتشابهة ظاهرها عند أهل الظاهر والمشرّعين، منافٍ لظاهر الشرع، ومشعر الكفر، وخلاف مذهب الاثني عشرية

وباطنها مستور عنّا، مخزون عند قائلها، فلك أن لا تنكر ظاهرها، ولعلها ورد كذلك عنهم، ونحن لا نعلم بأيّ وجه ورد فيكون انكارها رداً وهو كفر. فلك السلامة والنجاة أن لا تعتقد ظاهرها وتذر، وتترك ظاهرها وباطنها وتأويلها على بيان قائلها. واتيّ قد ذكرتها لتعلمها وتعلم مخالفتها ظاهراً لمذهب الاثني عشرية. فظاهرها وباطنها عند أهلها، وأهل البيت أدري بما في البيت.»^(١)

ب- السيد العاملي:

وقال السيد جعفر مرتضى العاملي: إن في هذه الخطبة إشكالات عديدة، سواء فيما يرتبط بالناحية اللغوية. أو الاشتقاقات المستعملة فيها، أو فيما

⇨

والحال إن روايتنا هذه وردت من طريق السنة في القرن السابع ومن طريق الشيعة في القرن الرابع عشر، فأين وردت كثرة نقل هذه الفقرة عن الحسيني؟ والحال أن كل رواياته لا تتجاوز عدد الأصابع!

١- طوابع الأنوار: ص ١٧١.

تضمّنته من أخطاء تاريخية، أو تراكيب غير سليمة. بالإضافة إلى عدم وجود أسناد لها، وما إلى ذلك.

وكُلّ ذلك يجعلنا نشكّ في صحّة نسبتها إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وقد ذكرنا أنّ من المحتمل أن تكون هذه الخطبة قد تكوّنت وظهرت نتيجة مبادرة من شخص^(١) لا يملك ثقافة ولا معرفة بالقواعد اللغوية وغيرها، ولعلّه كان يجمع ما كان يقع تحت يده من أحاديث يجدها في كتب السنّة أو الشيعة، أو الزيدية، أو الإسماعيلية، أو آية فرقة من الفرق. ثمّ يصوغها على شكل خطبة دون أن يمحّص تلك الأحاديث أو يميّز غثها من سمينها، أو حقها من باطلها، علماً أنّ ما اطلعنا عليه من كتب المتقدّمين لم يورد هذه الخطبة ولم يشر إليها.^(٢)

الرواية الثانية:

وهي رواية مفصّلة في ستّ صفحات تقريباً، أوردناها في كتابنا معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٤ ص ١٥٢ ومحلّ الشاهد فيها هو: «... ويسير بالجيوش حتّى يترك وادي الفتن، ويلحقة الحسيني في اثني عشر ألفاً، فيقول له: أنا أحقّ بهذا الأمر منك، فيقول له: هات علامات دالة فيومئ إلى الطير فيسقط على كتفه، ويغرس القضيب الذي بيده فيخضّر - ويعشوشب، فيسلّم إليه الحسيني الجيش، ويكون الحسيني على مقدّمته...».

٢- أنظر الكلمات المكنونة للفيض الكاشاني: ص ١٧٤، وشرح فصوص الحكم لداود القيصري: ج ١ ص ١٤٢، وبحر المعارف لعبد الصمد الهمداني: ج ٢ ص ٥٧٠ (وهو الشهيد بكر بلاء يوم الغدير ١٢١٦ بالهجرة، وذلك في فتنه سعود الوهابي الحنبلية - الذريعة ٣: ٤٧) وانظر: الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام للسيد جعفر العاملي: ج ٢٢ ص ٢٠٩.
٢- المختصر المفيد: ج ٣، ص ٢٤٨. أنظر: الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام: ج ٢٢، ص ١٢.

مصادر الرواية:

أول من روى هذه الرواية من الشيعة والسنة هو السيد ابن طاووس، أي لم نعثر على هذه الرواية في كتاب سنّي إلى يومنا، غير ما عن السليبي. هذا وفي كتاب شيعي إلى قبل زمان السيد ابن طاووس، والسيد ابن طاووس نقل هذه الرواية عن فتن السليبي.

وكتاب الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس مجموعة من كتب ثلاثة:

١ - الفتن لابن حمّاد.

٢ - الفتن لأبي صالح السليبي.

٣ - الفتن لأبي يحيى البزاز.

فنقول للسيد ابن طاووس: أين أنت من عصر السليبي؟، فالسليبي عصره قبل سنة (٣٠٠) للهجرة والنسخة الخطية عن كتابه مؤرخة بسنة (٣٠٧) هجرية، والسيد ابن طاووس في القرن السابع تقريباً فالفرق (٤٠٠) سنة تقريباً.

طريق ابن طاووس والإشكالات عليه:

أولاً: طريق السيد ابن طاووس إلى كتاب السليبي كما نصّ عليه، وقال: (تاريخ نسخة الأصل سنة (٣٠٧) بخط مصنفها - السليبي - في المدرسة المعروفة بالتركي بجانب الغربي من واسط، من نسخة هي الأصل على ما حكاها من ذكر أنه شاهدها).

فنقول: هل يوجد مرسل أوضح من هذا؟، وإشكالنا على رجال ابن الغضائري، أنه لم يصل إلينا وأول من أوصله لنا السيد ابن طاووس، وهنا كذلك لأنه يقول: لا أضمن الصحة.

وإليك نصّ عبارته حول كتاب السليبي: [فإنني عازمٌ على أن أُعلّق في هذه الأوراق ما وجدته على سبيل الاتفاق في كتاب الفتن تأليف السليبي ابن أحمد بن عيسى ابن شيخ الحسائي، من رواة الجمهور، من نسخة أصلها

في المدرسة المعروفة بالمزكي بالجانب الغربي من البلاد الواسطية، تاريخ كتابها سنة سبع وثلاثمائة، ودرك ما تضمّنته على الرواة وأنا بري من خطره؛ لأنني أحكي ما أجده بلفظه ومعناه. إن شاء الله تعالى [١]....

إذن، الرواية الثانية ينسبها ابن طاووس إلى السليلي ولا طريق له إليه، هذا أولاً. دع عنك أنها مضمون الرواية الأولى.

وثانياً: من هو السليلي؟، وما مدى اعتباره؟، راجعوا كتب السنة والشيعه، قالوا: أبو صالح السليلي بن أحمد بن عيسى ابن شيخ الحساني. وراجعت كثيراً من الكتب المعنية، فلم أجد شيئاً له.

ثالثاً: يروي السيد ابن طاووس عن فتن السليلي بسنده، ولنفرض أن لابن طاووس سند إلى السليلي والطريق صحيح، فنراه يقول: حدّثنا الحسن بن علي المالكي، قال: حدّثنا أبو النضر عن ابن حميد الرافعي، قال: حدّثنا محمد بن الهيثم البصري، قال: حدّثنا سليمان بن عثمان النخعي، قال: حدّثنا سعيد بن طارق، عن سلمة بن أنس، عن الأصبع بن نباتة. قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام خطبة فذكر المهدي وخروج من يخرج معه وأسمائهم....

لاحظ أنه تارة يقول (حدّثنا) وأخرى يقول (عن) والفرق بينهما أن (عن) أعم من أن يكون هو الراوي أو غيره، وفيه شبهة الإرسال وزيادة على الإرسال التدليس، فتأمل.

ورأيي القاصر: إنَّ أجْلُ الأصبع بن نباتة، وهو ثقة وإن كان فيه كلام، لكن أعطنى إثبات وتوثيق للباقي من رجال السند، فالمالكي من؟ والرافعي من؟، وابن هيثم البصري من؟، إذ باقي رجال السند مجاهيل أو ضعفاء.

ولم يتعرّض لهذا الحديث من علماء الطائفة غير ابن طاووس لا قبله ولا بعده إلا الشيخ الصافي الكلپايگاني في المنتخب ينقله عن ابن طاووس.

الرواية الثالثة:

رواية الغيبة ونصّها: [أخبرنا أبو محمّد المحمّدي، عن محمّد بن علي بن الفضل، عن أبيه، عن محمّد بن إبراهيم بن مالك، عن إبراهيم بن بنان الخثعمي، عن أحمد بن يحيى بن المعتمر، عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث طويل - قال: «يدخل المهدي الكوفة، وبها ثلاث رايات قد اضطربت بينها، فتصفو له فيدخل حتّى يأتي المنبر ويخطب، ولا يدري الناس ما يقول من البكاء، وهو قول رسول الله: (كأني بالحسني والحسيني) وقد قادها فيسلمها إلى الحسيني، فيبايعونه. فإذا كانت الجمعة الثانية، قال الناس: يا بن رسول الله، الصّلاة خلفك تضاهي الصّلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله والمسجد لا يسعنا، فيقول: أنا مرتاد لكم، فيخرج إلى الغري فيخطّ مسجداً له ألف باب يسع الناس، عليه أصيص، ويبعث فيحضر من خلف قبر الحسين عليه السلام لهم نهراً يجري إلى الغريين حتّى ينبذ في النجف، ويعمل على فوهته قناطر وأرحاء في السبيل، وكأني بالعجوز وعلى رأسها مکتل فيه برّ حتّى تطحنه بكر بلاء»^(١).

مصادر الرواية:

أول من أورد هذه الرواية بهذا النصّ هو الشيخ الطوسي في الغيبة، وأؤكد هذه الرواية بهذا النصّ - أي قوله: وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «كأني بالحسني والحسيني» - .

أمّا نفس هذا النصّ، ولكن من دون فقرة «كأني بالحسني والحسيني» المذكورة في الإرشاد: ص ٣٦٢ عن عمرو بن شمر عن أبي جعفر، وقبل

١- الغيبة للطوسي: ص ٤٦٨ و ٤٦٩، ح ٤٨٥.

الإرشاد مذكورة في كتاب الفضل بن شاذان على ما نقله عنه العلامة المجلسي في البحار: ج ١٠٠ ص ٣٨٥ ح ٤ عن السيد علي بن عبد الحميد. والمهم فعلاً هو نقل الطوسي، لأن فيه هذه الفقرة (كأني بالحسني ولحسيني).

وأخرجه في كشف الغمّة: ج ٢، ص ٤٦٣، والمستجاد: ص ٥٥٤، عن الإرشاد.

وفي روضة الواعظين: ص ٢٦٣ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام كما في الإرشاد.

ثم نقله بعد ذلك النباطي البياضي - أبو محمد بن يونس العاملي النباطي البياضي - في كتاب الصراط المستقيم: ج ٢، ص ٢٦٤، عن الغيبة للطوسي مختصراً.

ثم منتخب الأنوار المضيئة للسيد علي بن عبد الكريم النجفي النيلي، أورد بعضه في: ص ١٩١ كما في الغيبة.

ثم أوردته الحرّ العاملي في إثبات الهداة: ج ٣، ص ٥١٥، ح ٣٦٤ عن الغيبة، مع اختلاف في السند، إذ إنه يذكر في سنده أحمد بن يحيى بن المعتمد، بينما أنّ الطوسي يذكر في سنده أحمد بن يحيى بن المتعمر.

ثم البحار: ج ٥٢، ص ٣٣٠، ح ٥٣.

ثم بشارة الإسلام للكاظمي: ص ٢٢٥.

ولم ترد هذه الرواية - حسب تحقيقنا القاصر المتواضع - في غير هذه الكتب، ولم ترد في كتاب من كتب العامة.

المناقشة السندية:

هذه الرواية من حيث السند فيها إشكال بإبراهيم بن بنان الخثعمي وهو مهمل^(١) لم يتعرض له أحد من علماء الرجال. وأما نجل المامقاني يتحدث عن إبراهيم الخثعمي، ويقول: مهمل، إلا أن روايته سديدة - ذكره في: ج ٣، ص ٣٢٤ - ، وأما عمرو بن ثابت فهو مقبول عندنا إذا كان المراد به هو أبو المقدام.

المناقشة الدلالية:

هذه الرواية فيها إشارة إلى الحسيني والحسيني في قوله: وهو قول رسول الله: (كأني بالحسيني والحسيني وقد قاداها، فيسلمها إلى الحسيني). هذه الرواية غير واضحة فالمرموق من هو، هل المشار إليه هو الحسيني أم الحسيني؟، ونلاحظ أن كليهما مذكور في الرواية وقد ذكرا معاً. وفي هذه الرواية إشارة إلى أن الحسيني والحسيني في الكوفة بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام ودخوله في الكوفة.

وسنشير إلى رواية صحيحة السند وفيها أنه يقتل بمكة، فكيف يمكن الجمع بين هذه المتناقضات.

والخلاصة: إن هذه الرواية مبتلية بإشكالات:

١- الضعف السندي.

٢- وعدم وضوح الدلالة.

٣- تسليم الحسيني الراية للحسيني، وهما في الكوفة ومخالفتها ومعارضتها للروايات التي تذكر قتل الحسيني في مكة، ومخالفتها للروايات التي فيها أن تسليم الراية للمهدي يكون في الطريق إلى العراق.

١- المهمل: هو ما لم يرد في كتب الرجال أصلاً، وهو غير المجهول، فإنه لم يذكر بجرح ولا تعديل.

الرواية الرابعة:

رواية روضة الكافي ونصّها: «وعنه^(١)، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: متى فرجُ شيعتكم؟، فقال: «إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم، وخلعت العرب أعتتها^(٢) ورفع كل ذي صيصية صيصيته^(٣)، وظهر الشامي، وأقبل اليمني، وتحرك الحسيني، وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله. فقلت: ما تراث رسول الله؟ قال: سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه وعمامة وبرده وقضيبه ورايته ولامته^(٤) وسرجه حتى ينزل مكة، فيخرج السيف من غمده ويلبس الدرع وينشر الراية والبردة والعمامة، ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره، فيطلع على ذلك بعض مواليه فيأتي الحسيني فيخبره الخبر، فيتندر الحسيني إلى الخروج، فيثب عليه أهل مكة فيقتلونهم ويبعثون برأسه إلى الشامي فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبايعه الناس ويتبعونه، ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلى المدينة فيهلكهم الله عز وجل دونها، ويهرب يومئذ من كان بالمدينة من ولد علي إلى مكة فيلحقون بصاحب هذا الأمر. ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق ويبعث جيشاً إلى المدينة فيأمن أهلها ويرجعون إليها»^(٥).

١- أي محمد بن يحيى.

٢- العنان - ككتاب -: سير اللجام الذي يمسك به الدابة، والجمع أعنة.

٣- شوكة الخائف وكل شيء تحصن به فهو صيصية، أي: أظهر كل ذي قدرة قدرته وقوته.

٤- اللامة - مهموزة -: الدروع، وقيل: السلاح.

٥- الكافي: ج ٨، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ح ٢٨٥، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٠١ عن الكافي، وأورده في ص ٢٤٢ عن النعماني

علي بن أحمد، عن عبيد الله بن موسى عن محمد بن موسى عن أحمد بن أبي محمد عن يعقوب السراج.

المناقشة الدلالية:

مفاد هذه الرواية: أنّ الحسيني لا يصل دوره وأمره إلى البيعة، ولا يدرك ظهور صاحب الأمر ويتحرك بمجرد إخبار بعض الموالي وبمجرد تحركه يقتل، وبعد ذلك يظهر المهدي عليه السلام.

وهذا النص يتعارض مع النصوص التي مفادها أنّ الحسيني يحاور المهدي بعد الظهور، فيقول له: أنا المهدي، أنا ابن الحسن، والإمام يقول له: أنا المهدي، فيطالبه الحسيني بالمعجزات والأدلة. إلا أن نقول بتعدد الحسيني فتأمل.

كما أنه يتعارض مع الرواية التي أوردتها الطوسي في الغيبة من أن الحسيني في الكوفة. هذا بالنسبة إلى النقاش الدلالي.

المناقشة السنديّة:

إنّ المجلسي - (قده) في المرأة: ج ٢٦، ص ١٥٤، يعبر عن الرواية بالصحيحة.^(١)

١- المعلوم عن العلامة المجلسي أنّه متشدد في قبول روايات الكافي، وهي ستة عشر ألف رواية، يصحح خمسة آلاف منها، ويوثق مائة وخمسين منها.

ذكر الأردبيلي في جامع الرواة: ج ٢، ص ٧٨ في ترجمة العلامة المجلسي: (محمد باقر بن محمد تقي بن المقصود علي، الملقب بالمجلسي (مدّ ظله العالی) أستاذنا وشيخنا وشيخ الإسلام والمسلمين، خاتم المجتهدين، الإمام العلامة المحقق المدقق جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة وحيد عصره فريد دهره، ثقة ثبت عين كثير العلم جيد التصانيف وأمره في علو قدره وعظم شأنه وسمو رتبته وتبحره في العلوم العقلية والنقلية، ودقة نظره وإصابة رأيه وثقته وأمانته وعدالته أشهر من أن يذكر، وفوق ما يحوم حوله العبارة، وبلغ فيضه وفيض والده (رحمه الله تعالى) ديناً ودنياً بأكثر الناس من العوام والخواص، جزاه الله تعالى أفضل جزاء المحسنين، له كتب نفيسة جيدة قد أجازني دام بقاءه وتأييده أن أروي عنه جميعها، منها:

كتاب بحار الأنوار المشتمل على جُل أخبار الأئمة الأطهار وشرحها، كتاب كبير قريب من ألف ألف بيت، وكتاب الفرائد الطريفة في شرح الصحيفة الشريفة، وكتاب مرآة العقول شرح الكافي، وكتاب ملاذ الأخيار لشرح تهذيب الأخبار، وكتاب شرح الأربعين، وكتاب حُلية المتقين، وكتاب تحفة الزائر، وكتاب جلاء العيون، وكتاب مشكاة الأنوار،

والرواية ليس فيها إشكال، ولكن يمكن أن نشكل بالنسبة إلى يعقوب السراج^(١)، ولكن إذا غضضنا النظر عن الإشكال السندي، وقلنا بمقالة المجلسي فهي صحيحة، وغضضنا النظر عن إشكال آخر - وهو أن الروضة ليست من الكافي - ونحن لسنا مع هذا الإشكال، لأن الشيخ الطوسي والنجاشي وابن شهر آشوب صاحب كتاب معالم العلماء هم أقرب إليه منا، وصرّحوا بأن الروضة من الكافي ومؤلفه الكليني وإن كان أسلوبه مختلف. وأظن أن أول من تعرّض لهذا الإشكال هو حبيب القزويني على ما في المستدرك للنوري آخر الجزء الأول، وأتى بأدلة تنفي ارتباط الروضة بسائر الأجزاء.^(٢)

ومع غض النظر عن الإشكاليين نقول: إن في الدلالة ما لا يخدم مصلحة المدّعي، فالمدّعي يقول: إن الحسيني يهتئ الأجواء لظهور المهدي عليه السلام، ثم يبائع المهدي عليه السلام، مع أن هذه الرواية تبين أنه لا يلتقي بالمهدي عليه السلام ولا يراه ولا يؤيده ولا يبائعه بل يقتل في مكة على أيدي أعداء المهدي عليه السلام على فرض أنه إنسان إيجابي.

⇒

وكتاب مقباس المصاييح، وكتاب ربيع الأسابيع، وكتاب حياة القلوب، وترجمة توحيد المفضل، وترجمة وصية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) للأشتر، وترجمة خطبة التوحيد للرضا عليه السلام، وترجمة أعماله عليه السلام في طريق خراسان، ترجمة دعاء المباهلة، وترجمة دعاء المباهلة، وترجمة دعاء كميل بن زياد، وترجمة دعاء الجوشن. وله رسائل، منها: رسالة العقائد، ورسالة الشك والسهو، ورسالة الأوزان، ورسالة الاختيارات. ورسالة عقود النكاح وغيرها.

١- أقول: غاية ما يمكن القول فيه من الطرفين هو ما يلي:

أ. وقع في أسناد جملة تبلغ أحد عشر مورداً.

ب. روي عنه الحسن بن محبوب ومحمد بن سنان.

ج. وثقه النجاشي والمفيد وابن شهر آشوب.

د. ضعّفه ابن الغضائري. وقد عرفنا غير مرة أنه لا يعتمد علي ما نقل عن كتابه لعدم ثبوت نسبة الكتاب إليه، فالرجل من الثقات.

هـ. إننا الإشكال في أنه: هو يعقوب الأحمر السراج أو غيره.

و. إن طريق الشيخ إليه ضعيف بأبي المفضل وابن بطّة.

١ - خاتمة المستدرك: ج ٢١، ص ٥٣٥ الفائدة الرابعة.

ثم إن هذه الرواية التي هي - من بين الروايات - صحيحة، ولكنها لا تدل على وجود أي تكليف للناس تجاه الحسيني.

الرواية الخامسة:

وهي مما ذكره ابن مسكويه صاحب التاريخ بحوادث الإسلام في كتاب سماه (نديم الفريد)، ولم نر هذا الكتاب بل على ما في البحار نقلاً عن الطرائف وفي غاية المرام للسيّد هاشم البحراني، حيث ذكر ابن مسكويه كتاباً كتبه بنو هاشم، يسألون المأمون أن يبايع لولده العباس بولاية العهد. ويعاتبونه على مبايعته لعلي بن موسى الرضا عليه السلام، فكتب المأمون في جوابهم كتاباً طويلاً.

وهذا بعض من جوابه، قال فيه: [فإذا أبيتم إلا كشف الغطاء وقشر العطاء، فإنّ الرشيد أخبرني عن آبائه وعمّا وجد في كتاب الدولة وغيرها، أنّ السابع من ولد العباس هو الذي لا تقوم لبني العباس بعده قائمة، ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودّعها، فإذا أودع فودّعها، وإذا فقدتم شخصي فاطلبوا لأنفسكم معقلاً وهيئات، وما لكم إلا السيف يأتيكم الحسيني الثائر، فيحصدكم حصداً، والقائم المهدي عليه السلام لا يحقن دمائكم إلا بحقها].

المناقشة الدلالية:

أولاً: إنّ هذه ليست رواية بل كلام للمأمون يسنده إلى أبيه، إذن، فلماذا ذكرتم وذكرنا هذا النص، بعنوان أنّه الرواية؟، نقول في الجواب: إنّ البعض يقول إنّ المأمون كان يأخذ أمثال هذه الروايات التي فيها الملاحم من الإمام الرضا عليه السلام. ولكنّ هذا من باب الظنّ والتخرّص.

وثانياً: لَمْ تَرِدْ هذه الرواية لا في كتاب شيوعي ولا في كتاب سنّي، بل أوّل وآخر من أوردتها المرحوم المجلسي - ثمّ البحراني وهو تلميذ تلميذ المرحوم المجلسي - .

هذا غاية ما ورد في كتبنا حول الحسيني، وهي إمّا روايات مجهولة السند، أو ضعيفة، أو مبتلية بالتعارض.

ثمّ على فرض أنّ هذه الروايات الأربعة - أمّا الخامسة ليست رواية كما بيّنا - تشكّل الاستفاضة، وفي رأي القاصر أنّها آحاد - وعرفنا ان المنبى في الاستفاضة^(١) - وأنها تغني عن البحث السندي.

فغاية الدلالة فيها: هي وجود الحسيني^(٢) لا أكثر، كغيره من الشخصيات المذكورة في هذا المجال، مثل السفيناني أيضاً، من الذين يتواجدون في الساحة كالدجال وهكذا.

والآن إسْمَحُوا لي أن أُعْطِيكم قائمة بأسماء شخصيات يذکر أسماؤها، قبل ظهور المهدي، أو أيام ظهوره - جمعتها - وهي أكثر من ثلاثين شخصية، مع قطع النظر عن اعتبار رواياتها: (اليمني، النفس الزكية، أعور الدجال، الخراساني، شعيب بن صالح، الشيخ الكردي، الحائك الطويل، الشيبباني، عاصي السلمي، حسن الديلمي، غدير القمي، زنديق قزوين، الأشعر، السيد العلوي، العبد الأوّل، العبد الثاني، صاحب السفيناني، حاكم الحجاز، سيد محمد، عبدالله بن سعيد، المرواني، الملك الثلاثة، العماني، حاكم الشام، المصري، كاسر عينه بصنعاء، جهجاه، عبدالله بن الأحمر، الرجل الأعرج، والحاكم الهاشمي والكبش والخروف والثائر

١- إنّ هذا الكلام للسيد الخوئي + في ابن عباس: من أنّ الروايات إذا بلغت الاستفاضة تغنينا عن الدراسة السنديّة.

٢- بحار الأنوار: ج ٤٩، ص ٢٠٨ إلى ٢١٥. وقال في آخر البحث: كان هذا الخبر في بعض نسخ الطوائف ولم يكن في أكثرها.

والكافر والسيد الأكبر، الرجل، سعيد السوسي، الجرهمي، قمر بن عابد، خليفة العراق، رجل الأعور، رجل من كلب).

إذن ما علينا إلا أن نضيف على هذه القائمة اسماً جديداً فلا حاجة لهذه الضوضاء. ودعوى أن الحسيني يظهر أو قد ظهر أو... .

ثم إنه قد يستظهر ذلك من روايات أخرى نشير إليها ونضيفها إلى الروايات السابقة:

الرواية السادسة:

في كتاب سرور أهل الإيمان: وبإسناده عن عثمان بن عيسى، عن بكر بن محمد الأزدي، عن سدير قال: قال أبو عبدالله: «يا سدير، الزم بيتك، وكُنْ حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغ أن السفيناني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك، قلت: جعلت فداك، هل قبل ذلك شيء؟، قال: نعم، وأشار بيده بثلاث أصابعه إلى الشام وقال: ثلاث رايات، راية حسنية، راية أموية، وراية قيسية، فبيناهم [على ذلك] إذ قد خرج السفيناني فيحصدهم حصد الزرع ما رأيت مثله قط»^(١).

مصادر الرواية:

أوردها الكليني بنفس السند لكن إلى قوله: «ولو على رجلك»^(٢). قال المجلسي: حسن أو موثق. قوله: «وكُنْ حلساً من أحلاسه» قال الجوهري: أحلاس البيوت: ما يبسط تحت حرّ الثياب. وفي الحديث: «كُنْ حلس بيتك» أي: لا تبرح.^(٣)

١- سرور أهل الإيمان للسيد النبي النجفي: ص ٤٢، بحار الأنوار ج ٥٢، ص ٢٧١، الرقم ٣٨٣.

٢- الصحاح: ج ٣، ص ٩١٩؛ وأما تنمة الحديث فلا نضمن مدى صحته.

أوردها في وسائل الشيعة: ١١ ص ٣٦ ب ١٣ ح ١٣ عن الكافي.
البحار: ٥٢ ص ٢٧٠ ب ٢٥ ح ١٦٠ كما في الكافي. وهي رواية سرور
أهل الإيمان.

البحار: ص ٣٠٣ ب ٢٦ عن الكافي.
ثم إن في الفتن: ج ١ ص ١٣٧ ١ روايتين مقطوعتين: عن كعب تذكر
صراعاً طويلاً بين بني القيسية واليمانية^(٣)...
ثم إن قيس اثنان: أحدهما ابن ثعلبة بن عكاية، والآخر: بن عيلا بن
مضر^(٣).

الرواية السابعة:

ما عن المجلسي قال: روي في بعض مؤلفات أصحابنا، عن الحسين بن
حمدان، عن محمد بن إسماعيل وعلي بن عبدالله الحسيني، عن أبي شعيب
ومحمد بن نصير عن عمر بن الفرات، عن محمد بن الفضل، عن الفضل بن
عمر، قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام: «... ثم يخرج الحسيني الفتى
الصبيح الذي نحو الديلم!، يصيح بصوت له، فيصيح: يا آل أحمد!، أجيبوا
الملهوف والمنادي من حول الضريح!، فتجيبه كنوز الله بالطالقان كنوز وأي
كنوز، ليست من فضة ولا ذهب، بل هي رجال كزبر الحديد، على البراذين
الشهب، بأيديهم الحراب، ولم يزل يقتل الظلمة حتى يرد الكوفة وقد صفا
أكثر الأرض، فيجعلها له معقلاً.

⇒

١- مرآة العقول: ج ٢٦، ص ٢٥٩.

٢- معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ج ٢، ص ٥٥ و ٥٥، ص ١٩١، الرقم ١٠٣٣.

٣- الأنساب للسمعاني: ج ٤، ص ٥٧٧.

فيتصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام ويقولون: يا ابن رسول الله، من هذا الذي قد نزل بساحتنا.

فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو؟ وما يريد وهو والله يعلم أنه المهدي، وأنه ليعرفه، ولم يرد بذلك الأمر إلا ليعرف أصحابه من هو؟ فيخرج الحسيني، فيقول: إن كنت مهدي آل محمد، فأين هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه، وبردته ودرعه الفاضل، وعمامته السحاب، وفرسه اليربوع، وناقته العضباء، وبغلته الدلدل، وحماره اليعفور، ونجيبه البراق، ومصحف أمير المؤمنين؟، فيخرج له ذلك، ثم يأخذ الهراوة، فيغرسها في الحجر الصلد وتورق، ولم يرد ذلك إلا أن يرى أصحابه فضل المهدي عليه السلام، حتى يبايعون. فيقول الحسيني: الله أكبر!، مدّ يدك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نبايعك، فيمدّ يده فيبايعه، ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسيني إلا أربعين ألفاً أصحاب المصاحف المعروفون بالزيدية، فإنهم يقولون: ما هذا إلا سحر عظيم.

فيختلط العسكران: فيقبل المهدي عليه السلام على الطائفة المنحرفة، فيعظهم، ويدعوهم ثلاثة أيام. فلا يزدادون إلا طغياناً وكفراً. فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعاً، ثم يقول لأصحابه: لا تأخذوا المصاحف، ودعوها تكون عليهم حسرة، كما بدّلوها وغيرّوها وحرّفوها ولم يعلموا بما فيها^(١).

المناقشة السنيّة:

أقول: إنّها مروية عن الحسين بن حمدان الخصبي الجنبلائي. قال النجاشي: كان فاسد المذهب، له كتب منها: كتاب... تاريخ الأئمة، كتاب الرسالة تخطيط. قال ابن الغضائري: كذاب فاسد المذهب، صاحب مقالة

١- أنظر معجم رجال الحديث: ج ٥، ص ٢٢٤، ولم يعلق السيد الخوئي على ذلك.

ملعوننة لا يلتفت إليه^(١). قال ابن داود في القسم الثاني: مات في ربيع الأول سنة (٣٥٨هـ).

ثم نقل عن النجاشي: [إنه كان فاسد المذهب]^(٢). قال المامقاني: [...] وضعفه في الوجيزة: ص ١٥٠ أيضاً وعده في الحاوي في الضعفاء، ولكن في التعليقة: إن كونه من مشايخ الإجازة يشير إلى الوثاقة، وأقول: شيخوخة الإجازة كالأصل في الكشف عن الوثاقة، ولا تقاوم الدليل، وإفساد مثل النجاشي لمذهب الرجل دليل، فالأظهر ضعف الرجل].

وقال نجله: [بعد تصريح النجاشي بأن المترجم فاسد المذهب، وأن كتابة الرسالة تخليط، وعدم قيام دليل على خلافه، لا بد من الحكم عليه بالضعف وعدّ رواياته ضعيفه ومتروكة من جهته، فتفطن]^(٣). قال التستري: [...] والظاهر أنه الحسين بن حمدان من قواد العباسية الذين اجتمعوا في سنة (٢٩٦هـ) لخلع المقتدر واستخلاف ابن المعتز، فلم يتيسر لهم].

قال الجزري: [كان في هذه الحادثة عجائب، منها: أن ابن حمدان على شدة تشيعه وميله إلى علي عليه السلام وأهل بيته يسعى في البيعة لابن المعتز على انحرافه عن علي عليه السلام وغلوه في النصب^(٤). قال يحيى بن علي: في مبايعي ابن المعتز رافضيون بايعوا أنصب الأمة! هذا لعمرى التخليط!].

١ - بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٥.

٢ - رجال ابن داود: ص ٤٤٤، برقم ١٣٦.

٣ - تنقيح المقال: ج ٢٢، ص ٣٠.

٤ - الكامل في التاريخ: ج ٨، ص ١٨. أنظر قاموس الرجال: ج ٣، ص ٤٤٠.

الرواية الثامنة:

قال المجلسي: روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب منتخب البصائر هذا الخبر هكذا: حدثني الأخ الرشيد محمد بن إبراهيم بن محسن الطارآبادي: إنّه وجد بخطّ أبيه الرجل الصالح إبراهيم بن محسن هذا الحديث الآتي ذكره: وأراني خطّه وكتبته منه وصورته: الحسين بن حمدان... وساق الحديث كما مرّ إلى قوله: «لكأنّي أنظر إليهم على البراذين الشهب، بأيديهم الحراب، يتعاونون شوقاً إلى الحرب كما تتعاونى الذئاب»^(١).
أقول: على هذا النقل: يكون الحسيني هو الإمام الحسين عليه السلام ولكن لعله سهو القلم وتصحيف للحسيني.

المناقشة السندية:

ثمّ إنّ هذا النصّ لن يرفع الإشكال لأمر:
١- إنّ هذا السند أيضاً يرجع إلى الحسين بن حمدان الذي قلنا بضعفه.
٢- ثانياً: إنّ الذي يقابل المهدي عليه السلام ويطالبه بالمواريث والمعجزات هو الحسين عليه السلام لا السيّد الحسيني.

٣. في السند محمد بن نصير النميري، وقد لعنه الإمام الهادي عليه السلام.
قال الكشي: [قالت فرقه بنوّة محمد بن نصير النميري، وذلك أنّه ادّعى أنّه نبيّ رسول. وإنّ علي بن محمد العسكري عليه السلام أرسله. وكان يقول بالتناسخ والغلوّ في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية. ويقول بإباحة المحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول: إنّ من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وإنّ الله لم يحرم شيئاً من ذلك، وكان محمد بن موسى بن الحسن فرات يقوي أسبابه ويعضده: وذكر أنّه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً، وغلام له على ظهره وأنّه عاتبه

على ذلك. فقال: إنَّ هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر، وافترق الناس فيه وبعده فرقاً^(١).

٤- أمّا أبو شعيب: فإنَّ كنيته النميري فالأمر سهل فهو ضعيف، وإن كان راوياً آخر وهو أبو شعيب المحاملي فقد عنونه النجاشي مرتين: مرّة في باب الأسماء تحت عنوان: صالح بن خالد المحاملي أبي شعيب الكناسي، وأخرى: في باب الكنى تحت عنوان: أبي شعيب المحاملي، ووثّقه في الثاني كما وثّقه الشيخ في رجاله، بعد عدة إياه من أصحاب الكاظم^(٢).
أقول: فهو مشترك بين الثقة وغير الثقة، فلم نقدر على تصحيح السند، أضف إلى أنه من أصحاب الكاظم عليه السلام فكيف يروي عمّن كان في القرن الرابع (٣٦٥هـ).

٥. وأمّا كتاب منتخب البصائر للشيخ حسن بن سليمان، فنقول: فإنّه رواه في: ص ٣٩٧ ورقم ٥١٢، فالكتاب والمؤلف ممّا لا كلام فيهما، قال في رياض العلماء: كتب البياضي وأبي سليمان كلّها صالحة للاعتقاد. وهو تلخيص للبصائر لسعد بن عبدالله^(٣).

الرواية التاسعة:

قال المجلسي: (وفي خطبة الملاحم لأمر المؤمنين عليه السلام التي خطب بها بعد وقعة الجمل بالبصرة، قال: يخرج الحسيني صاحب طبرستان مع جمٍّ غفير كثير من خيله ورجله، حتّى يأتي نيسابور، فيفتحها، ويقسم أبوابها، ثمّ يأتي أصبهان، ثمّ إلى قم، فيقع بينه وبين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير، فينهزم أهل قم، فينهب الحسيني أموالهم ويسبي ذراريهم ونساءهم

١- اختيار معرفة الرجال: ص ٥٢١.

٢- تنقيح المقال: ج ٣، ص ٢٠.

٣- رياض العلماء: ج ١، ص ١٩٣، بحار الأنوار: ج ١، ص ٣٣.

ويجرب دورهم، فيفزع أهل قم إلى جبل يقال لها «وراردها» فيقيم الحسيني بلدهم أربعين يوماً، ويقتل منهم عشرين رجلاً، ويصلب منهم رجلين ثم يرحل عنهم^(١).

أولاً: الرواية مُرسلة.

ثانياً: مفادها أن الحسيني يعدّ من الظلمة والسفاكين لا من الأخيار والموالين.

كلام الشيخ المفيد:

قال (قده): [قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي ﷺ وحوادث تكون أمام قيامه وآيات ودلالات؛ فمنها: خروج السفياي، وقتل الحسيني، واختلاف بني العباس في الملك الدنياوي^(٢)، وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهدم حائط مسجد الكوفة، وإقبال رايات سود من قبل خراسان، وخروج السفياي، وظهور المغربي^(٣) بمصر وتملكه الشامات، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة] وكلام المفيد إشارة إلى الروايات التي ذكرناها، وقد عرفت الكلام فيها.

١ - بحار الأنوار: ج ٥٧، ص ٢١٥، الممدوح من البلدان.

٢ - وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر آخره على خلاف العادات، وخسف بالبيداء، وخسف بالمغرب، وخسف بالشرق، وركود الشمس من عند الزوال إلى أوسط أوقات العصر وطلوعها من المغرب.

... قال المفيد: ومن جملة هذه الأحداث محتومة مشروطة والله أعلم بما يكون، وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول وتضمنتها، وبالله نستعين الأثر المتقول وبه سنفحص.

٣ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٢٠، أنظر المعجم المفهرس لأعلام أحاديث بحار الأنوار: ج ١، ص ٣٣٢.

الرواية العاشرة:

أوردها الطوسي في كتابه، قال: أخبرنا جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن الخليل، عن جعفر بن أحمد المصري، عن عمّه الحسن بن علي، عن أبيه عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن أبيه الباقر عليه السلام، عن أبيه ذي الثفنيات سيّد العابدين عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في الليلة التي كانت فيها وفاته، لعلي عليه السلام:

«يا أبا الحسن، أحضر صحيفة ودواة، فأملا رسول الله ﷺ وصيّته حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال: يا علي، إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً، ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الإثني عشر إماماً، سَمَّاكَ اللهُ تعالى في سمائه، عليّاً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم والمأمون والمهدي، فلا تصحّ هذه الأسماء لأحد غيرك.

يا علي، أنت وصيّ علي أهل بيتي حيّهم وميتهم، وعلى نسائي، فمن ثبتها لقيتني غداً ومن طلقها فأنا بريء منها لم ترني ولم أراها في عرصة القيامة.

وأنت خليفتي على أمّتي من بعدي فإذا حضرته الوفاة فسلّمها إلى أبنّي الحسن البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى أبنّي الحسين الشهيد الزكي المقتول، فإذا حضرته الوفاة، فليسلمها إلى ابنه سيّد العابدين ذي الثفنيات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر عليه السلام، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق عليه السلام، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي، فإذا

حضرتة الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرتة الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرتة الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد ﷺ. فذلك إثنا عشر إماماً. ثم يكون بعده اثنا عشر مهدياً. فإذا حضرتة الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقرّبين، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي واسم أبي وهو عبدالله وأحمد، والاسم الثالث المهدي وهو أول المؤمنين^(١).

دراسة في السند:

إنّ هذه الرواية ضعيفة: إذ في السند مجاهيل وضعاف، وإليك بعضهم:

١. علي بن سنان الموصلي العدل.

قال المامقاني: [ليس له ذكر في كتب الرجال]...^(٢)

و قال السيّد الخوئي: [...] ثم إنّ كلمة العدل على ما يظهر من ذكرها في مشايخ الصدوق كان يوصف بها بعض علماء العامة. فلا يبعد أن يكون الرجل من العامة^(٣).

وقال التستري: [...] وكيف كان، فيستشَم من وصفه بالعدل عاميته^(٤).

٢. وفي السند أيضاً جعفر بن أحمد المصري، وهو أيضاً ممن لم يذكره علمائنا الرجاليون في كتبهم، فهو مهمل.

وأما العامة: فقد ضعّفوه - وإن لم نكثر بتضعيفاتهم - قال العسقلاني: [حدّث بأحاديث موضوعة، كُنّا نتهمه بوضعها بل نتيقن ذلك. وكان رافضياً]^(٥).

١- الغيبة للطوسي: ص ١٥٠.

٢- تنقيح المقال: ج ٢، ص ٢٩١.

٣- معجم رجال الحديث: ج ١٢، ص ٤٦.

٤- قاموس الرجال: ج ٧، ص ٤٨٧.

أثنا من حيث الدلالة:

أولاً: مفاد هذه الرواية تنافي الروايات الأخرى والتي فيها إثنا عشر - مهدياً لا إماماً، كما عن أبي بصير، قلت للصادق: «يا بن رسول الله، إني سمعتُ من أبيك أنه قال: يكون بعد القائم اثنا عشر مهدياً، فقال: إنما قال اثنا عشر مهدياً، ولم يقل: إثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا، يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا»^(١).

ثانياً: مفادها: أن هؤلاء - سواء كانوا من أولاد المهدي ﷺ أم كانوا من شيعة أهل البيت ﷺ يدعون الناس إلى موالاتهم - يحكمون بعد رحيل الإمام الثاني عشر. وعليه فلا ربط له بما يدّعيه بعض المنحرفين. وكذلك رواية مختصر بصائر الدرجات: «إنّ منّا بعد القائم إثنا عشر - مهدياً من ولد الحسين»^(٢).

فإنّه مرسل، أو لم يذكر الطريق إلى الصادق ﷺ كي يعرف حالة الرواية ورجال السند.

وثالثاً: الرواية تشير إلى مجيء المهديين بعد رحيل الإمام الثاني عشر: فأين هذا مما يدّعيه بعض المنحرفين. ولا شك ولا ريب في إمامة الأئمة الإثني عشر، خلفاء الرسول الأعظم ﷺ، وأولهم علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي ﷺ.

إلى هنا فرغنا من البحث عن الحسني واليمني، وبعض العلامات المتعلقة بظهور المهدي ﷺ وسنبحث عن سائر العلامات إن شاء الله تعالى.

⇨

١ - أنظر تنقيح الرجال: ج ١٥، ص ٣٨، لسان الميزان: ج ٢، ص ١٠٨.

٢ - كمال الدين: ج ٢، ص ٣٣٥، باب ما أخبر به الصادق ﷺ، من وقوع الغيبة.

٣ - أنظر بحار الأنوار: ج ٧، ص ١٤٨، باب خلفاء المهدي وأولاده.

تجسد الكرامة الإنسانية في دولة الإمام المهدي الكريمة

محمد هادي عبدخدائي

المقدمة:

إنّ دولة الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) هي الدولة الكريمة^(١). وتتجسّد الكرامة الإنسانية وتتلور عندما ترتقي البشرية قمة العزّة والشموخ، وتتجلّى الإنسانية بكافة قيمها الرفيعة في هذه الدولة الكريمة. وقبل الدخول في تفاصيل هذه الدعوى لابدّ لنا من الوقوف في معنى الكرامة ومفهومها، ثمّ بيان مصاديق الكرامة والخلق الكريم حتّى نتناول أخيراً تبلورها في حكم الإمام المهدي في المعاني كافة.

الكرامة في اللغة:

إنّها تعني: الشرف والنفاسة والعزّة والسخاء. وورد في المصباح المنير وأقرب الموارد: بأن كرم الشيء يعني (نفس وعزّ).

ويقول الراغب الأصفهاني في مفرداته عن الكرم ما يلي: [الكَرَمُ إذا وُصِفَ اللهُ تعالى به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، نحو قوله: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾^(٢)، وإذا وُصِفَ به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال

١ - دعاء الافتتاح الموجود في كتب أدعية الشيعة: «إنا نرغب إليك في دولة كريمة، تُعزّ بها الإسلام وأهله وتُذلّ بها النفاق وأهله» كما في مصباح المتهدّد للطوسي: ص ٥٨١، دعاء كل ليلة من شهر رمضان، (طبعة مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، ١٤١١هـ).

٢ - التمل: ٤٠.

المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال: هو كريم، حتى يظهر ذلك منه. قال بعض العلماء: الكرم كالحريّة إلا أنّ الحريّة قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة، كمن ينفق مالاً في تجهيز جيش في سبيل الله، وتحمل حمالة ترقى دماء قوم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١) فإنما كان كذلك؛ لأنّ الكرم الأفعال المحمودة، وأكرمها وأشرفها ما يقصد به وجه الله تعالى.^(٢)

الكرامة في القرآن:

لقد وردت مفردة (الكرم) وما اشتق منها (٤٧) مرّة في القرآن الكريم، يمكن حملها بتناسب الحالة وسياق الآيات إلى إحدى المعان التي وردت في قول الراغب.

الكرامة الإنسانية:

إنّ كرامة الإنسان تتحقّق بتحقيق شخصيّته الحقيقية وقيّمته الاجتماعية من حيث القيم الروحية والمادية وعدم الاستهانة بها، كما تتحقّق كرامة المجتمع عندما تتجسّد فيه الكرامة الإنسانية. وللإنسان المكرّم صفات وسما: كالعقل والإيمان والتقوى والعلم والحريّة والعدالة والأمان والاستغناء؛ فكرامة المجتمع في تبلور هذه الصفات في ظلّ حكم الصالحين كما عبّر عنه القرآن الكريم.^(٣)

١- الحجرات: ١٣.

٢- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٧٠٧.

٣- راجع سورة الأنبياء: ١٠٥.

الدولة الكريمة:

الدولة الكريمة دولة تتجسد فيها القيم الإيمانية والأخلاقية، الرفيعة وتبلغ فيها الإنسانية ذروة عزتها. إن هذه الدولة العالمية الشاملة تتحقق بحكم الأئمة عليهم السلام.

إن الدولة المهدوية حكومة الفضلاء والعلماء وحكومة المؤمنين التقاة. إنها حكومة الأكفاء والنخب العادلة. إن هذه الدولة الكريمة تمهد لتبلور المواهب والقابليات. دولة الأمن والرخاء والعدل وحكومة الإسلام الأصيل على أرجاء البسيطة، والدولة التي بفضلها تبلغ الإنسانية قمة العزة والكرامة. وفيما سيأتي تفصيل بعض هذه المحاور المذكورة:

المحور الأول: الإيمان والكرامة الإنسانية

إن الإيمان الصحيح والقيم من أبرز السمات المؤدية إلى الكرامة والشرف الإنساني. إن هذا الإيمان يأتي نتيجة لرؤية كونية وأيديولوجية متعالية ورفيعة. وكلما كان التفكير الإنساني سامياً كان أكثر صوناً لشرفه، وأسلم جانباً في روحه وحياته، وعلى العكس من ذلك لو كان التفكير رجعيّاً بعيداً عن العقل والمنطق لخفض من شأنه وهان من شرفه.

فالعقل على تناغم كامل مع الإيمان، وثمره وينعه رهن بهذا التناغم، وبانعدام هذا التماثل سيسلك العقل سبيل الشيطان ويزلّ عن الطريق السوي. فالكرامة الإنسانية تتحقق بوجود الإيمان الصحيح والمعتقد الصائب المنطقي، فمن دون ذلك سيواجه الإنسان الأزمات ويصبح فريسة سهلة للرجعية والتخلف الفكري.

إن الإيمان الصحيح والسليم هو الذي يحدّد للانسان وجهته، ليعلم من أين أتى؟، وإلى أين يسير؟، وكيف إياه وذهابه؟، وما هي واجباته ومسؤولياته إزاء نفسه والآخرين؟، ليعلم أن إياب الخلق من الله

ومرجعهم إليه، ويتجلى في نفسه قوله الكريم: {إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}. وبذلك الإيمان الصحيح والسليم ستفتح أمامه نوافذ المعرفة القدسيّة والربوبيّة ومصابيح الهداية والرشد؛ لتتير وجوده بالأنوار الإلهية، وتسلك به طريق الكرامة والرشاد، ليهيم في حبّ الله ويفنى في ذاته، وكلّما ازداد هياماً وشوقاً كلّما ازداد رفعةً وشموحاً.

يقول الرسول الأكرم: «كرم الرجل دينه»^(١).

ويقدم أمير المؤمنين عليه السلام الإسلام كمجموعة من الكرامة الإلهية حين يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجَمَاعِ كَرَامَةٍ»^(٢).

إنّ الإنسان الخالي من الإيمان كراع تائه ضلّ الطريق وفقد هويّته. وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣).

فالإنسان من دون إيمان كطالب نسي العلم وفقد المعلم وبفقدانها، يفقد هويّته العلمية، حاله حال بهيمة جلست جنب مائدة صاحبها ولم تعرفه ولم تشكره.

ووصف الإمام السجّاد عليه السلام حال هؤلاء في صحيفته الكريمة حين قال: «وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مَنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مَنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ. وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا

١ - ميزان الحكمة للريشهري: ج ٨، ص ٣٦٤، نقلاً عن ابن حنبل.

٢ - نهج البلاغة: الخطبة ١٥٢.

٣ - الحشر: ١٩.

كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١١﴾^(١) ﴿١٢﴾^(٢).

ومصير هذا الإنسان سينتهي نحو العدمية، حيث يفقد كل شيء ويهوي نحو الهاوية. ويصفهم الله تعالى خير وصف حين قال عز من قال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٣).

تبلور الإيمان في دولة الإمام المهدي:

سيكون عصر ظهور المهدي عصر تبلور الإيمان، وعصر تألق الإسلام، وتلاؤ الحقائق القرآنية. إنه عصر الاعتراف والاستسلام أمام المعارف الدينية، وعصر التمكين للدين الله سبحانه وتعالى، حيث قال جل وعلا: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾^(٤).

إنه عصر ترفرف فيه راية الإسلام، وتشدو كل بقاع العالم بألحان التوحيد، وترتفع فيه أنغام «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»^(٥) الجميلة من كل حذب وصوب.

عصر يسعى الجميع فيه إلى الله، وسيصبح كل بيت منارة لحب الله والخير، وسيزول الثالث المسيحي، وستنتهي معابد الأصنام الهندوسية، وستحطم الإلحاد الشيوعي، وستمحق اللامبالاة الغربية.

إن عصر الظهور عصر تبدل الظلمة والوحشة بنور التوحيد الباهر،

١ - الفرقان: ٤٤.

٢ - الصحيفة السجادية، الدعاء الأول.

٣ - سورة الحج: ٣١.

٤ - سورة النور: ٥٥.

٥ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٤٠، وفي رحاب المهدي: ص ٢٦١ نقلاً عن كتاب عقد الدرر.

وتشرق الأرض بنورها^(١)، وتحیی الأرض المیتة بنور الإیمان^(٢).
 وفي ظلّ الحكم المهدي ستزول كافة الخلافات الدينیة لصالح الإسلام، وتعلو كلمته، وینتشر وحده في جميع العالم، كما يروي مقدار بن الأسود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام»^(٣).
 كما سيتم القضاء على كافة أشكال الجاهلية ومخلفاتها، ويظهر الإسلام وفق حقيقته وجوهرة الأصيل، كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه سُئل عن سيرة الإمام المهدي عليه السلام فقال: «يصنع ما صنع رسول الله، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله ﷺ أمر الجاهليّة ويستأنف الإسلام جديداً»^(٤).
 أجل، إنه إسلام أصيل خالص في حكومة المهدي الموعود، وسيطهر الإمام الإسلام من أيّ دنس وبدعة اعترت جوهرة الطاهر والنقي، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يترك بدعة إلا أزالها، ولا سنة إلا أقامها»^(٥).

المحور الثاني: الكرامة الإنسانية والتّقوى

إنّ التّقوى من أهمّ ركائز كرامة الإنسان وعزّته بعد الإیمان بالله. وهي ما تميّزه عن البهائم والحيوانات. فالبهائم لا تتقي شيئاً، ولا تعرف ما لها وما عليها، لا تعرف الستر من العراء والحسن من القبيح. فهي تمشي أين ما شاءت، وتنق متى ما أرادت، وتعتدي على من أحبّت، وأكلت ما اشتتهت. لكن الإنسان يقيده العقل، ويتحكّم به الإیمان، فلا ينطق عن فراغ، ولا يمشي - بلا

١ - ﴿واشرق الأرض بنور ربها﴾، سورة الزمر، الآية ٦٩.

٢ - ﴿يحیی الأرض بعد موتها﴾، سورة الحديد، الآية ١٧.

٣ - تفسير مجمع البيان للطبرسي، ذيل الآية ٣٣ من سورة التوبة.

٤ - في رحاب الإمام المهدي: ص ٢٦٨، نقلاً عن الغيبة للنعماني.

٥ - المصدر السابق، نقلاً عن عقد الدرر.

نطاق، ولا يأكل مالا بلا سؤال، ولا يقوم بشيء بلا مال.
ويكون الإنسان أكثر إنسانية عندما يكون أكثر التزاماً
بالمبادئ الأخلاقية، كما يزيد اقتراباً من البهائم عندما يصبح أكثر
ابتعاداً عنها، وأكثر عشوائية وعدوانية في التصرف مع الآخرين. ويكفي
للدلالة على ذلك المقارنة بين شخص عادل وأمين وصادق وخدم ومجرم
كذاب محتال؛ فهل يستويان في الكرامة والعزة الإنسانية مثلاً؟.

وكلما ازداد الإنسان التزاماً بالتقوى واتزاناً بالمكارم الأخلاقية، كلما
ازداد اقتراباً من الكرامة الإنسانية والإلهية، ويقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾^(١).

ويقول أمير المؤمنين: «من اتقى ربه كان كريماً»^(٢).
وقال أيضاً: «ولا كرم كالتقوى»^(٣).

فالإنسان المتقي يحيى بالعزة والكرامة عند الله وخلقه وفي الدنيا
والآخرة. وقال أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين:

«قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلّوا دار القرار»^(٤).

وهكذا تُحفظ كرامة الإنسان في ظلّ الزهد والتقوى، كما تُحفظ
كرامة المجتمع البشري حين يتولّى قيادتها ويتزعمها أهل الزهد والتقوى.

تطور التقوى في دولة الإمام المهدي

إنّ دولة المهدي دولة المتقين الزهاد، ودولة النبلاء والنجباء الأبرار، إنّها
دولة الصالحين وحكمهم العادل. وقد ورد في الذكر الحكيم:

١ - الحجرات: ١٣.

٢ - ميزان الحكمة للريشهري: ص ٣٦٦، نقلاً عن كتاب غرر الحكم ودرر الكلم للآمدني.

٣ - نهج البلاغة: الحكمة ١١٣.

٤ - المصدر السابق: الخطبة ١٦٥، الفقرة ٣٣.

﴿إِنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).

كما أنّها وحسب قول الله تعالى حكومة المؤمنون:
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ..﴾^(٢).

وإنّها - أي حكومة المهدي الموعود - حكومة الخير والخيرات، وفقاً
لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً...﴾^(٣).
وبشّر القرآن بأنّ هذه الحكومة العادلة ستقيم حدود الأحكام الإلهية
التي أقرّها الله سبحانه وتعالى للبشر:

﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا
بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٤).
ويقول الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الآية:

«فَهَذِهِ لآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ إِلَى آخِرِ الْأَيَّامِ، وَالمُهْدِيِّ وَأَصْحَابِهِ
يَمْلِكُهُمُ اللهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَيُظْهِرُ بِهِ الدِّينَ وَيُمِيتُ اللهُ بِهِ
وَبِأَصْحَابِهِ البِدْعَ وَالبَاطِلَ كَمَا أَمَاتَ السُّفَهَاءُ الحَقَّ حَتَّى لَا يُرَى أَيْنَ الظُّلْمِ،
وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ»^(٥).

وقد أشادت روايات كثيرة بأصحاب المهدي، وعبرت عنهم حيناً بالقوم
الصالحين، وحيناً بالعارفين بالله سبحانه وتعالى.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهم: «رجال مؤمنون عرفوا الله حق
معرفة، وهم أيضاً أنصار المهدي في آخر الزمان»^(٦).

١ - الأنبياء: ١٠٥.

٢ - النور: ٥٥.

٣ - البقرة: ١٤٨، راجع أيضاً: بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٨٨.

٤ - الحج: ٤١.

٥ - بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٤٧. وحسب ما جاء في بعض الروايات، فإن الإمام المهدي وأصحابه مصداق كامل
لبعض الآيات، وتفيد بعض الروايات بتأويل الآية والتي تنطبق على الإمام وحكومته الكريمة. وفي بعض الروايات
تشبيهه وفي بعضها تنزيل.

٦ - منتخب الأثر لصافي الكلبي إمامي: ص ٤٨٣ - ٤٨٤.

كما يقول الإمام الصادق عليه السلام عن أصحاب المهدي: «وهم النجباء والقضاة والحكام والفقهاء في الدين، يمسح الله بطونهم وظهورهم، فلا يشته عليهم حكم»^(١).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام واصفاً هؤلاء الأبرار: «وهم الركن الشديد، فإن الرجل منهم يعطى قوة أربعين رجلاً، وإن قلب رجل منهم أشد من زبر الحديد»^(٢).

وما أسعد الإنسانية وأكرمها عندما يقع حكم العالم في يد هذه الثلثة المدججة بسلاح الإيمان، وهذه الصفوة المعرفية الذين يعرفون الله حق معرفته، فهم قضاة نجباء وحكام فقهاء، الأشداء في سوح الوغى والشهادة، والعشاق في محاريب التقى والعبادة.

المحور الثالث: العدالة والكرامة الإنسانية

إن العدالة معيار للقيم الأخلاقية كافة. وللعدل معان واسعة النطاق في ثقافة الأخلاق الإسلامية، ولا سيما قاموس الشيعة الأخلاقي. فالعدل يبدأ من البارئ عز وجل ويتجسد في كافة أفعاله وأحكامه.

وانعدام العدل أكبر معاناة يعيشها العالم. فالعالم اليوم ساحة مترامية الأطراف من أشكال التمييز والجور وإضاعة حقوق الآخرين من قبل أبناء جنسهم. فالملايين يعيشون في العالم الثالث دون الاستمتاع بالنعمة الإلهية، فلا توجد صحة ولا غذاء ولا ثقافة ولا تعليم ولا تربية ولا .. إن هذا الوضع الإنساني المؤلم ناتج عن نهب ثروات هؤلاء البؤساء من قبل الدول المتقدمة، والتي استولت عليها بقوة السلاح؛ لتستغل مواردها الذاتية

١ - نفس المصدر والصفحة.

٢ - نفس المصدر والصفحة.

بأبخس ثمن، ولكي تضع هذه الشعوب تحت نير الاحتلال والاستعمار.

تبلور العدالة في دولة المهدي الموعود:

وللعدالة في دولة المهدي تجسيد خاص وشوكة ظاهرة. وجاء التأكيد الأكبر في الروايات المبشرة بظهوره، والواردة عن النبي والأئمة الاطهار عليهم السلام على نشر العدل في حكومته الكريمة.

وقد أورد كتاب <منتخب> الأثر في فصوله المتعددة (١٢٩) رواية تختص بهذا الجانب من الحكم المهدي. ووفقاً لرواية عبدالله بن عمر عن الإمام الحسين عليه السلام أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(١).

وروى أبي سعيد الخدري عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أنه قال: «تأوي إليه أُمَّته كما يأوي النحل إلى يعسوبها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(٢).

ويروي الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أخبرت بالليلة التي أسري بي باستشهاد الحسين، ومن ثم بشرني الله «بذَكَرٍ» يأتي من صُلب الحسين، إلى أن قال: ... يملأ الأرض بالعدل ويطبّقها بالقسط»^(٣).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية المباركة: «إِعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا»^(٤): «يحييها بالقائم فيعدل فيها، فيحيي الأرض

١ - منتخب الأثر لصافي الكلبيگاني: ص ٢٤٧، نقلاً عن كمال الدين.

٢ - المصدر السابق: ص ٤٧٨، نقلاً من الملاحم والفتن لنعيم بن حماد وشرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي.

٣ - نفس المصدر السابق والصفحة، نقلاً عن كامل الزيارات لابن قولويه.

٤ - الحديد: ١٧.

بالعدل بعد موتها بالظلم»^(١). وما ألدّ الحياة التي لا تستمع فيها إلى آنة مظلوم، ولا تشاهد فيها إضاعة للحقّ. ويقول الإمام الباقر عليه السلام أيضاً: «إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية، وعدل في الرعيّة، فمّن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله»^(٢).

المحور الرابع: الأمن والكرامة الإنسانية

إنّ الأمن من أحد أهمّ القيم التي تحفظ في ظلّه الكرامة الإنسانية. ويلحق القهر والغلبة اليومية من قبل المستكبرين أكبر الضرر بالكرامة الإنسانية.

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هناك نعمتان مجهولتان، هما: الصحة، والأمان»^(٣). وفي عالم يشهد الصراع والحروب المدمّرة على كافّة أصقاعه، يُهان البشر، ويخضع للمهانة والأسر والإذلال اليومي، وتُنهب موارده، وتُسرق أمواله، ففي هذا الوضع الصعب والعسير كيف يمكن الحديث عن الكرامة الإنسانية والمحافظة عليها؟!.

تبلّور الأمن في دولة المهدي الكريمة:

لقد ضمنت أحكام الشريعة الإسلامية أمن النّاس على كافّة المستويات والجوانب، من عرض وناموس وحياة وأموال إلى أمن فرديّ واجتماعيّ ودينيّ وأخرويّ. سيعمد الإمام المهدي عليه السلام في دولته إلى تنفيذ وإقامة كافّة قوانين الشريعة بحذافيرها، فيستتب ويضمن أمن الشعوب البشرية

١ - منتخب الأثر لصافي الكلبيّكاني: ص ٤٧٨، نقلاً عن ينابيع المودة للقندوزي.

٢ - الغيبة للنعماني: ص ٢٤٣، ح ٢٦، طبعة أنوار الهدى - قم، ١٤٢٢ هـ .

٣ - راجع مسند الإمام الرضا عليه السلام لداوود بن سليمان الغازي: ص ١٢٠، طبعة مكتب الإعلام الإسلامي - قم،

على جميع المستويات. وقد بشر - الله العزيز الحكيم المؤمنين بهذا الأمن المستقرّ في قوله تعالى: ﴿وَلَيَبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(١). وقد أشارت الروايات المتعدّدة بأنّ هذه الآية تعني: قيام القائم، واستقرار دولته.^(٢)

إنّ الأمن في دولة المهدي ﷺ عام وشامل يضمّ الجميع، حيث يحلّ الأمن في كلّ مكان من بيوت إلى طرق^٣، حيث يوصف الإمام الباقر عليه السلام هذا المنظر الرائع ويقول: «وتخرج العجوزة الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد»^(٤).

المحور الخامس: الرخاء والكرامة الإنسانية

إنّ الفقر يوجّه ضربة قاصمة للكرامة الإنسانية. وقال رسول الله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٥). فالفقر: هو الموت الأكبر وهو الأشدّ من القتل. إنّ الفقر يقصم الظهر، ويخرس الفطن عن حجّته. ولا نقصد هنا الفقر إلى الله وهو الغنيمة الكبرى، كما لا نقصد فقر الأمراء والحكّام، فإنّه مدعاة للفخر والاعتزاز. وقد قال رسول الله ﷺ: «إنّ الفقر فخري»^(٦)، بل ما نتحدّث عنه هو الفقر المادّي الذي ابتلي به كثير من الناس على مرّ التاريخ.

ويقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «يَا بُنَيَّ، إِنَّ مِنْ أَلْبَاءِ الْفَاقَةِ،

١ - النور: ٥٥.

٢ - منتخب الأثر للصافي الكلّيايگاني: ص ٢٩٤، نقلاً عن بحار الأنوار.

٣ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٣٨.

٤ - منتخب الأثر: ص ٣٠٨، نقلاً عن ينابيع المودة للقندوزي وبحار الأنوار.

٥ - الكافي: ج ٢، ص ٣٠٧، ح ٤، طبعة دارالكتب الإسلامية - طهران.

٦ - عدّة الداعي: لابن فهد الحلّي: ص ١٣ بزيادة: «وبه أفتخر» كما في طبعة مكتبة وجداني - قم، بتصحيح أحمد الموحدوي القمي.

وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ مَرَضُ الْبَدَنِ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ مَرَضُ الْقَلْبِ»^(١).

تبلّور كرامة الرخاء في عهد حكومة المهدي الموعود:

لن يشهد أحد في الحكم المهدي ذلّ الفقر، وسينعم الجميع بكرامة الرخاء، وعزّة الإستغناء. فالإمام المهدي ﷺ سيستغلّ موارد الرخاء من جانب، ويمنع وقوع أسباب الفقر من جانب آخر، إضافة إلى الاستغلال الأمثل لموارد الأرض وخيراتها، كما يقول الرسول الكريم ضمن حديث عن زمن ظهور المهدي المبارك: «تنعم أمتي في زمانه نعيماً لم ينعموا مثله قطّ، البرّ منهم والفاجر، يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من نباتها، ويكون المال كدوساً، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خُذ»^(٢).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم... أخرجت الأرض بركاتها وردّ كل حقّ إلى أهله»^(٣).

والنقطة الهامة في هذا الحديث هي قوله: «يردّ كل حقّ إلى أهله»؛ لأنّ السبب الرئيس في تفشي الفقر ومعاناة البشر- في الوقت الراهن يكمن في إضاعة حقوق المحرومين، وتبديد ثرواتهم.

ويضيف الإمام الصادق عليه السلام في حديث آخر: «فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم موضعاً لصدقته، ولا لبرّه؛ لشمول الغنى جميع المؤمنين»^(٤).

ففي دولة المهدي الجليلة يعمّ الإعمار، ويزول الخراب

١ - نهج البلاغة: الخطبة ٣٨٨، شرح محمد عبده، طبعة دار الذخائر - قم، ١٤١٢ هـ .

٢ - منتخب الأثر لصافي الكلبايگاني: ص ٣٢١، نقلاً عن الفتن والملاحم لابن حماد.

٣ - بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٣٨، ح ٨٣.

٤ - المصدر السابق: ج ٥٢، ص ٣٣٩، ح ٨٣.

والدمار، كما ورد في الحديث الشريف: «ولا يبقى في الأرض خراب إلا يعمره»^(١).

الكلمة الأخيرة:

ما أجمل دنيا يسطع على وجهها نُور التوحيد، ويحكم فيها الإيمان والعقل، ويبلغ العلم ذروة كماله. تعمر جميع البلاد، وينعم الجميع بنعم الله، ينتهي الفقر والحرمان ويخيم الأمن ويسود السلام، عالم لا يسمع فيه نكرة ظالم ولا زفير مظلوم، تتحطم قيود الأسر وتتلاشى سلاسل العبودية. لا مكان فيه هيمنة النفس الأمارة بالسوء، ولا أثر للجهالة الجهلاء، عالم بريء ومعصوم من الفساد والدنس والمجون، يحكمه ويتصدره الصالحون الأكفاء والمطهرون الأتقياء الذين وعد الله بهم في ذكره الحكيم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢).
﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾^(٣).

إن الكرامة الاكتسابية مفهوم تشكيكي متعدد الدرجات والمراتب. وهذه المراتب وجودية، وتختلف من شخص لآخر حسب إيمانه وعمله الصالح. وقد تتدخل عدة أسباب في ضعف وقوة هذه الكرامة، تسعى بعضها إلى إبعاده عنها، في حين تسعى الأسباب الأخرى إلى اقترابه منها. فمثلاً: دعوة الرسل ونزول الوحي والكتب السماوية ومساعي الهداة والأولياء، كانت وعلى مر التاريخ تسعى لإعطاء الكرامة الاكتسابية للإنسان، ورفع شأنه ومنزلته، وفي المقابل يقف الشيطان وجنوده لإبعاده

١ - منتخب الأثر: ص ٤٨٢.

٢ - الأنبياء: ١٠٥.

٣ - الأنبياء: ١٠٦.

عن مرتبته العليا وكرامته الحقيقية.

المحور السادس: الكرامات الاكتسابية حقيقة واقعة

إن الكرامات الاكتسابية وإن كانت حصيلة أفعال الإنسان الاختيارية واتّسمت بطابع قيمّي ومعنويّ، لكنّها حقيقية وليست اعتبارية قطّ. بعبارة أخرى: عندما يسلك الإنسان سبيل التعبّد والعبودية لله ويلتزم بالمنهج الأخلاقي الإسلامي والإلهي، فقد نجح في تكوين الصفات الروحية والخصال الحميدة في ذاته. وهذه الخصال الروحية والأخلاقية الحميدة حقيقية واقعة بالفعل، وتضاف إلى كمالات ذات الإنسان وسماته الوجودية.

فمثلاً: عندما نصّف أحد بالشجاعة، لا يأتي إطلاقها عليه اعتباراً واعتباراً، وإنما لتحقق الشجاعة في ذاته. فالكرامات الإنسانية المكتسبة هي من نفس النمط.

وبحسب ما يتّصف به الإنسان من هذه الكرامات المكتسبة، يقارن مع باقي أفراد المجتمع حيث يتفوّق على بعض ويتخلف عن بعض آخر، بل وحتى يقارن مع الحيوانات والملائكة. فقد تكون مرتبة الإنسان أسمى من مرتبة الملائكة، وقد تسقط بأدنى من مرتبة الحيوانات.

مصاديق الكرامات الاكتسابية (التشريعية):

أ- العدالة الاجتماعية:

إنّ التزام العدالة بين الناس في نظام الإسلام الاجتماعي مبدأً مؤكّداً مفروغ منه. فالناس سواسية في إنسانيتهم بمعزل عن العنصر والجنسية

والقومية واللون وحتى الدين والمذهب.

فهذه الاعتبارات لا يمكن أن تتخذ ذريعة لتمييز البعض على البعض الآخر. وإن كان الالتزام بهذا المبدأ الإنساني واجب مؤكّد على جميع أفراد المجتمع، ولكنه واجب مضاعف ومؤكّد على عاتق المسؤولين لتمتّعهم بصلاحيات السلطة السياسية والإمكانات الاجتماعية.

إذاً فمراعاة حرمة النفوس وتكافؤها في التمتع بالحقوق الاجتماعية من مظاهر ومؤشرات الكرامة الإنسانية في ساحة الحياة الاجتماعية والالتزام بمبدأ العدالة الاجتماعية.

وكان ديدن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الالتزام والتقيّد بهذا المبدأ السامي في التعامل مع الأمة الإسلامية آنذاك، حيث أثر زعزعة نظامه السياسي الناشئ على ضعفة مبدأ التكافؤ والعدالة الاجتماعية. فلم يتهاون في الالتزام بهذا المبدأ حتى وإن أدى إلى انهيار نظام حكمه ومعاداته من قبل أصحابه وانحيازهم إلى معسكر معاوية.

ويقول ابن أبي الحديد نقلاً عن فضيل بن جعد في هذا الإطار:

[إن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مشوا إليه - وذلك تفرّق الناس عنه وفرار كثير منهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا - فقالوا له: يا أمير المؤمنين، أعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، و[فضل] من يخاف خلافه عليك من الناس وفراره إلى معاوية [إلى أن يستقيم لك الأمر، وبعده عد إلى ما عودك الله عليه من الأسوة وإعطاء كل ذي حقّ حقه]، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟! لا والله لا أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم. والله لو كانت أموالهم لي لواسيت

بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم» [١].

ب - حرمة النفس ونفوس الآخرين:

لقد بذل الإسلام أهمية قصوى لحرمة الأشخاص والمحافظة على نفوسهم. إن هذه الحرمة تشمل المحافظة على النفس من قبل الشخص في نفسه والمحافظة عليها قبل الآخرين.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [٢].

وقد حرمت الشريعة الإسلامية قتل الآخرين ما عدى ما كان عن قصاص أو إفساد في الأرض، ويكفي لأهمية هذا الحكم أنه جعل قتل نفس بريئة كقتل الناس جميعاً، كما جعل إنقاذ النفس وإحياءها كإحياء الناس جميعاً وبث الروح فيها.

ولم ينة الإسلام عن قتل الآخرين تأكيداً على المحافظة على نفوس الآخرين وحرمتها فحسب، بل نهى في نفس الوقت عن المبادرة بقتل النفس أو الانتحار، وأصرّ على لزوم المحافظة عليها وحرمة قتلها، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [٣].

ولقد فرض الإسلام في القتل غير المتعمد، غرامات مالية ليكشف للناس عن أهمية النفس وحرمتها، وعدم التعرض والمساس بحياة الآخرين.

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢، ص ٢٠٤.

٢ - المائدة: ٣٢.

٣ - النساء: ٢٩.

أهمية القول:

واهتمّ الإسلام بالقول الصادر عن الإنسان أيّ كان مصدره - منطلقاً من الصواب والعقل أو من الخطأ والجهل - اهتماماً بالغاً.

والقول الصواب: هو القول السديد حسب تعبير القرآن، حيث جاء فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ..﴾^(١).

وبعبارة أخرى: فإنّ القول السديد هو القول الخالي من الاعوجاج والانحراف، والبعيد عن الكذب والتهمة والغيبة والبذاءة والنميمة واللغو واللهو. وبكلمة واحدة فارغ من السوء والدنس. ومن شأن كلام كهذا أن ينتهي بالصلاح ويجلب الغفران الإلهي.

وفي مواجهة القول السديد، يوجد القول الخاطيء وغير النزيه. قول يصدر عن الغفلة والجهل واللامبالاة والشهوة والغضب وما شابهها من صفات السوء، ومن الطبيعي أن تترتب على هذا النوع من القول نتائج وآثار سلبية.

وكما أنّ القول الصواب ينتهي بالصلاح والغفران الإلهي على المستوى الفردي وبالتعامل المؤثر والإيجابي على المستوى الاجتماعي والعلاقات الإنسانية، ينتج كذلك عن الفعل السيء الشقاء الذي يستوجب العقوبة الإلهية الصارمة على الصعيد الشخصي، وظهور العلاقات الاجتماعية المنحرفة على الصعيد الاجتماعي.

وقد أمر الإسلام بالتزام الوعود والعقود في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والأسرية، وألزم المسلمين بالوفاء بها، وقال الباري عز وجل

في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١).

وما أوردناه كان بشأن العلاقات الإنسانية في الحياة الدنيا والتعاملات الاجتماعية والاقتصادية والأسرية، وأما قول الإنسان في ما يتعلق بالآخرة، فهو على قدر كبير من الأهمية والاحترام. فلا ينسب الإنسان بنت شفة إلا ولديه رقيب عتيد من الملائكة الموكلين عليه. فالله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان وجعله خليفة له في الأرض، أكرمه وشرفه على سائر مخلوقاته، واحترم تصرفاته ومنها أقواله.

فالإنسان لا ينطق عن فراغ كالبهائم ويتفوه بما تحمله شخصيته وينضح إناءه بما فيه. فيمكن أن يهديه كلامه نحو الكمال والسعادة، وعلى العكس من ذلك يمكن أن يؤدي به نحو الشقاء والانحطاط.

فقول الإنسان ينبعث من ذاته وما تحمله من خير أو شر، وكلُّ مخبوء تحت لسانه، ويفصح بما تكنه نفسه ويمليه باطنه: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٢).

وفي الحقيقة فإن الاحترام الذي ينطبق على كلام الإنسان من قبل الآخرين، والعهد الذي يقطععه الشخص على نفسه أو أمام الناس وأمام الله سبحانه وتعالى، والشهادة التي يدلي بها في إحقاق الحق أو إبطال الباطل والمزيد من الحالات الأخرى، تأتي نتيجة للكرامة التي شرف الله بها عبده الإنسان من حيث إنسانيته التي تميزه عن المخلوقات الأخرى.

العمل الصالح المتلازم مع الاختيار والتفويض:

لقد شرف الله البشر وأكرمه دون المخلوقات الأخرى بميزات كبيرة؛

١ - المائدة: ١.

٢ - الإسراء: ٨٤.

ومنها قدرته على الفعل والتصرف والسلوك سواء ما كان فيما يُضمَر ويُبطن، أو ما يظهر في سلوكه الخارجي وعند تعامله مع الآخرين، وهذا ما لا تستطيع الحيوانات فعله، فما تقوم به من فعل وتصرف ناتج عن إملات الغريزة وليس عن سابق قصد ووعي ذاتي، في حين تصدر كثير من تصرفات الإنسان - ما عدى تصرفاته الغريزية - من منطلق الوعي والعلم، وبغاية مسبقة رصدها في نفسه.

وبعبارة أخرى: هناك مواصفات خاصة في سلوك الإنسان وتصرفاته في الواقع الخارجي تميزه عن الحيوانات وتصرفاتها الغريزية البحتة. وبناءً على هذا يمكن اعتبار سلوك الإنسان - وبغض النظر عن مضمونه الصالح أو السيئ - عناية ذاتية وغير اكتسابية شرف الله بها البشر وأكرمه. وأما عن الكرامة الاكتسابية: فيستطيع الإنسان وبالاختيار الأفضل أن يدير بوصلة دوافعه وسلوكه نحو تصرفات تنطبق مع العقل، ويمدحها الوحي والشرائع السماوية. كما يمكن أن يقع اختيار الإنسان على الأسوأ، ويوجه دوافعه وسلوكه نحو تصرفات تتناقض مع العقل ومبادئ السماء. إن العمل الصالح يمنح الإنسان كرامات أسمى وأرفع، ويعزز الإيمان، وينور القلب، وينزهه العمل؛ ليصبح خالصاً لوجه الله تعالى.

وكما أن الإيمان مراتب ودرجات، فإن العمل الصالح أو الطالح على مراتب ودرجات، ومن الطبيعي أن تتضمن الكرامة الاكتسابية في ظل التفويض أو الفعل المختار صعوداً وهبوطاً بموازاة إيمان الإنسان، فيمكن أن تتصاعد بفعل الإيمان المتزايد، ويمكن أن تتهاوى نتيجة لانعدام الإيمان، ويمكن أن تتوقف بين هذين الخيارين: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(١).

وقد تقع بعض تصرفات الإنسان في المجال الاقتصادي والمالي، ومجرد

نظرة عابرة لأحكام الإسلام الاقتصادية تظهر مدى الأهمية التي يوليها الإسلام بهذا الجانب، والاحترام الذي يبديه لأموال الناس وممتلكاتهم. فالأحكام الخاصة بالمعاملات الباطلة والغصب والوصية والوقف والإرث وبعض المسائل المستحدثة تُظهر أن الإسلام يحافظ وبشدة على حرمة أموال الناس المكتسبة من الحلال. فحرمة مال المسلم واجب مفروض، والتعدي عليه وانتهاكه يعتبر ذنباً ثقیلاً ومعصيةً كبيرة، أينما كان سواء في العلاقات الاجتماعية والمعاملات بين الإنسان والإنسان الآخر، أو ما كان يرتبط بعبادة العبد لربه، وفي جميع المعالات التي تلعب فيها المادة والمال دوراً في العلاقات المتبادلة.

والإسلام لا يكتفي بمظهر الفعل وتحققه الخارجي، وإنما يهتم بالنيات والدوافع وبل يعتبرها أهم وأفضل من مظهر الفعل الخارجي. فما أكثر الناس الذين كرّسوا حياتهم لاعتلاء الإنسانية وهداية الناس طوال التاريخ البشري المديد، وبذلوا أقصى المساعي بالقول والفعل، ولم يفلحوا في إنجاز ما طمحووا إليه في ظاهر الأمر، وما أكثر من حمل أطيب النوايا وأطهرها وأقدسها في ضميره لكن لم تتح له فرصة للكشف عنها أو حتى التحدث بها. فكلا الفريقين مشكوران وما جوران عند الله في الدنيا والآخرة وتشملهما العناية الربانية.

وفي الحقيقة لم تنحصر كرامة الإسلام وحرمة للإنسان على الجانب الظاهر والمكشوف من فعله، وإنما يتجاوزها ليدخل الجانب المستور من فعله وما فيه من دوافع ونوايا. يقول الله جلّ شأنه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(١).

ويدين الإسلام ويرفض بشدة أيّ تعدّ وانتهاك يتعرّض له المسلمون بل الناس كافة من حيث إنسانيتهم، في أعراضهم وأموالهم وأنفسهم، ويفرض

على المعتدي عقوبات صارمة؛ لأنّ الإسلام يهتم بجميع شؤون الإنسان ولا يهمل شيء في هذا الجانب.

فممتلكات الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية مصنونة كنفس الإنسان، والحرمة تشمل ماله ومنصبه وشرفه وأسرته وعائلته وما يرتبط به، مثلما تشمل نفس الإنسان.

ولم تقتصر عناية الإسلام بالإنسان على جميع شؤونه وممتلكاته في حياة الدنيا، بل تمتد رقعتها إلى ما قبل الحياة وما بعد الممات. فأحكام الإسلام في اختيار الزوجة، والاهتمام بالتعاليم التربوية أثناء فترة الحمل وحين الوضع، تظهر عناية هذا الدين القويم بالوفاد الجديد كي يكون طاهر المولد، وليتمتع بالسلامة الروحية والجسدية. هذا ما يخص فترة ما قبل الولادة وحينها، وأمّا ما يخصّ الإنسان عند وبعد موته فيشير الاستحسان والاعتزاز.

فقد قرّر الإسلام للمُضي نحو الآخرة الوجوب الكفائي في التكفين، وإقامة الصلاة على جثمانه، والترحم عليه، والوقوفات الثلاث قبل الدفن، وشكل الكفن والتلقين، وبذل الخيرات، وما إلى ذلك من أفعال تسرّ الميت وتسبب له الغفران. وهذه الأحكام تدلّ على احترام الإسلام للإنسان الميت، وإكرامه بعد أن احترمه حياً وأكرم مثواه في الدنيا. ويتمتع الإنسان بهذا الإكرام بعد مماته وفقاً لإيمانه وما عمله طيلة أيام حياته.

التوازن بين التكوين والنشريع في نطاق الكرامة الإنسانية:

إنّ للكون تناسقاً وتوازناً خاصاً في جميع الجوانب. فيبدو نظام الكون في نظرة شاملة متناسقاً ومتوازناً كأضلاع مثلث يترأس أحد أضلاعها الثلاثة عالم الكون، وفي الزاوية الأخرى أو الضلع الآخر يقع عالم التشريع وكتاب القانون الذي أنزله الله على البشر - بواسطة الوحي، وأخيراً وفي الزاوية

الثالثة يقف الإنسان الكامل ليكمل هذا التناغم الكوني الرائع. فلننظر إلى أجزاء نظام التكوين ودورة الحياة في النباتات والحيوانات والجماد وتناغمها مع بعض، ومع هذا النظام الكوني والنظام المهيمن عليه. فكل جزء يرتبط بالجزء الآخر ويكمل نشاطه ليحوّل ما قام به إلى جزءٍ آخر ليقوم بالمهمّة التالية في إطار تعاملي متماسك ومنسجم لا يعرف الخلل والتوقف والتجزئة.

ولننظر إلى نظام التشريع الإلهي وأجزائه ونشاهد المسار التكميلي المستمرّ للشرائع السماوية المنسجم والمتناسق. فجاءت شريعة موسى عليه السلام لإكمال الشرائع السابقة، وخلفتها شريعة عيسى عليه السلام لإكمالها، وجاءت شريعة محمد صلى الله عليه وآله لتكمل ما ورد من الشرائع الماضية بأحكام شاملة ونهائية لإسعاد البشر. كلّ في امتداد واحد يكمل ما سبقه من تشريع ليلبغ القمّة والذروة في الإسلام كآخر الشرائع السماوية. نظام تشريعي متوازن في الأحكام والقوانين وفي شتى مجالات الحياة البشرية في الدنيا، وبل في المكافأة أو العقوبة في الحياة الأخرى بعد البعث والنشور.

وللإنسان في هذا المجال الموهبة والقابلية للسمو والشموخ والتعالى؛ لأنه خلاصة الكون وغايته؛ فخلقته الجسدية والروحية الكاملة وموهبته العقلية التي أكرمها الله بها، إلى جانب قوة خياله الممتدّة نحو اللانهاية، وامتلاكه للمشاعر والأحاسيس والعواطف، وقدرته على التأمل والتفكير، وحرّيته في الاختيار والإرادة، وإمكانيته في خوض التجارب الدينية والعرفانية والمكاشفات والإدراكات الميتافيزيقية. وفي كلمة واحدة: انطواء العالم الأكبر في جسمه الصغير، تؤهّله إلى السير نحو الرقيّ والكمال الإلهي.

وقد قرّر الله سبحانه وتعالى للإنسان - وإلى جانب تكوينه الكاملة - نظاماً تشريعياً شاملاً لتذليل العقوبات التي تعثر مساره نحو هذا الكمال

والشموخ. فهو بحاجة إلى منهج تربوي شامل لبلوغ سعادة الدنيا والآخرة.

إنّ هذا النظام التربوي يرتكز على تعاليم الوحي الإلهي والنظام المنسجم مع متطلّباته الفطرية. فنشاهد هنا مرة أخرى مدى التناسق الكامل بين التكوين والتشريع. فقد بعث الله الرسل لتربية الإنسان والبلاغ المبين وفقاً لفطرته الأولى، وكلّما تقدّمت الفطرة الإنسانية بخطوة إلى الإمام، أنزل الله له شريعة أكمل ومخطّطاً أشمل تتوازن مع تقدّم الإنسان في مسيرته نحو الكمال.

وربّما يمكن وصف التناسق بين مكوّنات النظام - أيّ كان - بالاعتدال. وقد خلق الله الكون ومن ضمنه الإنسان على مبدأ الاعتدال. فالاعتدال قائم في ما يمتلكه الإنسان وفي ما لا يمتلكه، وعليه الحصول عليه من خلال الفعل المختار. بعبارة الأخرى: هناك اعتدال بين ما هو موجود وحاصل وبين ما يجب أن يكون.

والإنسان الكامل تجسيد لهذا الاعتدال الإلهي ومظهره السامي. ولو قلنا بعوالم الوجود الثلاثة، وهنّ: عالم العقل، وعالم المثال أو البرزخ، وعالم المادّة، نجد هذه العوالم منطوية في وجود الإنسان في آنٍ واحد. فجمع الإنسان بين العقل والذهن والمادّة في جسده. وتأتي الشريعة هي الأخرى للتناسق والتوازن مع هذا الانطواء لتتضمّن هذه الساحات الثلاث أيضاً. ويمكن تصنيف مضامين الآيات القرآنيّة على النحو التالي:

١. الآيات الإعتقادية.

٢. الآيات الأخلاقية.

٣. آيات الأحكام والتكاليف.

وكما أسلفنا فهناك تناسق ومثالية بين الكون والإنسان وعالم التشريع، أو بين العالم والإنسان والقرآن. فالدين يلبي متطلّبات الإنسان الفكرية

والروحية والمادية، والإنسان الكامل في هذا النظام هو مَنْ قام بتلبية متطلباته الفكرية والروحية والمادية بصواب واعتدال وتماثل مع النظام الكوني المتناسك.

وبعبارة أخرى: فالإنسان الكامل هو مَنْ يستغلّ كافة الطاقات الموجودة حسب تكوينه، ويلتزم بأوامر الشريعة ونواهيها من حيث الاعتقاد والأخلاق والتكليف، ويبلغ المراتب العالية التي رسمها الدين له في مساره إلى الكمال.

إنه إنسان اكتسب الكرامة الإلهية عن جدارة واستحقاق، ليحظى بمراتب عالية ورفيعة من المكرمة الإلهية.

ومن الطبيعي - وبعد كل هذا التفصيل - أن يكون الخروج من دائرة هذا النظام المتوازن والمعتدل بمثابة الخروج من حدود الكرامة والموقع الإنساني الرفيع. فمثلاً: خروج الإنسان من دائرة التشريع وضلاله من حيث الإيمان العقلي والاعتقادي عن المبدأ والمعاد ونظام تدبير العالم واتباع الآراء الشاذة حول الخالق وأسمائه وصفاته والكون وأجزائه ومصير التاريخ البشري ومستقبله، وما يتعلّق بالمعتقدات العقلية الخاطئة وما بُني على غرارها، يخرج الإنسان من دائرة الكرامة الإنسانية ويرميه في أحضان الشيطان.

كما يفقد الإنسان الكرامة عند خروجه من دائرة السلوك الأخلاقي المعتدل والسويّ. فلا كرامة لمن يخرج عن إطار الأخلاق ومبادئه. ويشكّل العزوف عن الالتزام بالأحكام والتكاليف الشرعية سبباً آخر لفقدان الكرامة، حيث يوصف الإنسان على إثرها بالفسق والفجور وما شابه ذلك من أوصاف سيئة.

وجدير بالذكر: أنّ ما ذكرناه هنا كان يتعلّق بالكرامة الاكتسابية التي تحصل من جرّاء فعل الإنسان المختار، وكما قلنا تحتوي على مراتب ودرجات لا حصر لها، وقد بلغت ذروتها في شخصية الرسول الأعظم

ﷺ الذي مثل هذه الكرامة الإنسانية في أرفع وأسمى درجاتها. وأما الناس فقد يحوزون على هذه المراتب وفقاً لمدى انسجامهم مع نظام الكون ونظام التشريع وانتهاجهم لسبيل الاعتدال في هذا المسار. ومن الضروري هنا أن نشير فيما يلي - وإضافة إلى ما أوردناه - إلى بعض مصاديق التوازن والتناسق بين أحكام الشريعة والنظام الكوني:

١. إن الله أودع ميزة في الإنسان حين خلقه تفتح له نوافذ من العالم الآخر لمجرد الاستغراق في التفكير والتأمل في مظاهر الطبيعة. إن الله يدعو الإنسان للآخرة ونعيمها ويطلب منه الاستعداد والترقب لها بذكر الموت والنشور وإحياء الأموات. ومن ناحية أخرى - وللتمهيد لهذا الاستعداد والاعتبار - خلق الطبيعة بشكل تثير التفكير والتأمل لدى الإنسان عند مشاهدتها ليستيقظ من غفوته وليتوجه إلى الآخرة ويعدّها العدة.

وقد قال سبحانه جلّ وعلا:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١).

٢. لقد أمر الله الناس بالإنفاق على الآخرين، وحثّ عليه في آيات عديدة. ولم يأت أمر الله بالإنفاق عن إملاق، فقد وهب سبحانه وتعالى الطبيعة للإنسان، ومدّه بالنعم المختلفة، ومنحه الرزق، ثمّ طلب منه أن ينفق من ماله، ولم يكلف الله بها لم يرزقه ولم يأمر بالإنفاق دون التمتع بالنعمة، حيث يقول الرازي المنان في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ.. ﴿١١﴾.

فهناك نسبة بين:

١. ما وضعه الله بين يدي الإنسان من الطبيعة وما وراء الطبيعة.
٢. وما يجب على الإنسان إنفاقه حسب أوامر الشريعة وأحكامها.

ولا يقتصر هذا التوازن في الأمور الاقتصادية على الإنفاق، بل يشمل أحكام الخمس والزكاة وباقي الشؤون الاقتصادية. فالتكليف بحسب المقدرة والرزق الذي مَنَّ الله به على عباده. وأحكام الشريعة تتوازن مع ما يمتلكه الإنسان من موارد مالية وغير مالية، ولم تفرض عليه حكماً خارج نطاق هذا التوازن والتناسب.

المحور السابع: الكرامات التكوينية والاكتمالية في عصر الظهور

أ- تطوّر العلوم وتكامل العقول:

إنّ العقل موهبة من الله تعالى ميّز بها البشر - عن سائر المخلوقات. والإنسان - وبفضل العقل المودع في وجوده - يقوم باستغلال مواهب الطبيعة وتنظيم علاقاته الاجتماعية؛ ليشقّ الطريق نحو التطوّر والتقدّم في الجوانب المادية والمعنوية. وكان العقل حاضراً وإن كان بمستويات أدنى منذ أن وطأت خطى البشر الأرض. وبموازاة استخدام البشر لقواه العقلية حصل التطوّر وتكوّنت الحضارة البشرية. وشكّل هذا الاستخدام المطرد للعقل البشري سبباً رئيسياً في تقدّم البشر خلال التاريخ الماضي والقرون المنصرمة، وسيبقى دوره حاضراً في المستقبل وعلى صعيد الحياة الفردية والاجتماعية.

ومن الممكن الآن التكهّن بمستقبل العقل البشري؛ فالتطوّر والتقدّم التدريجي للعلوم والفنون المختلفة وتراكم التجارب السلبية والإيجابية في حياة البشر الفردية والاجتماعية ستضاعف قدرة قواه العقلية، ويقترّب هذا الوديّع القوي والقوّة الكامنة من البروز الكامل والمفعول الوافي.

ولا شكّ بأنّ لتطوّر العلوم والفنون، واكتشاف قوانين الطبيعة، والعثور على خفايا المظاهر الطبيعية، والوقوف على زوايا العلوم الإنسانية الدور الهام في ارتفاع مفعول العقل البشري، وسيستمرّ هذا الأداء الممتاز حتّى ظهور الوصي الأخير والمنقذ الوحيد.

وأما أثناء دولته الكريمة فيشمل الله برعايته العباد، وينالون أقصى مراتب العقلانية في أجواء مليئة بالعدل ومعنوية وصفاء حضور الإمام المعصوم.

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملت بها أحلامهم»^(١).
وقد ورد في الأحاديث الأخرى: أنّ الإمام هو الذي يضع يده على رؤوس العباد. ومهما قلنا: إنّ الله هو الذي يضع يده على رؤوس العباد، أو إنّ الإمام المعصوم هو من يقوم بذلك، لا تختلف الغاية والمآرب، ففي كلتا الحالتين تشمل العناية والرعاية العليا المراتب الدنيا.

وليس الحديث عمّن يقوم بوضع يده على رؤوس العباد، وإنّما الكلام عن كيفية وقوع هذا التطوّر. فهل يحدث بقفزة واحدة وبمجرد الإرادة العليا والمشية الإلهية؟، أو أنّه يحدث عبر مراحل ومحطّات اجتازها البشر في عهد ما قبل الظهور؟، وتبلغ أشدها في دولة المهدي الكريمة؟ وإن قلنا: إنّّه يحدث دفعة واحدة كلمح البصر ودون حضور الأرضية المناسبة، وتوفّر

الظروف في ساحة العلوم، واستعداد الإنسان لهذا الحدث ودون الاكتراث بتجاربه العلمية السابقة، فقد واجهنا إشكالين أساسيين:

الأول: أن هذا النمط من التطور لم يحدث في تعامل المعصومين مع الناس في فترة ما قبل الظهور، كما أنه لم يحدث عند تعامل الرُّسل الإلهية وأوصياء النبي بالناس إلا ما قلّ وندر. ولم تقتضي - مشيئة الله أن تتحقق إرادته دون مجموعة من الأسباب والظروف. وبهذا فإنّ توقع تحقق معجزة في تكامل العقل البشري ووقوع طفرة نوعية في أدمغة البشر بالاستناد على رعاية الله وتوجّهات الإمام المعصوم دون الأخذ بعين الاعتبار من تجاربه السابقة وظروف تحقق الحالة أمر مستبعد وصعب التحقق.

الثاني: أن تحقق حدث غير متوقع ودفعي في غياب الضرورة لوقوعه لا يتوافق مع قوانين تحقق الأحداث الطبيعية. فلو قصد رسول من رُسل الله أن يأتي للناس بخارقة يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها، تتحقق ضرورة إظهار المعجزة ووجوبها لتلك الفترة والحالة. أمّا في غير هذه الحالة ومن دون ضرورة اللجوء إلى المعجزة، لا يمكن تصوّر وقوع حدث عظيم وتحول دفعي في عقل البشر وفهمه دون توفر الظروف الفردية والاجتماعية وما يسبقها من خلفيات ومقدمات لمعارضته لقوانين الطبيعة التي وضعها الله سبحانه وتعالى.

فالتطور الدفعي والآني في العقل البشري لا يتوقع، وكما قلنا لسببين: لمعارضته مع ما جرت العادة عليه في طريقة تعامل الله بعباده وتعامل المعصومين مع الناس، وتباينه مع سير تحقق الأحداث الطبيعية.

إذن، وبعد استبعاد هذا الجواب نشير إلى نقطتين للإجابة على السؤال المطروح:

١. المقدمات والأرضيات الاجتماعية والتاريخية وخلفية التطور التدريجي للعقل والفهم البشري.
٢. الوضع الاجتماعي في عصر الظهور وإنشاء حكومة العدل والحضور

الملحوظ والميداني والواسع للمعصوم في كافة جوانب الحياة البشرية وتحقق العدالة الاجتماعية والأمن و...

ولا يسع هذا المقال لتفصيل هاتين النقطتين، ولكن نقول للإفادة: إن هناك تناسباً وتناسقاً في التعاليم الدينية ومعطيات العقل البشري في أمرين: طهارة النفس من جانب، والازدهار العقلي ومعرفة الحقائق من جانبٍ آخر. وكلما ابتعدت النفس الإنسانية عن الملوّثات والمدنّسات، كلما ازداد العقل اقتراباً لحقائق الكون وإدراك أبعاد الوجود وتوسّع علماً ومعرفة، وعلى العكس من ذلك كلما تلوّثت نفس الإنسان بالقدارة والدنس، اتّجه نحو الظلمة والعمّة، وأغلقت أمام عقله وفهمه الباطني آفاق العلم والمعرفة.

وفي عصر الظهور، يزداد الدين قوّة في الناس وتأثيراً في نفوسهم، وتنفّذ أحكام الشريعة الإسلامية في المجتمع ويقبل الناس نحو الخير والبرّ. فمن الطبيعي - ووفقاً لذلك التوازن - أن تتّسع آفاقهم المعرفيّة، وتسمو قواهم العقلية، ونشهد تطوّراً هائلاً وتكاملاً باهراً من ناحية العقل البشري.

ب - زيادة النعمة وانتشار الرخاء:

إنّ الإيمان والتقوى يفتحان أبواب الرحمة الإلهية على العباد. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

وورد عن رسول الله ﷺ في وصف أيام المهدي الموعود ودولته الكريمة بأن: «تمطر السماء مطرها، وتخرج الأرض بركاتها، وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعيشه قبل ذلك»^(٢).

١ - الأعراف: ٩٦.

٢ - الملاحم والفتن لابن طاووس: ص ٣٢٢، ح ٤٦٤، طبعة مؤسسة صاحب الامر عليه السلام - إصفهان، ١٤١٦ هـ.

وربما يكون تساقط الثلوج وهطول الأمطار من مصاديق البركات السماوية البارزة؛ لأنها تحييان الأرض، وتوفّران النعمة، وتسببان الإعمار، ولربما يكون القصد من البركات ما تنتجه الأرض من شجر ونبات يكمل دورة الحياة، ويوفّر للإنسان شتى أنواع المحاصيل الزراعية.

فالسنة الإلهية قرنت ووفقاً لما ورد في الآية الكريمة نزول البركات من السماء والأرض وزيادة النعمة بإيمان أهل القرى وتقواهم. فهذه هي سنة الله التي لم تجد لها تديلاً ولا تحويلاً.

إن هذه السنة الإلهية لا تنحصر بعهدٍ خاص أو فترة زمنية محدّدة، وفي أمة دون غيرها، بل إنها سبيل جارٍ لمن اتخذ هذا المنحى على مرّ التاريخ. وبحسب الروايات الواردة فإنّ هذه السنة الإلهية تتحقّق في عصر صاحب الزمان الذهبي بتحقّق شروطها وتوفّر ظروفها، حيث يفتح الله للبشر - بركات من السماء والأرض لم يشهدوها ولم يعهدوها التاريخ البشري.

وما هو السبب الحقيقي وراء هذه الوفرة والبركة؟، وبعبارة أوضح: من هو المسبّب لنزول هذه الكرامة على الإنسان في عهد الحكومة المهديّة الكريمة؟.

هل يتسبّب حضور الإمام المعصوم المباشر في كثرة النعمة والبركة؟، أو يكمن السبب في وجود الصفوة من أصحابه المخلصين المضحّين الأطهار؟.

هل استحقّ الناس بجدارتهم وإيمانهم ورشدتهم كلّ هذه الرعاية والعناية الإلهية؟ أو أنّ البركة تنزل من السماء والأرض بسبب إقامة الحدود الإلهية واستقرار دين الله القويم؟.

ويمكن وفي معرض الإجابة على هذه الأسئلة اعتبار جميع الاحتمالات الواردة، ولكن يبدو أنّ منشأ الكرامة وزيادة النعمة في عصر الظهور وعهد الحكم المهديّ يرجع إلى التشريع واستقرار دين الله في الأرض.

فإمام العصر كشخص معصوم وعادل وعالم بدين الله، يترأس هرم

الحكم ويسعى الناس والمسؤولون في ظل وجوده المنير وحضوره الفاعل إلى إقامة الدين وتوفير سبل السعادة في ظل نظام إلهي وديني نشط. فتحيي سنة الله، وتزول البدع وتقام الحدود وتنفذ الأحكام الإلهية وفقاً للضوابط الشرعية، وتستقر العدالة الفردية والاجتماعية، وكل يتمتع بحقوقه بالتكافؤ مع الآخرين.

إن النظام المهدي المأمول نظام تتمحور فيه كافة الفعاليات والنشاطات حول الدين. وفي هذا النظام تتوفر كافة الظروف لزيادة النعم المادية والمعنوية، سواء كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أم الظروف النفسية والروحية.

وبتوفر هذه الظروف وبتظافر جهود الناس وسعيهم الحثيث نحو التغيير وحسب الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ (١)، تطرأ التغييرات الملحوظة في التطور الاجتماعي والاقتصادي، وسيفتح الجواد الكريم جلّ وعلا حسب هذه الآية والآية التي سبق ذكرها من فضله الذي لا ينتهي ومن خزائنه التي لا تنضب أبواب أفضل وأكثر النعم المادية والمعنوية للناس، فيمطر السماء مدراراً، ويجري المياه في عروق الأنهار الجافة ويثمر الشجر، فتنزل البركة من السماء وتخرج من الأرض، وينعم الناس بالرخاء والرغاء.

إذاً، فزيادة النعم في عهد الحكم المهدي الذهبي كرامة تكوينية وخارجية، منشؤها العمل بدين الله وإقامة أحكام الشريعة الإسلامية.

الكرامات الإكتسابية في عصر الظهور:

إن الكرامات الإكتسابية ستصبح أكثر عمقاً وانتشاراً في عصر الظهور، وللأسباب التالية:

١. حكومة المعصوم.
٢. الحكام الصالحون الأكفاء.
٣. إقامة الأحكام الدينية.
٤. استقرار العدل.
٥. استتباب الأمن.

إن انتشار الكرامات الاكتسابية في عصر الظهور من شأنها إعداد المناخ المناسب لرقّي الناس الروحي والمعنوي. إن الله سبحانه وتعالى سيوفّر هذه الظروف الملائمة للإنسان من خلال التشريع ومن خلال أحكام دينه القويم.

استغلال وجود الإمام المعصوم والتنمّع بحكمه:

هناك فارق واسع وهوة شاسعة بين مجتمع يرضخ تحت حكم الطاغوت ومجتمع ينعم بزعامة الإنسان المعصوم. وللحاكم دور فاعل وملحوظ في وضع المعايير لاختيار مسؤولي الحكم وإقامة الأحكام الإلهية والشجاعة، والحزم في تنفيذ الأوامر وقيادة المجتمع، والرقابة والإشراف على كافة أركان الحكم، وتحديد الخطوط العريضة للبرامج السياسية والاقتصادية والثقافية وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.

وحضور المعصوم وحكمه ضمان لسعادة البشر وهدايتهم نحو التقوى والصلاح والخير، بينما يسبّب حكم الطاغوت إلى نتائج كارثية وتبعات ضارة للفرد والمجتمع في الدنيا وفي الآخرة.

أثر الحكام الصالحين:

إن اختيار الحكام وفاعليتهم في نظام الحكم يشكّل أحد الركائز الأساسية في تكوين الكرامة الإنسانية ورفع منزلة الإنسان في نظام عصر-الظهور الاجتماعي. فلو وقع الاختيار على من يمتلك المؤهلات ومن

يتمتع بصلاحيات فردية وقدرات اجتماعية، تعود الفائدة حسب هذا الاختيار للناس، ولا تكون النتيجة إلا لصالحهم، حيث ينعكس على منزلتهم ويؤدي بهم إلى التطور والتقدم المادي والمعنوي والتعالوي الروحي. وأما لو حدث عكس ذلك، فتنقلب النتيجة رأساً على عقب. فاختيار حكام ومسؤولين غير صالحين وحسب المصالح المادية والمعايير الشيطانية سينتهي بنظام يقضي - على مظاهر الشموخ والرقى، وستصبح كرامة الإنسان ومنزلته فيه ضحية للظلم والجور والأطماع والنزعة السلطوية.

ونأمل بحسب ما ورد عن المعصومين وبشارتهم في وصول الصالحين والطيبين الخيّرين إلى سدّة الحكم، أن يجسّد النظام المؤسس على ولاية خاتم الأوصياء والكرامة الإنسانية والمنزلة الاجتماعية والفردية إلى أقصى حدودها، وينقذ البشرية التي خضعت للإذلال على مرّ التاريخ من بؤر الفساد والدمار وقيادتها نحو الفلاح والسؤدد والعزّ.

وقد أشار القرآن إلى حكومة هؤلاء الصالحين في نهاية مطاف التاريخ البشري، حيث قال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: في تفسير هذه الآية: «هم أصحاب المهدي في آخر الزمان» (٢).

١ - الأنبياء: ١٠٥.

٢ - بحار الأنوار: ج ٩، ص ١٢٦.